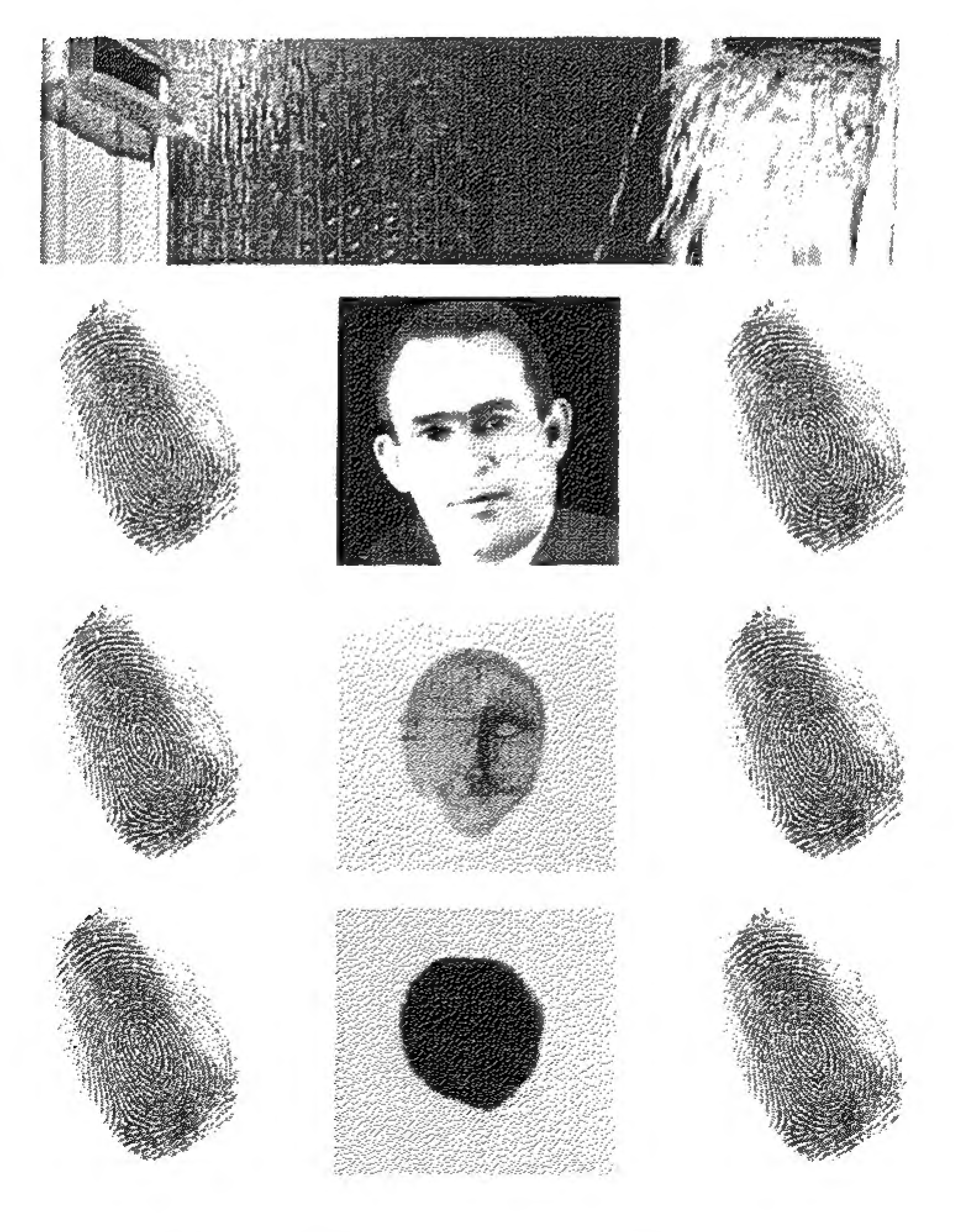
أحمد بخاري

الأجهزة السرية في المغرب

الاختطافات والاغتيالات



ترجمة : حسن اللحية

أفريقيا الشرق

الأجهزة السرية
في المغرب

الاختطافات والاغتيالات

ترجم هذا الكتاب عن النص

الأصلي باللغة الفرنسية

Ahmed Boukhari

Le secret

Ben Berka et le Maroc

Un ancien agent des services spéciaux parle ....

Editions Michel Lafon 2002

المؤلف أحمد بخاري

عنوان الكتاب

الأجهزة السرية في المغرب

الاختطافات والاغتيالات

المترجم . حسن اللحية

رقم الإيداع القانوني 2002/1351

ردمك . 9981-25-284-0

أفريقيا الشرق ـ المغرب

159 مكرر، شارع يعقوب المنصور ـ الدار البيضاء

الهاتف 04 95 25 022 - 13 98 25 022 ـ فاكس . 20 29 25 022 - 80 00 44 022

البريد الإلكتروني : E-Mail : afriqueorient@iam.net.ma

أفريقيا الشرق ـ بيروت ـ لبنان

أحمد بخاري

الأجهزة السرية في المغرب

الاختطافات والاغتيالات

ترجمة : حسن اللحية

أفريقيا الشرق

إلى المهدي بن بركة وذويه

إلى المختفين وعائلاتهم

وإلى كل هؤلاء الذين أدوا الثمن من لحمهم من أجل تشييد مغرب أفضل.

« لا يتعلق الأمر بمباشرة أحد أشكال التصفية على الطريقة المغربية، ولكن بإرادة للتصالح مع ماضينا»

إدريس بنزكري

رئيس منتدى الحقيقة والإنصاف

(جريدة لوجورنال بتاريخ 4 غشت 2001)

مقدمة المترجم

قد يتساءل القارئ المغربي عن الجدوى من ترجمة كتاب السر لأحمد البوخاري، رحل الأمن في المخابرات السرية، «بالكاب1». إن مثل هذا السؤال دار في خلدي كثيرا، قبل أن أقدم على ترجمته، وازداد أكثر بعد ان انهيت ترجمته. ولا أدعي أنني سأنوب عن القارئ في افتراض الجواب، خاصة وأن الكتاب يحبل بقضايا خاصة حداً ستجعله مدار سجالات ورهانات ومزايدات ليست هي التي حفزتني على ترجمته وبالتالي الإنصات لأهدافه البعيدة.

علينا أن نحترس أيما احتراس وأن نتحلى بقدر كبير من النباهة وبعد النظر لأن الكتاب يورد أسماء وازنة كاسم «الوردة»، ولكنه كذلك يورد أسماء أخرى لها علاقة بالسلطة وبممارسيها، وأحيانا أخرى يورد لفظ النظام والمخزن والإدارة للدلالة على شيء في هرمية الأوامر يفوق رجال الأمن «العاديين» الذين سال عنهم المداد كثيرا فصاروا كما لو كانوا هم المسؤولين وحدهم من دون أمر ولا تواطؤ. «فمن هم» أو «من» هو هذا المشار إليه بالنظام أو المخزن أو الإدارة الذي يعطي أمراً في المساء يناقض ما أعطاه في الصباح كما حدث مع قتل المهدي بن بركة؟...

إن تفجير مثل هذه الأسئلة هي الاقتراب الممكن من الأهداف البعيدة المقنعة في الكتاب، تلك الأهداف التي تدخل ضمن اهتماماتي

المعرفية والأكاديمية والابستمولوجية. وعليه فإن الإقدام على ترجمة هذا الكتاب هو استجابة لتلك الاهتمامات بالضرورة، ومنها اشتغالي على السلطة السياسية وأنظمة الأمن وقضايا التحديث والحداثة... وهكذا فإن نشر هذا الكتاب هو محاولة لتوسيع النقاش وتعميقه على مستويات عدة، وإثارة الاهتمام إلى أشكال التسلط والسلطة السياسية عندنا... وأعتقد أن هذا السبب وحده كاف للتعجيل بترجمته ونشره.

وأما عن نشر الكتاب فإن دار النشر أفريقيا الشرق قامت بجميع الاجراءات القانونية الروتينية مع الناشر الفرنسي مشيل لافون، قد فاجأتني ببند يتضمنه العقد ينص على إطلاع المؤلف، أحمد البوخاري، على الترجمة العربية، ومعنى ذلك وجوب الاشتغال مع مؤلفه.

إن الكتاب كما يقدمه صاحبه عبارة عن شهادة، يتخيَّلُ أنه يدلي بها أمام محكمة التاريخ والقراء والمعنيين بالأحداث. ولذلك فإن ترجمة الشهادة تستدعي قدرا كبيرا من الدقة المتناهية. وانطلاقا من هذا الهدف تفهمت ذلك البند وقبلت مراجعة الترجمة مع مؤلفه توخيا للدقة والتدقيق. وكان من نتائج هذا الاشتعال أن تغيرت فقرات ومفاهيم تقنية وتواريخ وأحداث وأسماء، دون أن تمس الكتاب في جوهره وأبعاده.

وأنبه القارئ أن الكتاب يختلف عما يمكن أن يقال في الأوساط الأكاديمية عن «العلمية» التي تختزل «عبثا» في الإحالات والمراجع... فهذا الكتاب عتبة للانتقال من الشفاهي إلى المكتوب : اليس تاريخنا هو تاريخ الشفاهي؟ ولأن للكتاب هذه القيمة فهو يدين الشفاهي، بمعنى يدين كل من يعرف معلومة ما أو خبراً عن أحداث الماضي وهو يتواني ويتأخر عن الادلاء بشهادته تحت دواع واكراهات متعددة... ولعل هذا المبتغى وحده كفيل بأن يجعلنا في علاقة قطيعة مع الماضي.

تطوان في 15 / غشت 2002

مقدمة

مايو 2001، مازالت عيناه ناصعتين، ونظرته ثاقبة رغم أن شعره مال إلى البياض. إنه محمد العشعاشي رئيسي السابق في المخابرات السرية، والذي كان يحيط به رجلا أمن قدماء من قسم مكافحة قلب النظام، وهم أنا ومحمد المسناوي، والضيف الثالث هو عبد القادر صاكا والدي اعتذرفي آخر ساعة لأنه كان مريضا.

كنا نجتمع نحن الثلاثة لنتذكر الأحداث القديمة التي مر عليها حوالي خمسة وثلاثون سنة. نتذكر نهاية ذلك الأسبوع من سنة 1965، وتلك الجمعة الموافقة لـ 29 أكتوبر من نفس السنة، حيث كان يوجد زميلي في مهمة بفرنسا. أما أنا فقد كنت مداوما بزنقة مولاي أدريس الرقم 5 مكرر بالرباط، وهو مقر «الكاب 1» الذي توجد به المخابرات السرية. ثلاثة أيام، لم تنته، بلياليها من مراقبة الهاتف والاتصال بالمعنيين، وإيصال الأوامر الآتية من أولئك الذين يوجدون في مهمة بالخارج.

ساعة بعد أخرى، واتصال بعد آخر؛ هكذا تابعت نهاية مأساة طويلة. فمنذ سبعة شهور والإيقاع بالمهدي بن بركة اخذ منا كل وقتنا وطاقتنا. سبعة شهور كاملة ونحن نهيء لعملية اختطاف قائد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

خلال ذلك اليوم، أي يوم الجمعة، 29 أكتوبرمن سنة 1965، على الساعة الحادية عشر والنصف، بالرباط أخبرت بأول مكالمة هاتفية تقول بأن المعني بالأمر يوجد بفيلا فونتناي لوفيكونت Fontenay le vicomte، بناحية باريس. وأن العملية التي أتخذت اسم «بويا البشير» قد انتهت. وعلى وجه السرعة أخبرت الجنرال محمد أوفقير، وزير الداخلية آنذاك، والكومندان أحمد الدليمي مدير مساعد الأمن الوطني اللذين أخذا طائرة عسكرية خاصة على وجه السرعة وتوجها نحو العاصمة الفرنسية بغاية استنطاق المعارض ونقله بسرية إلى المملكة. وبعد ذلك كل شيء لم يبلغ المراد وفي فجر يوم الأحد عادت طائرة عسكرية مغربية إلى مطار الرباط وهي تحمل جثمان بن بركة. وفي الثانية بعد الزوال رمي جسده في حوض الأسيد. وبعد مرور يوم كامل لم يبق من الرجل الذي لفت إليه انظار العالم الثالث، وهدد العرش العلوي أي شيء.

لقد ظل اختفاؤه لغزا كبيرا. بالنسبة للسلطات المغربية فإن الأمر يتعلق بقضية خاصة بفرنسا، ولكن بالنسبة لرجال «الكاب 1» فإنها تمثل ليلة تراجيدية يعيشونها الآن كما عاشوها في أول يوم. وهم الآن جميعا متقاعدون. فالعشعاشي ومساعدوه لا يمكنهم نسيان تلك النظرة الحزينة التي كان يحدق بها المهدي بن بركة لحظة وفاته وهو ينظر إلى وجوههم.

أمامي الرجلان حزينان كثيراً وتحدثنا عدة ساعات على كل ماوقع آنذاك. يتساءلان بحسرة ما هو يا ترى مصير كل من شارك في هذه المأساة. يعرفان في جميع الحالات أن صورة ين يركة لن تفارقانهما مادامًا على قيد الحياة.

* * *

بعد مرور عدة اسابيع على هذه الكآبة، وبالتحديد خلال يونيو 2001 نشرت كل من أسبوعية لوجورنال Le journal واليومية الفرنسية

لوموند le monde، في آن واحد، شهادتي حول وفاة بن بركة. اخترت التكلم على الصمت هذا هو الوقت الذي اردت فيه تفجير المطموس، وذلك بالكشف عن تقنيات المخابرات السرية المغربية، والحكي عن الاختطافات والاختفاءات.

في 1971 كنت بباريس، وكان في نيتي البوح بالحقيقة، لكنني كنت خائفا على عائلتي بالخصوص. وفي سنة 1983 كنت في زيارة أخرى لفرنسا وحينها بدا لي أن الوقت لم يحن بعد للكشف عن مثل هذه الملفات الحساسة، فقلت ينبغي الانتظار اكثر مما كنت اعتقد. إنه لمن الصعب علي البوح بكل شيء. فحتى عائلتي لم تكن تعرف عن عملي في المخابرات السرية إلا الشظايا. ولا شك لديها بأنني لست من الأجهزة الخاصة. فأنا في نظر عائلتي مجرد ضابط امن مر بإحدى الإدارات. ولم تعرف بأنني كنت أقوم بدور ما «بالكاب ا» إلا في السنوات الأخيرة حينما بدأت تاليف هذا الكتاب.

قررت البوح بكل شيء الآن لأن الظروف اختلفت عن السابق كثيراً. فالمغرب حاليا على وشك المصالحة مع تاريخه الحديث حتى يربح مستقبله. وشهادتي هذه هي مساهمة في هذا المناخ الذي يعرفه المغرب. ففي بداية القرن XXI فإن الاتجاه المهيمن على بلادي هو الشفافية والاحترام والكرامة والإنسانية. ففي هذا المناخ العام من الانفتاح العام يمكننا أن نتساءل ماإذا كان الماضي لا ينتمي لجميع المغاربة ؟

أليس من حق عائلة بن بركة أن تعرف حقيقة ما حصل فعلاً ؟ بل ومجموع عائلات المختفين وجميع ضحايا العهد الدرامي ؟ أليس من حقها جميعا أن تعرف حقيقة ما جرى؟ لقد شجعتني رياح الحرية على كتابة اعترافاتي – مذكراتي هذه المتعلقة ببن بركة بالتحديد عوض غيرها من الاختطافات والاختفاءات التي عرفتها سنوات الخمسينات والستينات والسبعينات.

تعتبر أقوالي هذه عاملا مساعدا للقاضي الفرنسي السيد جون باتيست بارلوس Jean Baptiste Parlos الذي مازال يبحث في أسباب اختفاء بن بركة، فهي ستقوده إلى معلومات دقيقة وسرية، بل، وهذا ما أتمناه، إلى إظهار الحقيقة كاملة.

إن ايداعي أمام لجنة برلمانية أو وزارية يمكنه أن يسمح للسلطات ولأقرباء المختفين وللتنظيمات العاملة في حقل حقوق الإنسان، وللرأي العام بمعرفة ما جرى فعلا في المغرب خلال الفترة الرهيبة السابقة المسماة فترة الرصاص.

ليست لدي حسابات ضيقة أريد أن أصفيها مع زملائي بالأمس أو رئيسي القديم. إنني أحكي فقط ما عشته وما اعتقدته خلال عشرين سنة من العمل بالمخابرات السرية المغربية. إنه عالم مغلق، حيث قانون الصمت هو المنتصر دائما. لكن ما يهمني هو الحقيقة.

* * *

حينما ظهرت المقالات الأولى بكل من فرنسا والمغرب، وأعلن عن نشر الكتاب، جُنّت الآلية الإدارية المغربية. بشارع هادئ بالرباط، حيث يحيط سور بالنقطة الثابتة الثانية P F 2 أي دار المقري قديما، وهي مكان التعذيب والتنكيل والاحتجاز غير القانوني، ازداد ارتفاعه أكثر اليوم. وخلال صيف 2001 لا يمكننا سماع ضجيج الجرافات التي تعمل على تسوية المكان. فالجثث المدفونة هناك نبشت قبورها دون شك، وجميع علامات القتل أزيلت. وَضَعَ زملائي القدامى، وهم العشعاشي والمساوي وصاكا، شكاية ضدي تحت ذريعة إفشاء أسرار مهنية والقذف والسب.

في 25 من يوليوز 2001، على الساعة الثانية بعد الزوال، التحقت بمركز بريدي يوجد بالقرب من سكناي، بحي بوركون بالدار البيضاء من أجل استلام طرد بريدي مضمون أرسل إلي في إطار قضية بن بركة

من طرف القاضي بارلوس Parlos الذي استدعاني للمرة الثانية لحضور جلسة 7 سُتنبر اللاحقة. وكان في انتظاري أمام الشبابيك ثلاثة من رجال الشرطة القضائية الدين ساقوني إلى ولاية الأمن بالدار البيضاء، حيث مكثت هناك إلى وقت متاخر مساءً؛ وذلك ما استدعى عدة تدخلات من شخصيات وجمعيات عاملة في مجال حقوق الإنسان، والمحامين المكلفين بقضيتي، حتى أطلق سراحي.

ولكي تفقد فيّ الثقة والتشكيك في اعترافاتي لجأ رجال المخابرات السرية إلى إخراج ملف يعود تاريخه إلى أحداث قديمة 3 غشت 1965 إلى 12 مارس 1966. حيث قيل لي بأنني قد وقفت عن العمل بسبب السكر والمشاجرة، حينها كنت قد غادرت المصالح الأمنية الخاصة بسبب السكر. زوروا وثائق شبيهة بتلك التي كنت أزورها أيام كنت أشتغل هناك. لقد قلدوا إمضائي بفظاظة. وباختصار أرادوا محو شهادتي.

بعد أيام قليلة سمحت لي مجابهة أصدقائي القدامى بمقرات ولاية الأمن وصرنا نسترجع الأحداث. وخلال شهر يوليوز وغشت من سنة 2001 استدعيت من طرف الفرقة المختصة في محاربة الأجرام في ولاية الأمن بالدار البيضاء مرات عديدة من أجل التحقيق معي :

ـــ لماذا قمتم بهذا الأمر ؟

ـــ من أجل أية مصلحة ؟

ـــ من أرشاكم لفعل ذلك ؟

هذه معظم الأسئلة التي تتكرر دائما. ولكنهم كانوا يخافون إذا ما صدر الكتاب المعلن عنه.

ـــ من هو الناشر الذي وقعتم معه العقدة ؟

ـــ كم جلب عليك هذا التوقيع من مبالغ مالية ؟

ـــ هل مازال الوقت لمنع نشره ؟

ــــ أين يوجد المخطوط ؟

ــــ هل تتوفر على نسخة منه ؟

يوم الإثنين على الساعة العاشرة والنصف صباحاً لاحقني رجلا أمن من قسم مراقبة التراب الوطني، يعودان لـ : .D. S. T، بأحد شوارع الدار البيضاء قريبا من منزلي، وقالا لي :

ــــ كنا ولازلنا نعتقد دائما أنك من العائلة، وعليك أن تتخلى عن الكتاب.

ــــ لا يمكنني ذلك حتى يستطيع المغرب أن ينظر إلى ماضيه، وبذلك يتمكن من القدرةعلى طي صفحته.

* * *

ثلاثة أميركيين بالمغرب

ولدت بآسفي سنة 1939، بعائلة متعددة الأفراد. كان أبي يرأس مقاولة ميكانيكية متخصصة في الموازين مما سمح له بالزواج من أربعة نساء، ولكل واحدة منهن ذريتها. فإحداهن كان لها ثلاثة عشر ولداً، بينما كان لأمي سبعة أطفال.

ومن أجل العمل في مقاولة أبي تابعت منذ الصغر دراستي بالمدرسة المهنية إلى أن حصلت سنة 1955 على شهادة مهنية في الميكانيكا، رغم أن هوايتي المفضلة كانت هي كرة القدم ؛ إذ كنت أشغل الجهة اليسرى في فريق آسفي. كما أنني خضعت لتدريب بسيط بأولمبيك مارسليا وحققت نجاحا على العشب، لكن القدر أراد شيئا آخر ...

حصل المغرب على استقلاله بسنة واحدة، وكان في طور بناء إداراته وهو ما جعله يوظف عدداً كبيراً من الشبان المغاربة يمكن أن يعوضوا الفرنسيين الذي رجعوا إلى فرنسا. وفيما يخص أبي الذي كان يُصْلِحُ الأسلحة فقد كان على علاقة بأحد الكومسيرات وهو كليدر Cleder، رئيس الاستعلامات العامة بآسفي، وهو فرنسي ظل بمقر عمله في إطار الاتفاقيات بين المغرب والقوة الكولونيالية (فرنسا).

اقترح علي كليدر ولوج الأمن الوطني. احترت في البداية بين الكرة وصناعة الموازين والوظيفة الجديدة. وأخيرا ولجت الأمن الوطني على سن الثامنة عشرة.

أمضيت تدريبا بالدار البيضاء مدة خمسة وأربعين يوما، وهي مدة كافية آنذاك من أجل تكوين رجل أمن وتدريبه على السلاح ومعرفة بعض القواعد. وبعد ذلك عينت بدائرة أمنية بمراكش. ورغم ذلك لم أسلم في كرة القدم، بحيث بقيت خلال هذه المدة ألعب مع فريق آسفي، وأتدرب مع فريق الكوكب المراكشي بعدما أعطيت وعداً من طرف المسيرين باللعب في صفوف الفريق المراكشي في العام المقبل، وذلك ما سمح لي بالتدرب معه طيلة الأسبوع، لكن يوم الأحد كنت أجد مكاني بفريقي الأصلي حين لعبنا بجميع ميادين البلاد كمكناس ووجدة وفاس...

بانهماكي في الرياضة نسيت كليا الشرطة السياسية. كنت أعرف فقط بأن أحد رؤساء المخابرات السرية هو الكومسير الحسين الصغير، وكان هو الآخر مجنوناً بكرة القدم. ظل يحلم بتأسيس فريق للأمن بالدار البضاء، ولذلك كان يبحث عن أفضل اللاعبين من بين رجال الأمن بالمغرب. وحينما اخترت ضمن الفريق غادرت مراكش متوجها صوب العاصمة الأقتصادية، وهناك أقمت عند أحد إخوتي. لقد تمكن الكومسير الحسين الصغير من تكوين فريق جيد من رجال الأمن وبعض اللاعبين الكبار الذين كانوا في نهاية مشوارهم الرياضي، الذين تتراوح أعمارهم ما بين الثلاثين والخمسة والثلاثين سنة، وهم جميعا من نادي الوداد البيضاوي العريق. جعلتني ميكانيكا الدقة ألج الأمن والكرة قادتني إلى المصالح الأمنية السرية. بين مقابلتين كنت أحضر إلى الدائرة الأمنية السابعة بدرب البلدية بالدار البيضاء، وهي واحدة من القواعد التي يشتغل فيها، خلال هذه الحقبة، رجال أمن من المخابرات السرية.

مازلت شابا خلال هذه الحقبة، ولم تكن لدي أية فكرة عن هذه المتاهة التي سأنخرط فيها. بالنسبة لي، كما هو الحال بالنسبة لزملائي فإن الأمر يتعلق بشغل عاد كباقي الوظائف. لم نكن نطرح الأسئلة، وحينما تنتابنا الشكوك نقنع أنفسنا بأننا ندافع عن الملك والنظام والأمة.

اكتشفت دورنا الخاص بسرعة. فخلال فترات العنف التي تعم المملكة كان الأمن السياسي يقوم بالتصفية الجسدية للمقاومين القدامى ولأعضاء جيش التحرير المعارضين.

فبعد الاستقلال رفض كثير من المقاومين وأعضاء جيش التحرير الوطني وضع السلاح والخضوع للسلطة الملكية. لقد حاول محمد الخامس استمالتهم بتوزيع رخص النقل وبيع الخمور وفتح الحانات، كما منحهم مناصب سامية في الجيش، وتكليفات بالقيادات، والبعض منهم عينوا عُمَّالا.

وكل هذا لم يكن ليقنع بعض المقاومين وأعضاء من جيش التحرير، ومنهم من كان يزور القصر بانتظام ليحتج على نصيبه الذي لم يكن سوى ما تركه الفرنسيون من منازل وعمارات وضيعات، ويطالب بالمزيد وخاصة في المعادن والفوسفاط. كانوا يظنون بأن الاستقلال سيجعلهم أغنياء، حين لم يتم لهم ذلك فكروا بشكل آخر في العرش.

في سنة 1957 حينما التحقت بالمصلحة، كانت التصفية مفتوحة على جميع الاحتمالات. وكان المقاومون السابقون ملاحقون في كل مكان. لقد كانت لعبة غير متكافئة لأن الأمن السياسي سيشكل غداة الاستقلال من أجنحة كانت بالأمس تعمل داخل المقاومة وجيش التحرير، لذلك فهو يعرف عاداتهم، وعشيقاتهم وعلاقاتهم، وخاصة مخابئهم التي كانوا يلجؤون إليها أثناء معاركهم مع فرنسا في سنوات 1953 و 1955. فبمساعدة هؤلاء المكونين جيدا استطاع النظام القضاء منهجيا على كل من كان يرفض السياسة الرسمية.

فمن جهتي، وبعيدا عن هذه المبارزة حول السلطة، كنت محسوبا ومسجلا بالدائرة الأمنية السابعة حيث كنت مكلفا بالكتابة. فهي مهمة نظرية لأنه لا وجود للكتابة ولا للإجراءات، فقط توجد التصفيات الجسدية. بمكتب الدائرة السابعة وثقت سجلا بسيطاً للمراسلات الآتية

من الإدارة العامة للأمن الوطني أو تلك الموجهة إليها، ورتبت بعض الملفات لكنني كنت أخصص وقتي كله لكرة القدم تحت إشراف أحسن مدرب آنذاك وهو الأب جيگو le père Jego . كنت ألعب مقابلتين في الأسبوع الأولى يوم السبت وتدخل في البطولة التعاونية مع فريق الأمن، والثانية يوم الأحد مع فريق آسفي، ثم فيما بعد مع فريق بيضاوي. ومع ذلك فتحت عيناي. لقد أذهلني ما اكتشفته داخل الأمن السياسي. فخلال التدريب التكويني استفدت منه مدة شهر ونصف بالدار البيضاء لقنت خلاله قواعد القانون الجنائي، ومبادئ احترام الحرمات والإجراءات الضرورية، لاحظت أن لا شيء من كل هذا يوجد أمام أنظار زملائي الجدد في المخابرات السرية. معظمهم يمتلك ثلاثة مسدسات : واحد من الأمن الوطني وآخران احتفظ بهما منذ أن كان يحارب ضد فرنسا. وبهذه الأسلحة يطلقون النار حسب رغباتهم وينتهكون حرمات البيوت ليلا، ويختطفون كما يشاؤون. أما الاغتيال فهو شيء عادٍ. فهؤلاء كانوا عبارة عن عصابة حقيقية من المجرمين.

بالدائرة السابعة، كان يوجد من بين الرؤساء الثلاثة في المصلحة، رجل جاء من آسفي من نفس القرية التي تنحدر منها أمي وهي « جرف اليهودي » . كان يلقنني المهنة وضمني إلى فريقه، ولذلك كنت أرافقه في العملية وألاحظ الطرق الغريبة التي كان يستعملها.

يبدأ كل شيء بالمراقبة الشديدة للمنزل الذي يقطنه المبحوث عنه. خلال بضع ساعات أو أيام، تكون جميع الأماكن مراقبة إلى أن يتم التأكد من حضور الشخص المرغوب في إخفائه... هكذا يكسر رجال الأمن الباب ويقتحمون المنزل. في حين لا يقتلونه ، بل يضَعون قناعا على وجهه والأصفاد في يديه ويحملونه من أجل تصفيته سرا. يحدث كل هذا دون استدعاء لإلقاء القبض على المعني ولا المرور من المحكمة.

هذا القمع والمحق المفاجئ مورس في حق أعضاء المقاومة وجيش التحرير القدامى إلى حدود 1960 . فحسب الوثائق (أرشيف) نجد تقريبا تمانمائة مقاوم قديم قتلوا خلال هذه الفترة مع هامش بسيط في الخطأ .

* * *

كان رئيسنا في المخابرات السرية المعروفة بالأمن السياسي، المدير العام للأمن الوطني، يسمى محمد الغزاوي، وهو من بين أكبر الأغنياء في المغرب . وقد اقترح ليشغل هذا المنصب من طرف حزب الاستقلال الذي كان آنذاك مشاركا في الحكومة .

بعد التعاقدات المبرمة بين فرنسا والمغرب وضع رجال أمن فرنسيين رهن إشارة المغرب، – صاروا فيما بعد مساعدين تقنيين – كانوا يشتغلون في الدوائر الأمنية عوض الأمن الموازي . فحضور عشر ضباط من S.D.E.C.E. – مصلحة التوثيق الخارجي ومحاربة التجسس الفرنسي في قلب الأمن الوطني المغربي أزعج الغزاوي كثيرا . لم يكن الرئيس مهتما بما يشاهده هؤلاء من ألوان الاغتصاب والابتزاز الممارس في هذه الحرب القذرة ضد المعارضين .

ورغم ذلك فقد كان هؤلاء الرجال الفرنسيون ضروريون، فبفضل علاقاتهم المتعددة تسنى لهم امتلاك معلومات دقيقة من داخل الأحزاب . كانوا يتلقون معلومات ذات قيمة كبيرة، ويكتبون تقارير موجهة للغزاوي مباشرة . لم يكن يقرأ منها اي شيء . لقد كان مشغولا بشركاته واستثماراته الفلاحية وحافلاته . لم تكن لديه أي رغبة في تسيير مصالح الأمن . اتذكرأنه كلما دخلنا إلى مكتبه نجد ملفات كثيرة موضوعة على طاولة العمل . أما هو فقد كان مهتما بتجارته الخاصة وتوقيع شيكاته وكتابة مراسلاته... وحينما نعود مرة أخرى نجد نفس الملفات ماتزال هناك بنفس المكان . وحتى يدخل شيئا من النظام فإن الغبار المتراكم على بعضها يزيله رئيس ديوانه ادريس حصار بوضعها في الرفوف .

اعتبر محمد الغزاوي الأمن الوطني كما لو كان واحدة من مقاولاته. وبنفس الاحتقار يتعامل مع الموظفين بالأمن الوطني والعاملين بضيعاته وسائقي حافلاته... فجميع هؤلاء يعتبرهم عبيدا يمتلك أرواحهم وأجسادهم. فهو السيد الوحيد الذي يشتري سيارات المصالح، وبأمر بطلب البدل الأمنية، ويستورد الأسلحة من الخارج، ويبني الدوائر الأمنية، ويسوي بنفسه الفاتورات.

في 1956 اشترى عددا من السيارات الفخمة والحافلات منح جزءاً منها للأمن الوطني والآخر لشركاته الخاصة. وكان دائما يقتني بنفسه كل ما يحتاجه هو أو الأمن الوطني من تجار الدار البيضاء : البدل من الدّرعي، والأحذية من عَشور، وتجهيزات المكاتب لمائة دائرة تقريبا من عند أزران.

في بعض الأحيان يحصل على أداءات من الإدارة دون أن يسترد كل أموا له. والحاصل أنه خلال سنوات صَرَف مبالغ مالية هامة. وكان دائما يبذر الأموال، لا يقيم فرقا بين حيوبه الخاصة وخزينة الدولة. لا أحد يستطيع أن يحذره مما يقوم به. يُفعل النظام الذي سهر عليه بكل استقلالية. فلا الوكيل ولا أي عضو في الحكومة يمتلك السلطة الكافية ليتدخل في هذه المخابرات السرية. المدير العام للأمن الوطني لا يخضع لأوامر وزير الداخلية، لكنه كان تحت السلطة المباشرة للقصر، وخاصة الأمير مولاي الحسن، الملك المستقبلي. كان يسير الغزاوي الأمن والمخابرات السرية، ويعطي بنفسه الهجوم من أجل تصفية المقاومين القدماء المعارضين للسلطة وأعضاء من حزب الشورى والاستقلال المنافس لحزب الاستقلال. ومن أجل ذلك الهدف أنشأ المدير القوي ملشيا لحزب الاستقلال، وإلى حد الساعة لا يعرف أي أحد كيف كان تنظيم تلك العصابة من المجرمين ومن هو رئيسها الحقيقي. إنني أعترف أن محمد الغزاوي المدير العام للأمن الوطني كان في بعض الأحيان يهيمن

على الأمن السياسي الذي تخلص من المعارضين للنظام، وعلى الملشيا التي كانت مكلفة بزعماء حزب الشورى والاستقلال P.D I. ولهذا فإن الاختطافات والاختفاءات والقتل أراح الجميع : الحكومة وحزب الاستقلال.

وهكذا اعتيل عباس المسعدي في يونيو 1956، وهو من بين قادة جيش التحرير بالشمال بمنطقة الريف. لقد كان هذا الزعيم يتوخى الاستمرار في الحرب ضد فرنسا بتنسيق مع جيش التحرير الجزائري.

اغتيل المسعدي بفاس بينما كان في الطريق ليلتقي بإحدى الفيلات بالمهدي بن بركة الذي كان يريد منه أن يكون أكثر اعتدالا. أراد الغزاوي توريط بن بركة لأنه اكترى فيلا باسمه وستشتعمل لمصلحة الحزب. وحاليا يقول كثير من المحللين والمسؤولين السياسيين، من جميع الاتجاهات، بأن الرحل قتل بأمر من بن بركة. وفي الأيام القليلة الماضية قال أحد المؤرخين وهو زكي مبارك الذي اشتغل على الوثائق القديمة التي كانت في حورة المصالح الخاصة للسفارة الفرنسية المرسلة في أوانها إلى Quai d'orsay بتورط بن بركة في مقتل المسعدي، بل إنه أكد شخصيا بانه يحتفظ بوثيقة في الأمر. أما فيما يخص الوثائق التي كان يعمل بها S.D.E.C.E والتي يتوفر «الكاب 1» على نسخ منها، فقد قرأتها وأعدت قراءتها مرات عديدة. فلا شيء يؤكد شيئا يشبه الفرضيات السابقة. كما أن المؤرخ يحيل على ذاكرة ملك للحسن الثاني حين وردت الإشارة الخاطفة التالية : «منذ أن عرفت بأن بن بركة هو من قاتلي عباس المسعدي، لم أعد أحترمه رغم أنه كان أستاذي». كل هذا هراء. فالرجال الذين اشتغلت معهم في المخابرات السرية وضعوا ثقتهم في وأطلعوني على الأرشيفات الموجودة.

لقد كانت هذه التصفية بأمر من الغزاوي. وقد نفذها ثلاثة رجال من الأمن السياسي بمقابل مادي. أراد الغزاوي التخلص من المسعدي

ففكر في رمي عصفورين بحجر واحد، تركيع الشمال وتلويث سمعة المهدي بن بركة الذي أصبحت تكبر مكانته في الحزب. وبعض بارونات حزب الاستقلال كانوا يتمنون وضع حد للحياة السياسية لهذا المزعج. فإذا كان بن بركة متورطا، بحيث سيقدم إلى المحاكم ثم سيحكم عليه، ستتوقف حياته السياسية هنا. لكن القرار النهائي ينبغي أن يتخذه الملك محمد الخامس. تردد الملك ثم طلب من المعنيين عدم متابعة الرجل.

مارس رحال الغزاوي الاختطاف والقتل. حابوا البلاد كلها بتصريح خاص لم يتمكن أي كان من الشرطة أو الدرك توقيفهم أو مساءلتهم حول الطبيعة السرية لأنشطتهم. كانوا يركبون سيارات قوية أخذوها من المستودع الخاص بعائلة الغزاوي، يطوفون البلاد بأرقام مزورة وبعضها يحمل علامات « W » مزدوجة.

بدأت العمليات تثير الرأي العام، بحيث سارعت أسر بعض الضحايا أو المختطفين في واضحة النهار إلى وضع شكايات في الموضوع. لكن البيروقراطية حالت دون ذلك.

في غالب الأمر يرسل الوكيل مراسلة مكتوبة في ورقة صفراء إلى رجال الأمن، لكن هؤلاء يجيبونه بالسلب، وبذلك يوضع الملف في الرفوف.

الشكايات المرسلة إلى العمال أو وزير الداخلية مباشرة ترسل إلى النيابة العامة صحبة ورقة زرقاء كتب فيها : « الرجاء إعطاء أمر لفتح تحقيق » ثم يتعطل ذلك الأمر فيما بعد.

أما الشكايات المرفوعة إلى الديوان الملكي فإنها تحول إلى وزير الداخلية مصحوبة بورقة بيضاء تحمل الرمز المذهب للقصر الملكي والإشارة التالية : « هناك يمكنكم فتح تحقيق فوري إلى جانب الوكيل »، وبعد ذلك لا يتم أي شيء.

أما العائلات التي كانت محظوظة بمعرفتها لبعض الشخصيات البارزة فقد كانت تستقبل من طرف مولاي الحسن أو الملك محمد V نفسه. بعد المقابلة يهاتف الأمير ولي العهد وزير الداخلية والمدير العام للأمن الوطني طالبا منه القيام ببحث في الموضوع. تم يصيغ رئيس الديوان الملكي ملاحظة ملخصة ويرسلها إلى وزير الداخلية. لا تخضع هذه المراسلة للمسارات العادية ذات الألوان حتى تصل إلى فرقة الشرطة القضائية المكلفة بالبحث الجهوي. فلا التوجيهات الملكية ولا الوزارية، ولا أوامر الوكيل تسمح بمتابعة التحقيق القضائي في بعض الشكايات، بحيث إن مئات من التحقيقات عرفت نفس المسار لكن ولا واحدة منها توبع التحقيق فيها.

* * *

لازلت أتذكر حالة بنحمو الفَاخْرِي، هذا المقاوم الذي اغتنى كثيراً، بمختلف أنواع الإتجار وبيع الكحول بحي المعاريف بالدار البيضاء. فقد تورط في مؤامرة مصطنعة من ألفها إلى يائها. في بداية 1960 كتبت الجريدة الأسبوعية phares التي كان يديرها أحمد رضا اكديرة وهو الرجل المقرب من السلطة، الوزير المستقبلي للداخلية والفلاحة، هذا الخبر البراق : «رجل مؤثر من المقاومة مثل من تلقاء نفسه أمام رجال الدرك، سيدلي بتصريحات بكل تلقائية. هناك مؤامرة محبوكة بدقة تستهدف اغتيال ولي العهد مولاي الحسن».

كان رجال بارزون من المعارضة كالمهدي بن بركة ومحمد البصري، الذي كان في السجن، ورغم ذلك اعتبروا من المشاركين في المؤامرة الخيالية. في 23 فبراير قالت جريدة باللغة العربية بأن الفقيه البصري كان يوجه العملية من داخل زنزانته، لكن العقل المدبر هو المهدي بن بركة، بينما هو الآن هارب إلى فرنسا : «فهل ستطلب الحكومة من فرنسا إمكانية توقيفه؟» تساءل الصحفي. ومن بين المتهمين الآخرين نجد عبد الرحمان

اليوسفي وبحمو الفاخري... خلال أسابيع قليلة كان هذا الرجل يرأس نادي كرة القدم لنجم الشباب الرياضي البيضاوي، .E. J. S. C وقد أراد أن يهين الأمير مولاي الحسن الذي أسس فريقا. لكرة القدم داخل القوات المسلحة الملكية يسمى .F.A.R، وهو الفريق الذي سينافس نجم الشباب البيضاوي. التقى فاخري الملك المستقبلي بالمستودعات دون أن يتحدثا.

عملت المخابرات السرية على دس رجال أمن من بين المساهمين في فريق لنجم الشباب البيضاوي. كان رجلان يحضران الاجتماعات الأسبوعية ويسجلان بآلات تسجيل كل ما كان يفوه به بنحمو الفاخري. يكفي أن تذكر أمامه العائلة الملكية لينهال عليها بالسب والشتم. ولذلك لم يبق سوى وضع الدليل لإلقاء القبض عليه ... مع العلم أن رجال الأمن استمعوا إلى الشتائم التي قالها في حق العاهل والعلويين. وهو ما يشكل بحد ذاته جريمة في نظر القانون لأنه فحسب الدستور فإن شخص الملك مقدس.

قام رجال الأمن العاملين بالمخابرات السرية بما هو أكثر من ذلك. لقد أخفوا أربعة أكياس مملوءة بالأسلحة والقنابل اليدوية بضيعة يملكها الرجل بخميس الزمامرة – كانت عملية بسيطة جدا إذ جاء رجال الأمن وهم يركبون سيارة لاند روفر "Land Rover" يطلبون من الحارس الموجود وحده هناك الذهاب إلى القرية لجلب شيئا من اللحوم وخمر المائدة. كان الحارس يعرف جدا إثنين من رجال الأمن لأنهم أصدقاء بن حمو الفاخري. والسوق يبعد عن هناك بعشرين كلم تقريبا، بينما هو في طريقه على دراجته إلى القرية كانت الأسلحة تدفن في المكان. وفي اليوم الموالي ثم التفتيش بحضور بن حمو الفاخري فاخري وهو ما مكنهم من العثور على الأسلحة. كم كانت دهشته كبيرة، وكم حاول إقناعهم بأن هذه الأسلحة لا تنتمي إليه. لكن أحد رجال الأمن، صديقه قديم في المقاومة، أجابه بهدوء قائلا :

ـــ إذا لم تكن هذه الأكياس في ملكيتك إذن فهي أكياسي ؟ أنت صاحب الضيعة، أنت تحاول اغتيال ولي العهد مولاي الحسن، ولذلك خبأت في مكان آمن هذه الأسلحة حتى تتمكن من تنفيذ المؤامرة صحبة أصدقائك.

اختلت تلك الأسلحة من القاعدة الأمريكية بالقنيطرة بمساعدة ضابط متقاعد أمريكي الدي صار مسؤولا عن المرقص الليلي الأمريكي Le Fleet، حيث يأتي هناك جنود العم سام لتبذير أموالهم. هذا الضابط العسكري الأمريكي القديم لم تمسه الشرطة العسكرية الأمريكية بسوء رغم ممارسته لتجارة غير مشروعة مدة اثنتي عشرة سنة.

أمام «الحجج» المتراكمة حكم على بن حمو الفاخري وبعض أصدقائه بالإعدام فاطلق عليهم الرصاص بشكل سريع.

لم تثر هذه القضية أية ضجة إعلامية، ولم يطلع الجمهور عليها إلا بعد مرور عدة شهور. ولم يرتفع أي صوت ليدافع عن المتهمين المظلومين سواء بالمغرب أو الخارج. ففي الخارج كان بنحمو الفَاخْري غير معروف وفي المغرب كانت الملاحقات المتعددة داخل المعارضين قد أخرست الأفواه.

* * *

خلال شهر يوليوز 1960 عين الملك محمد الخامس محمد الغزاوي مديرا عاما على المكتب الشريف للفوسفاط. بالنسبة للقصر فإن للصبر حدود، فتصفية الحسابات والاختطافات والاغتيالات صارت واضحة بالإضافة إلى أن الضحايا أصبحوا إلى جانب أعداء حزب الاستقلال. لقد جاءت أيضا اللحظة المناسبة لعزل الغزاوي رغم أن حزبه خسر كثيرا؛ إذ قبل شهور إنفجر الحزب. فتحت قيادة الشاب بن بركة سيتخرج

جيل من رجالات السياسة التقدميين لتأسيس حزب جديد تحت اسم U.N.F.P. الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

اصيب الغزاوي بغضب شديد فهو لم يكن يعتقد أنه سيغادر المنصب في يوم من الأيام. لذلك دخل في صمت طويل خلال شهور. فقد شعر بأن مهمته لم تنته. لم يمنعه الإنهاك من أن يقود صحبته خمسة رجال شرطة من الأمن السياسي، جميعهم كانوا متورطين في قضايا شائكة. كان يقول الغزاوي بأن هؤلاء سيؤمنون حمايته هو وأسرته. في واقع الحال كان يريدهم بجانبه لحمايتهم من المتابعة أمام المحاكم. بحيث أنه خلال أربع سنوات كاملة عاشت البلاد أحداث اختطاف واختفاء شخصيات سياسية كعبد القادر برادة وعبد الواحد العراقي وعباس المسعدي وغيرهم.

فمن هؤلاء الرجال (الأمن الخمسة) نجد ثلاثة منهم أميين بالكامل تمكنوا من تكوين رصيد مهم بالفوسفاط خلال سنوات الثمانينات، بحيث تقاعدوا على منصب يعادل اطار مهندس بعد أن استفادوا طيلة أكثر من عشرين سنة من فيلات فاخرة وسيارات وظيفية.

* * *

في ابريل 1960 في آخر كلمة لمحمد الغزاوي، في الاجتماع الدوري للإدارة العامة للأمن الوطني الذي كان يترأسه، أشار محمد الغزاوي بأن العمارة الكبيرة التي سيشيدها بزنقة مولاي ادريس بالرباط قد اكتمل بناؤها ولم يغفل التجهيزات وشراء خمسين سيارة من نوع بوجو 403 سوداء التي ستوضع جميعها تحت تصرف الأمن لتعويض عربات متقادمة مستعملة منذ سنوات. فهذا الميز غير العادي كان مخصصا في جزء منه المخابرات السرية والتي كانت إلى حدود هذه اللحظة تمتاز بالفوضوية بكل من الرباط والدار البيضاء. لقد نبه المستشارون الفرنسيون العاملون ب S.D.E.C.E المدير العام للأمن الوطني بإعادة

هيكلة هذه المصالح وأن يعمل رجال الأمن على ملفات وأرشيفات وتقارير تمكنهم من مراقبة تنقلاتهم وأوقات حضورهم وغيابهم، وباختصار إدخال شيء من النظام. وأولى هذه الإجراءات أن ينتقل المسؤولون الأساسيون إلى الرباط، ومن أجل أسباب أمنية، سيسكنون بعمارة جديدة توجد بالرقم 4 بزنقة مولاي ادريس، أمام مكاتبهم الجديدة بالتحديد.

لم يستغل محمد الغزاوي البنيات التحتية التي وضعت في آخر لحظة بالإدارة. فالمخابرات السرية تسير بدونه، وتحضيرا للإمساك بجميع الأحداث والسلط بين يديه، وضع على رأس الأمن الوطني الكولونيل محمد أوفقير الرجل القادر على إطفاء ثورات الريف والعمل في المصالح الخاصة السرية لولي العهد.

ترك الأمن السياسي مكانه «للكاب I»، الديوان رقم I. وقد كان المدير العام للأمن الوطني مآزرا بمكاتب متعددة. كان كل واحد منها مختصا في وظيفة تختلف عن الآخر. ففيما يخص «الكاب I» فقد نودي على خبراء أمريكيين من .C.I.A جاؤوا لتكوين الشباب من رجال الأمن والإشراف على هيكلة المصالح. وعلى العموم فقد كان الهدف هو تحقيق نتائج ملموسة، والتحكم في الوضعية على مستوى الأمن الداخلي وتحييد الأحزاب والنقابات وإسكاتها.

وصل الكولونيلات سكوت وستيف ومارتان (بأسماء مستعارة) إلى الرباط في خريف 1960. كنت أعرفهم جيدا عن بعيد. إنهم ثلاثة ضباط من المخابرات السرية الأمريكية يتكلمون الفرنسية والعربية بطلاقة، يمتلكون تجربة كبيرة في مجال الاستعلامات والتقتيل.

كانت للكولونيل سكوت قامة قوية وشعره أسود، وعينان سوداويتان، ثخين الحاجبين، وينمو الشعر على ذراعيه، ويرتدي نظارتين سوداويتين وقميصاً مفتوحاً على صدره ووزرة يشبه المغني ديميس

روسوس Demis Roussos . له دراية بفنون الحرب. وكان مختصا في العمليات التقنية . فقد مارسها في إسرائيل وإيران وتركيا ولبنان وأمريكا اللاتينية . وهو من كان يشرف على تكوين رجال الأمن المكلفين بالعمليات التقنية واقتفاء الأثر والاختطافات.

اما الكولونيل ستيف فقد مارس في صغره الملاكمة في الوزن المتوسط. لم يخف أشياء كثيرة، وكل ما حازه يأتي من توجهه نحو (C.I.A) حين صار بفضلها متخصصا في الرمي والمتفجرات والأسلحة التي يجمعها بحب كبير. كان شعره قصيرا ويميل إلى اللون الأشقر، وعيناه زرقاوان ينظر إلى العالم من خلف نظارتيه الشمسيتين، ويشبه كثيرا الممثل ستيف ماكوين Stève Mc Queen، ومنه جاء لقبه. كان يحس ببعض الضيق، وقد ركب مجازفات كثيرة بالنظر إلى وظائفه. لا يتردد في زيارة المراقص الليلية والبقاء فيها إلى الفجر. كان يكون « بالكاب I » نخب الرماة والمتخصصين في الطرود الملغومة. كما كنا نجد عددا كبيرا من ضباط الأمن الآتين من القصر الذين كانوا يتواجدون مع الكومسير بودريس أول حارس شخصي للملك، ثم تحت أوامر الكومسير سميرس الحارس الشخصي للملك في سنة 1971 و1972، وفيما بعد محمد المديوري، الحارس الشخصي المشهور للحسن الثاني خلال عشرين سنة خلت.

وأخيرا نجد الكولونيل « مارتان » Martin الذي اشتغلت إلى جانبه مدة طويلة بلغت سبع سنوات. كان صاحب قامة طويلة بلغت مترا وتسعين سنتمترا، يحلق شعر رأسه على طريقة واقفة. له عينان بنيتان، وقامة على شاكلة الممثل الفرنسي « فليب نواري » Philippe Noiret . كان أنيقاً يرتدي ربطة العنق وكسوة. وكانت علامات الجمال بادية على وجنته اليمنى. وكان متخصصا في الاستخبارات. ساهم سنة 1948 في تأسيس الموساد، الجهاز الإسرائيلي الخطير، حيث كان يشغل منصب مستشار هناك مدة ثلاثة سنوات. وفي سنة 1953 انتقل للعمل بطهران،

حيث تواطأ هناك ضد حكومة محمد مصدق حتى يسمح لشاه إيران، الذي كان بالمنفى، بحكم امبراطوربته. وكان بين 1955و1958 بكوريا الشمالية قبل أن يتوجه إلى كوبا، حيث تابع انهيار نظام الديكتاتور باتيستا واستيلاء فيدبل كاسترو على السلطة. «بالكاب 1 »، بتظاهر مارتان بالنجاعة والجدية وضبط الوقت، كما كان يتابع عن قرب جميع الأنشطة التي تقوم بها مصلحة مكافحة قلب النظام. كان يحضر إلى مكتبه مع النامنة والنصف صباحا قبل أن يدخل الجميع، ولا يغادره إلا في الساعة السابعة مساءً. حاء ليكون جميع العاملين بهذه المصلحة بما فيهم الرئيس محمد العشعاشي، الذي استفاد هو الآخر من تدريب بمقر C.I.A بالولايات المتحدة الأمريكية. فقد كان يخطط صحبة العشعاشي ويعملان معاً على تحييد الأحزاب السياسية والنقابات وعلى إسكاتها، وهو ما جعلهما يحرزان نتائج باهرة. كما كان رجل الأمن الأكثر نجاعة بالمقارنة مع زملائه الآخرين العاملين بالمغرب.

* * *

في لحظة مغادرة محمد الغزاوي بلغ عدد رجال الأمن السياسي ثمانين رجلا تقريبا، وقد فضل الأمريكيون إرسال الجميع للالتحاق بالأمن الوطني ولم يختاروا إلا خمسة كنت واحدا من بينهم. اُختير حوالي مائتي رجل أمن من المغرب كله حسب معايير محددة. ووزعت الملاحظات مدونة من طرف S.R.D.G.R المصلحة الجهوية للتوثيق العام والتنظيم، وقام بذلك العمل .S.C.T.I.P وهي مصلحة التعاون التقني الدولي للأمن، وهي مصلحة فرنسية مكلفة بتكوين رجال الأمن بالمغرب وغيره من الدول.

منذ تلك اللحظة يمكننا البدء في تكويننا داخل أسوار مدرسة توجد بالعمارة الجديدة بزنقة مولاي إدريس. يحتوي البرنامج على تدريب عام من أربعة أسابيع ومرحلة تخصص من ثمانية أسابيع.

لا وجود لقانون حنائي أو جزائي ولا لقانون دستوري في الدروس التي تعطى لنا. فالرجال المستقبليون في المخابرات السرية ليسوا في حاجة لمعرفة الإجراءات وقوانين البلد. لقد علمنا الخبراء الامريكيون الثلاثة كيف يمكننا القيام ببحث دقيق، والقيام بتقرير الاعتلام Rapport de Repérage، والمطاردة La Filature بشكل سري أو مفتوح، وفتح المراسلات واستعمال الطرود الملغومة، وتحييد أنظمة المراقبة، والدخول إلى منزل بدون تكسير أو ترميز المراسلات واستعمال جهاز فوطوغرافي بدون أن يدرك أي كان ذلك، واختيار مصدر للمعلومات واستعماله... دون أن نغفل حصص الرمي واستعمال المتفجرات والتحكم في القواعد العامة للحماية عن قرب.

أثناء هذا التدريب تعرفت على الإخوان العشعاشي، وهما من وجدة. فمنذ توظيفهما سنة 1956 في الأمن الوطني، تمكن عبد الحق الأخ الأكبر من الحصول على رتبة ضابط، بيسما كان محمد وهو الأصغر كومسيرا. عائلة العشعاشي من البورجوازية المحلية الصغيرة التي لها علاقات كثيرة مع أسر جزائرية مقيمة بوجدة. ومن بين الوطنيين الجزائريين بوجدة نجد رجلا اسمه عبد العزيز بوتفليقة الرئيس الجزائري الحالي. كان أب العشعاشي وأب بوتفليقة معا تجار بالجملة بالسوق الكبير للفواكه والخضر. إنه لقاء له معانيه، خاصة وأن في هذه اللحظة بدأت الحرب الجزائرية الفرنسية. ونظرا ما لهذه العلاقة فقد تمكن الإخوة العشعاشي من الحصول على معلومات مهمة، وقاما بكتابة تقاريرذات قيمة ورفعاها للمديرية العامة للأمن الوطن. وهكذ بدأ اسمهما يلمع عند الكبار في الرباط.

كان العشعاشي الأصغر البالغ من العمر أربعة وعشرين سنة في 1960، هو الذي اصبح رئيسي المباشر. حسب الكولونيل مارتان فإن هذا الرجل سيكون له شان كبير في مصلحة مكافحة قلب النظام

فهو مثل رؤساء سواك الإيراني والموساد الإسرائيلي. إنه العشعاشي الذي عمل على تحييد، تكميم وتلجيم واسكات المقاومين السابقين بدون عنف إضافي، الذين كانوا يطالبون بأشياء كثيرة. كان يفكر في إغراقهم في بحر من البشر لا علاقة لهم بالمقاومة، منهم كثير من رجال الأمن. في سنة 1956 أحصى ما يقارب أربعة آلاف وخمسمائة مقاوم حقيقي. وبعد التطهيرات الكبرى لم يبق إلا ثلاثة آلاف وسبعمائة منهم. فحسب مخطط العشعاشي سيتضاعفون، وهم الآن يبلغون أكثر من ثمانين ألف مقاوم.

* * *

دخل رجال الأمن المختارون للعمل في « الكاب 1 » في بنية معقدة تحت إشراف الخبراء الأمريكيين. قسم هؤلاء أنشطة المخابرات السرية إلى ستة أقسام مستقلة ومتكاملة فيما بينها.

1- قسم مكافحة قلب النظام

هو القسم الأكثر أهمية من الآخرين، الذي اشتغلت به كتائب رئيس الفرقة المكلفة بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية U. N. F. P. كان يسيره محمد العشعاشي، لكن تحت إشراف الكولونيل مارتان، خصص لهذا القسم وحده مائة وثلاثين من أصل مائتي رجل وظفوا في « الكاب 1 ». كما أن مهمته كانت واسعة منها مكافحة العناصر الراغبة في قلب الملكية، وتحييد الأحزاب والنقابات وتكمامها وإسكاتها وتلجيمها، والتحكم في مصادر الخبر.

2- مصلحة مكافحة التجسس

كان تهتم بمراقبة السفارات الموجودة في المغرب، والموظفين العاملين بالسفارات والقنصليات وتعمل على التعرف على عاداتهم وعلاقاتهم وتحصيل معلومات مؤكدة من مصادر موثوق بها واقتفاء أثر الأجانب

الذين يجتمعون بالمعارضين المغاربة. كان على رأس هذا القسم فريقا من رحال الأمن يبلغ عددهم عشرة رجال، ويرأسهم الكومسير على بن تاهيلا، وهو من أصل رباطي، يبلغ من العمر أربعة وعشرين سنة عين بالإدارة العامة للأمن الوطني منذ أول يوم. غادر بنتاهيلا «الكاب 1» في سنة 1967 فصار رئيسا للأمن الإقليمي بالدار البيضاء لعدة سنوات. وفي بداية سنوات التسعينات عاد إلى الرباط كرئيس ديوان المدير العام للأمن الوطني. اخذ تقاعداً قبل الأوان سنة 1993؛ إبان مشكل الكومسير ثابت المحكوم عليه بالقتل لهتك حرمات العشرات من النساء.

3. مصلحة العمليات التقنية

تنفد جميع الأوامر الآتية من مصلحة محاربة التجسس أو مصلحة محاربة قلب النظام مكافحة قلب النظام، وتهيء للاختطافات التنصت على المكالمات الهاتفية والاستماع فتح المراسلات الموجهة للمعنيين واقتحام الشقق والفيلات. وعلى العموم فهي تهتم بكل ماله علاقة بالميدان.

كان الثلاثون رجل أمن بهذه المديرية يعملون تحت إمرة الكومسير عبد الحميد جسوس، وهو من أصل شمالي، ويبلغ من العمر أربعة وعشرين سنة حينما تحمل المسؤولية، كما مارسها كرئبس لمصلحة جهوية للتوثيق العام. غادر المديرية سنة 1966 ليعوض بالتونزي ميلود. عين جسوس رئيسا للأمن الجهوي بطنجة قبل أن يأخذ تقاعده سنة 1996. إنني أحتفظ بخصوص هذا الرجل بذكريات طيبة، فقد كان رجلا بشوشاً وخدوماً.

4. المصلحة الإدارية والمالية

تهتم بالتوظيفات ومشاكل الموظفين وبالتداريب التكوينية. كان ثلاثة رؤساء يتقاسمون المهام فيما بينهم وهم: سكيرج ودلبمي في البداية، والعشعاشي الأكبر فيما بعد.

كان العشعاشي عبد الحق يبلغ من العمر ستة وعشرين سنة، وهو كومسير ناجح وكفء إلا أنه كان متكبراً ومغرورا، يهوى السّجار والويسكي، وصاحب ذوق رفيع، للسيجار هافانا .

أما رشيد سكيرج فقد كان يبلغ من العمر خمسة وعشرين سنة، وهو كومسير كفء. ولد بطنجة، شغل فيما سبق منصب رئيس مصلحة بإدارة الأمن الوطني، وكانت له علاقة وطيدة بالخبراء الفرنسيين التابعين لمصلحة التعاون التقسية الدولية المهتمة بمتابعة الأطر الأمنية المغربية بجميع الأقاليم وتضع تقارير عنها .

أما أحمد الدليمي ابن لحسن الدليمي عميل S.D.E.C.E. ما بين 1948 و1956، كان ضابطاً بالجيش الفرنسي. تمثل نجاحه في مشاركته إلى جانب محمد أوفقير في مجازر الريف خلال الثورة الشعبية سنة 1958 . كان يبلغ من العمر في بداياته « بالكاب 1 » تسعة وعشرين سنة، كان احتياطيا منعزلا وناجحا . وباختصار إنه فرد بدون رونق . كانت له أذواق تتمثل في الشقق المغلقة وشبكات العاهرات المنظمة والمراقبة من طرف المخابرات السرية . لقد بين بسرعة كبيرة عن طموحاته غير المحدودة، وذلك ما كان يحبه أوفقير كثيرا، خاصة وأنه كان لا يرى في رجال الأمن إلا صورته الخاصة ... منذ الدورة الثانية من سنة 1961 عين الدليمي كرئيس للمصلحة الإدارية والمالية، وذلك ما سمح لهذا الأخير بتخصيص وقته كله للصندوق الأسود « للكاب 1 » . حيث كان في حاجة ماسة إليه ليقتني الضيعات والشركات عبر مجموع التراب الوطني . وفي سنة 1963 عين الدليمي رئيسا مساعداً « للكاب 1 »، وفي سنة 1964 مديرا عاما مساعدا للأمن الوطني، حيث أصبح الرجل التاني بعد أوفقير . وبالنظر لعلاقاته وثروته تدخل لحسن الدليمي ليقدم دفعة لابنه . أمام هذا الحو غادر رشيد اسكيرج المغرب ليستقر بالجزائر وفرنسا حيث اختضن كلاجئ سياسي .

5 ـ المصلحة الأمنية

كان دورها هو مراقبة سكنيات « الكاب 1 » حيث كان يسكن المسؤولون، ومنها ڤيلات محمد أوفقير وأحمد الدليمي، ثم النقط الثابتة وأمكنة الاعتقال غير القانوني، كان على رأسها بدر الدين بنونة، وهو رجل بارد الطبع، يحب الانزواء ولا يسعى إلى صداقات ما. كان آنذاك يبلغ من العمر ستة وعشرين سنة، وعين قبل ذلك ككوميسير للشرطة القضائية. غادر « الكاب 1 » حوالي 1966 وصار نائب رئيس الفرقة الوطنية للشرطة القضائية المغربية بالرباط. ثم رئيسا للأمن بعدة مدن كبيرة مغربية قبل أن يتقاعد في سنة 1995 ليتفرغ لمشاريعه التجارية الأخرى. وللإشارة فإن كثيرا من وظائف هذه المصلحة كانت تنفلت من مراقبة بدر الدين بنونة، فمن بين الثمانين رجل أمن الموجودين بالمصلحة الأمنية بالمصلحة الأمنية تجد كثيرا منهم تابعين إما لأوفقير أو الدليمي. وقد عين خمسة وثلاثون منهم ضباطا، مع العلم أن غالبية هؤلاء الجدد يجهلون الكتابة والقراءة كليا، فقط كان لهم شرف الجذور القبلية التي ينحدر منها أوفقير أو من سيدي قاسم منطقة الدليمي. بعضهم لم يضع رجله أبدا « بالكاب 1 ». فمنهم الضابط البُسْتَاني، والسائق والفلاح. وظفوا لخدمة الكبار. ورغم ذلك فقد وظفوا ضمن سلك الوظيفة العمومية ويأخذون علاوات أو تعويضات عن الأخطار وتعويضات عن التنقل كجميع الكوميسيرات وضباط المصلحة.

6 ـ مصلحة الشؤون العامة

كانت هذه المصلحة مكلفة بالاتصالات خارج « الكاب 1 » مع وزارة الداخلية، مع إدارة الأمن الوطني، ومصالح الأمن الإقليمي ومع قسم الاستعمالات العامة في الرباط. كانت تقوم بالبحث والتحقيق في بعض الحالات وترسل تقارير إلى المصلحة مكافحة قلب النظام.

في هذه المصلحة يوجد عشرة رجال الأمن يعملون تحت مسؤولية الكوميسير محمد بن عبد الله الذي يعود أصله إلى مدينة وجده، وكان يبلغ من العمر 25 سنة في بداية عمله في « الكاب 1 ».

في سنة 1966 غادر « الكاب 1 » وعين على رأس عدة مصالح الإقليمية قبل ان يعين في الثمانينات كمدير مساعد في D.S.T .

في سنة 1995 تقاعد هذا الكوميسير واستقر في مدينة وجدة.

* * *

ازدادت الوضعية سوءا مع السنوات. ففي 1967 كثر عدد رجال الأمن بالكاب 1. حيث قيل بأنه وصل تسعمائة. منهم من يشتغل بالضيعات المملوكة بشكل غير قانوني، سواء من طرف محمد أوفقير أو أحمد الدليمي. كذلك من طرف الغازي نعزات رئيس مديرية المصالح الإدارية والمالية. إنه نظام مبني على الرشوة بالدراجات يسمح لرجال الأمن المزورين والفلاحين بالانخراط فيه. عشرون ألف درهم من أجل الحصول على رتبة كومسير، وعشرة آلاف درهم من أجل رتبة ضابط، وخمسة آلاف، من أجل الانتساب للمفتشين أو حراس الأمن. كل ذلك لا يتطلب اي دبلوم ولا مراقبة قانونية. البعض من هؤلاء تم قبولهم بأوراق هوية مزورة كبطاقة التعريف الوطنية أو عقد الازدياد، منهم من صرح بأنه في السنة الثلاثين أو الخامسة والثلاثين من عمره بينما عمره تجاوز الخمسينات. بعضهم حكم عليه مرات عديدة لممارسته الاعتداء واللصوصية أو ما شابه ذلك! أتذكر حالة واحد من هؤلاء، وهو من سيدي قاسم، كان يشتغل في تهريب الكنابيس (kif)، كما كان متورطا في محاولة قتل رجال الدرك. وكان مبحوثا عنه من طرف الأمن الإقليمي بكل من مكناس وفاس والقنيطرة والدار البيضاء، ورغم ذلك وظف كضابط أمن ! فتقديم عقد ازدياد لواحد من بين ثمانية إخوة وتحويل مبلغ مالي مهم لأب أحمد الدليمي يسمح بالتعيين حسب الطلب الموجه لمصالح P.J. بالرباط.

* * *

في 1960، ومن أجل الرفع من أداء «الكاب 1» أحدثت ست فرق للأمن في المدن الرئيسية للدولة بالدار البيضاء مراكش بني ملال فاس وجدة وتطوان. تمثل دورها في مكافحة قلب النظام، وكانت تمدنا بمساعدات كالتقارير والاستحبار. والبحث السري، والتهيئ للخطف والاعتقالات غير القانونية للأفراد الذين يعتبرون خطيرين وتقدم دعماً ميدانياً للمصالح الثلاث النشيطة : المصالح التقنية، ومصلحة مكافحة قلب النظام ومكافحة التحسس. كما كانت كذلك تهتم بمراقبة المنازل المغلقة. ومن بين مهامها كذلك جمع الأموال المخصصة للصندوق الأسود «الكاب 1» تم نقلها إلى الرباط كل أسبوع.

كانت فرقة الدار البيضاء تتألف في سنة 1960 من ثلاثين رجل أمن. وفي 1967 ارتفع العدد إلى سبعين. كان يسيرها جميل الحسين ومساعده امحمد عينان M'hamed Ainane. قام هذان الرجلان بعمل جبار بالدار البيضاء إذ استطاعا توظيف عدة مخبرين مهمة داخل مكاتب النقابات وقيادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. فمن رجل أمن بسيط ارتقى جميل الحسين مباشرة إلى كومسير ممتاز سنة 1964، وهي حالة خاصة في المغرب، لكنه يدين كثيرا في هذا الأمر للدليمي وأوفقير. وبعد ثلاث سنوات اقترح من طرف الدليمي ككومسير ديفزيونير رغم ما لحق بالصندوق الأسود من مشاكل مالية.

عينان كان من جهته رجل أمن جيد يتوفر على تجربة بالمصلحة الجهوية العامة للتوثيق. عمل على توظيف مصادر مهمة للخبر. كان رحلا لينا محبوبًا متخلقا ارتقى إلى مرتبة كومسير مع نهاية الستينات، وتوفي مع نهاية 1999 بعد مرض طويل.

كما وجب التذكير بأن بعض أعضاء الفريق كانوا يعملون لمصلحتهم الشخصية. فمنهم من كان يختطف بعض أغنياء المدينة

أو بعض العاهرات الجميلات اللواتي تحتجزن لعدة أيام بفيلا بالدار البيضاء، ثم يطلق سراحهن في سرية تامة. فإذا كان رئيسا الفرقة الأمنية بالدار البيضاء يجهلان ذلك مقابل فدية، فإن مسألة العاهرات عكس ذلك، فهن فرحات لأنهن فلتن بأعجوبة من موت محقق وبسيط. ثم إنهن تعرفن على أفراد يمتلكون الوسائل التي تمكنهم من سحقهن، ولهذا السبب لم يغامرن بوضع شكاية ضدهم.

أما الفرق الأخرى فمنها فرقة مراكش التي كان يرأسها الكومسير حومادا. وكانت هذه المنطقة هادئة بالمقارنة مع المناطق الأخرى، ولم تعرف أنشطة تذكر، نقابية أو سياسية. ثم هناك فرقة بني ملال بقيادة الكومسير علابوش، وفاس بقيادة احميدة إبن عَبْدِ الله، وأخرى بوجدة كان يرأسها محمد سوسي، وهي نشيطة لقربها من الحدود الجزائرية المغربية، وفرقة أخرى بتطوان يديرها ضابط الأمن شرايبي. كانت هذه الفرقة، الأخيرة، لا تهتم كثيرا بالسياسة لأنها كانت تهتم بشبكات تهريب الحشيش والسجائر والخمور.

كثير من هؤلاء الرجال كانوا يتحركون بتصاريح ممضاة من طرف الدليمي بالرباط همُّهم هو جمع الأموال، وكل ذلك من أجل تمويل الصندوق الأسود.

* * *

في خريف 1960 كانت «الكاب 1» بشعبها على أتم الاستعداد للعمل. وأنا ألج مكاتبي بـ 5 مكرر، زنقة مولاي إدريس، رفقة الكولونيل مارتان أسبح في ركام من الملفات لم تفتح إلى حد الساعة، وهي كلها موروثة عن العهد القديم للأمن السياسي.

فن معالجة المخبرين باليد

كان مجال عملي هو مكافحة قلب النظام. إنه برنامج واسع. ففي المرتبة الأولى، كان الكولونيل مارتان يستلم الملفات الموضوعة لدى الإدارة العامة للأمن الوطني ثم يحملها « للكاب 1 ». وبعد شهور معدودة، ومع تضخم المهمة، طلب الأمر من محمد العشعاشي ان أكون تحت تصرفه صباح كل يوم حتى أساعده على قراءة وتحليل هذا الكم الهائل من الوثائق. تردد العشعاشي في البداية ظنا منه أنني لن أكون عند حسن الظن، لكن الأمريكي الح بشدة. لم يكن يرغب في أي أحد آخر غيري.

في كل يوم، من الثامنة والنصف إلى الثانية عشرة زوالا، كنا أنا ومارتان ننتقل من اكتشاف إلى آخر. فالغزاوي الذي كان غير منظم ترك لنا أرشيفا مبعثرا بشكل كبير. تغطيه طبقة من الغبار. هناك فاتورات محاسباتية للشركات التجارية، وأوراق قديمة تعود إلى عهد الحماية، وتقارير أمنية، ووثائق موقعة من طرف المهدي بن بركة موجهة إلى قادة حزب الاستقلال، بالإضافة إلى ملفات أخرى آتية من الأمن الوطني، وجميع الوثائق اللازمة وضعت أخيرا « بالكاب 1 » كالأرشيفات الهزيلة التي كانت محجوزة بالدائرة VII بالدارالبيضاء والوثائق التي تعود إلى .S.D.E.C.E، وهي معظم البطائق التي أنجزها الفرنسيون وعلى وجه التحديد تلك التي تتناول بتفصيل مصادر المعلومات، وأخرى تهم العائلة الملكية، التي حولت البعض منها إلى فرنسا منذ نونبر 1955، ولم يتبق منها سوى نسخ عن مباحث

حول شباب كانوا قادة سياسيين ونقابيين. فتحليل هذه الوثائق يسلط الضوء على أماكن مظلمة من التاريخ المعاصر للمغرب.

بذهول فهمت أنه انطلاقا من الماضي فإن مكافحة التجسس الفرنسي استطاع أن يخلق بالبلد كله شبكات محصورة. فقد وضع، بعين المكان، بالمكاتب السياسية وبالدائرة للنقابة الوحيدة آنذاك، الاتحاد المغربي للشغل، مخبرين. نفس الشيء يخص محيط السلطان محمد بن يوسف، محمد الخامس مستقبلا. أما ولي العهد مولاي الحسن فقد كان تحت مراقبة ضباط ذوي خبرة عالية لهم من الكفاءة والنجاعة الشيء الكثير. لم يكن يجهل رجال .S.D.E. C.E أي تجمع سري أقيم بين السلطان وقادة الأحزاب في صراعهم ضد فرنسا. لا شيء يفلت من عين باريس، لذلك كانت التقارير ترسل بانتظام إلى المصلحة. أثناء اللحظات العصيبة للاستقلال توفرت معلومات كثيرة للمصالح المغربية، وخاصة وقت المفاوضات مع فرنسا وعودة السلطان محمد الخامس من منفاه بمدغشقر. وبالنظر للمعرفة التي كان يتوفر عليها رجال الأمن الفرنسيين فقد همشوا بعض المحاورين في مفاوضات إكس ليبان خلال شهر غشت 1955، ومن هؤلاء نجد العناصر اللامعة كالمهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد. هؤلاء هم من نادى بنزع الملكية الاقتصادية واسترجاع الأراضي من المعمرين وتأهيل الاقتصاد المغربي، وهم كباقي فئة أخرى من الشباب الذي ظل يطالب بملكية دستورانية وتشكيل حكومة وحدة وطنية وإقامة ديمقراطية حقيقية. لقد كانوا يشكلون خطرا على المصالح الفرنسية. لذلك فضلت فرنسا المفاوضات مع أشخاص يقبلون بحماية النظام الكولونيالي، ومن هؤلاء نجد رجال أعمال وتجار وبنكيين وملاكيين، وبالاضافة إلى تحكمهم في شبكات القوادة، وامتلاك الحانات والدور المغلقة.

وقد اكتشفت بالتدقيق بأن الحزبين المفاوضين، حزب الاستقلال والحزب الشورى والاستقلال P.D.I، ممثّلا بعناصر كانت لهما علاقة،

كمصادر معلومات، بالجهاز الفرنسي .S.D.E.C.E، والبقية الأخرى كانت تتكون من شخصيات معروفة ومندمجة. أما الشباب المحسوب على الماركسية اللينينية فهو في منآى عن كل ذلك. وهكذا نجح الفخ المنصوب للمخبرين المغاربة. كنت أنا ومارتان نفتح كل ملف على حدة، واحدا تلو الآخر، نقرأ كل تقرير مكتوب صفحة صفحة. إنه عمل يشبه عمل النملة. في بعض الأحيان يسجل الكولونيل الأمريكي نقطا محددة ويأخذ صورا لبعض الملفات.

إن وفرة الأوراق القديمة لاتبين فقط النشاط السياسي للمهدي بن بركة، ولكنها توضح في الآن نفسه القوة القاتلة لأعدائه. فهم كثر يغارون من نجمه المتصاعد في سماء الاتحاد. و. ق. ش. كما أن هناك مبالغة في دوره السياسي. فجميع هؤلاء المنافسين ورجال الأمن، وخاصة رجال الاستخبارات العامة، كانوا يكرهون الرحل ويضخمون من دوره.

وبشكل عام فإن التقارير كانت سميكة ومفصلة لأن في وقت اشتغال خلايا حزب الأستقلال كان من بين الحاضرين فيها رجلي أمن من الاستعلامات العامة كملاحظين. صحيح أن القياديين كانوا يقيمون تجمعاتهم بسرية تامة وينظمون حفلات تكون من بين ماكولاتها اللحوم المشوية، وكانا يوجدان بين أعضاء هذه الخلابا من أجل إثارة المناقشات السياسية، مع العلم أن المسؤولين الكبار كانوا بدورهم قد اخترقوا فيما قبل من طرف الاستخبارات الأمنية. فحينما يجمع الحزب خفية عشرين زعيماً، كان يتواجد من بينهم أربعة أو خمسة مخبرين وكل واحد من هؤلاء يقدم تقريره مفصلا. بعد استشارة ودراسة هذه الملفات من طرفي أنا ومارتان فإن معظم الوثائق توضع رهن إشارة رؤساء الفرق داخل مصلحة مكافحة قلب النظام من آجل وضع اللوائح الأولى للأشخاص الواجب مراقبتهم داخل النقابات والأحزاب، هذا من دون

أن نغفل الحراس والسائقين والطباخين والبستانيين الذين يشتغلون عند المسؤولين السياسيين، وكل من يستطيع أن يمدنا بمعلومات هامة عنهم.

* * * *

في الصباح أغوص في الملفات صحبة الكولونيل مارتان، وبعد الظهر أعمل إلى جانب محمد مسناوي في الفرقة المكلفة بمراقبة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، الحزب الذي أسسه بن بركة ونقابته الجامعية الاتحاد الوطني لطلبة المغرب.

اما الفرق الأخرى المختصة في مكافحة قلب النظام فقد كانت مهيكلة على الشكل التالي :

تكلف أحمد زيني بالمعلومات الخاصة بحزب الاستقلال وبالتنظيمين التابعين له، الاتحاد العام لطلبة المغرب والاتحاد العام للشغالين بالمغرب. وكان محمد الورديغي منسقا للمعلومات الخاصة بالاتحاد المغربي للشغل المؤسس من طرف المقاومين القدماء. وكان رشيد زولو يراقب الشيوعيين السريين.

وبعد وقت قصير التحق بنا عبد القادر صاكا، وهو الشخص الذي جاء ليلعب دورا مهما في المخابرات السرية. ولد بالقنيطرة حوالي 1937 حاصل على شهادة الدروس الابتدائية تم وظف في الأمن الوطني كضابط مساعد.

* * * *

كما أن صاكا احتل منصب رئيس إحدى الفرق الأمنية باقتراح من محمد الغزاوي، ومارس عدة عمليات سرية بأمر من رئيسه مست المقاومين القدامى. وبمساعدة احميدة اجداين أنيطت به في « الكاب 1 » مهمة ملاحقة العناصر المخربة.

كما تضمن فريقنا كذلك كل من بوجمعة بوفوس وإدريس رياني، عملا بديلين للطوارئ، واوزين محند والمكي الدكالي اللذين اشتغلا بتدبير شؤون السائقين، ومحمد العلمي المسؤول عن الأرشيف حين التحقه هنا بعلال الخامسي في سنة 1964، وأخيرا ثريا السوسي التي كانت تشغل منصب كاتبة.

هنا بزنقة مولاي إدريس كنا بالطابق الأول نشتغل في مساحة لا تتعدى 150 م^2. كان البهو مفتوحا على جهة اليمين حيث توجد اربع طاولات للاجتماع، واحدة خاصة بصاكا وأخرى بالمسناوي وثالثة لأجداين والرابعة خاصة بي. وعلى مقربة يوجد مكتب محمد العشعاشي وبجانبه خزينة حديدية مسدودة مملوءة بالنقود السوداء والملفات السرية. وفي الأمام توجد الكتابة. وهناك خُصّصَ المكان لرجال أمن آخرين. وفي نفس الطابق يوجد الأرشيف. والطابق السفلي للعمارة كان مستودعا إداريا وماليا. وفي الطابق الثاني توجد مصلحة مكافحة التجسس ومصلحة العمليات التقنية. وتتراءى لك من النافذة، هناك وراء الحديقة، في الجناح الآخر للعمارة مكاتب الدليمي وعبد الحق العشعاشي وأوفقير.

شغل أوفقير منصب المدير العام للأمن الوطني. كان لايزور دائما «الكاب 1». في نونبر ودجنبر 1960 كان يحضر اجتماعات رؤساء المصالح، لكن سرعان ما غادر هذه اللعبة التي لم يكن يفهم فيها كثيرا فهو غير قادر على متابعة تعقيدات الشبكات التي نسجتها المصالح. ثم أصبح يزور محمد العشعاشي في زيارات خاطفة خمس أو ست مرات في السنة.

لم يكن المدير العام الأمن الوطني مهتما الا بالنزر القليل من وظائف «الكاب 1»، وإذا كان يعلم شيئا فهو لايعرف بعض الشيء عن ملف قديم موروث عن .S.D.E.C.E باسمه. وإذا ما علم بالأمر فإنه سيعمل لا محالة على إخفاء تلك التقارير المرهقة.

لقد كانت الفرصة سانحة لي لأطلع على ملف رجل ضار بالجيش الفرنسي يسمى محمد أوفقير. قبل الاستقلال صار قبطانا في المملكة الشريفة مكلف باستتباب الأمن والسهر على النظام الفرنسي في المغرب. وفي غشت 1953 أي أثناء خلع السلطان بن يوسف، كافح من أجل إقناع بعض القواد والباشوات للخضوع للراية الفرنسية ووضع كل الآمال في شخص المقيم العام أگوستان غيوم.

كان معروفا بإخلاصه لذلك وظف فيما بعد كمصدر لمعلومات المصالح الفرنسية المعروف باسم مرمز هو «Dien Bien Phu». ولهذا استطاع أن يحتل منصبا يحسد عليه بجانب محمد الخامس مدفوعا في كل ذلك من طرف رجال الأمن السري الفرنسيين. وفي نونبر 1955 حينما عاد الملك إلى البلاد من منفاه الاضطراري أخذ أوفقير مكانه في السيارة المتوجهة إلى المطار يبحث عن الرمز الحي للتحرر. كان الضابط يرتدي بذلة حمراء للحرس الملكي جالسا بجانب السائق مع أنه لا علاقة له بوظيفة الحرس الملكي. فرض نفسه بسرعة: إن جهاز S.D.E.C.E كان حاضراً هنا، بحيث افرغ كل شيء حتى يكون أوفقير قريبا من الملك.

في الإدارة العامة للأمن الوطني كان يضع ثقته الكاملة في الكومسير غازي بعزات المعين في المنصب الحساس الذي هو نائب المدير المكلف بالشؤون الإدارية. لقد كان هذا المفسد يتعاطى للرشوة أمام الجميع بلا خوف، وكان يراقب وحده ميزانية الإدارة العامة للأمن الوطني .D.G.S.N.

* * *

تعلمنا أنا ومسناوي، يوما بعد يوم، بقسم مكافحة قلب النظام كيف كان يشتغل حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي هو حزب بن بركة، الحزب الأكثر شعبية والأكثر خطرا على المملكة العلوية، والعدو اللذوذ للمحافظين. كنا نبحث عن أية وسيلة للتعرف على

قادييه، ومن بينهم المهدي بن بركة، ولكن هناك من كانوا معروفين على المستوى الدولي كعبد الرحيم بوعبيد الذي قاد المعارضة المشروعة إلى داخل البلاد خلال ثلاثين سنة، والذي سجن بعض الوقت بسبب قضية الصحراء. وقد شغل منصب وزير مرتين والمتوفي في سنة 1992. ثم هناك المعطي بوعبيد الذي أسس حزب الاتحاد الدستوري وشغل منصب الوزير الأول في حكومة الوحدة الوطنية سنة 1979 والمتوفى سنة 1996، وعبد الله ابراهيم الوزير الأول المقال من طرف محمد الخامس الذي يعيش الآن في عزلة عن السياسة لأسباب صحية، ثم عمر بن جلون الوريث القوي للمهدي بن بركة المغتال سنة 1975، ومحمد اليازغي الوريث الثاني للمهدي بن بركة والكاتب العام بالنيابة للاتحاد. ش. ق. ش U.S.F.P منذ 1975 إلى يومنا هذا، ثم هناك المهدي العلوي النائب السلاوي وعبد الرحمن اليوسفي الوزير الأول في حكومة التناوب منذ 1998.

يتوجب كذلك دراسة أسماء وشخصيات المسؤولين في المكاتب المحلية بالمدن الكبرى، ومن بينهم أسماء الكتاب العامين وكتاب الأقاليم، ونواب الكتاب والأمناء والأرشيفات ومستخدمي المكاتب وإلخ ... إنها عملية بحث شاملة من أجل مراقبة العناصر المعنية ومحاولة تكوين مصادر استخبارية.

كل واحد منا كان يرسل (تلكس) إلى الاستخبارات العامة من مكان إقامته، حيث سبق له أن وضع بطاقات عن جميع المسؤولين في الحزب. كنا نتلقى نتائج هذا البحث الذي تتكلف به الاستخبارات العامة، ثم نرسل رجال أمن إلى كل جهة من أجل التوثيق. ثم يأتي وقت وضع تقرير الاستعلام (Rapport de Repérage) المكون حوالي من مائة وخمسين سؤالا الذي ينبغي أن نجيب عنه بكل دقة، والذي يتطلب اتخاذ عدة تدابير متتالية.

وبعد ذلك تكفي معالجة الملفات من أجل اكتشاف نقط ضعف المعني. كل شيء بخضع للدراسة. لا شيء ينفلت من حياته، كدراسته والتزاماته وعلاقاته منذ الصغر إلى اللحظة التي يعالج فيها الملف. كما تجب معرفة وضعيته المادية ووضعية روجته ووالديه وأصهاره. ومعرفة ما إذا كان للفرد المعنى صعوبات مالية. نسعى إلى معرفة عيوبه وهل يرتاد الحانات، وهل يحب معاشرة النساء أم الغلمان. فإذا كان المشكل يتعلق بالنقود أو بانحراف مستور يمكننا تحريك هدفنا فنرغمه على التعاون معنا. بعض الزعماء يصعب الإيقاع بهم كالمهدي بن بركة. فقد كان وفيا لزوحته ولا يشرب الخمر ولا يرتاد الحانات ولا النوادي. فكيف الإيقاع بمثل هذا الرجل ؟

تمكننا هذه التقارير الاستعلامية من التمكن من العيوب الفردية لحزء مهم من رجالات السياسة المغربية : نقود، خمر، جنس وبدرحة اقل نجد عقاقير المخدرات. ولنقل إن وسائل الإيقاع بالشخص موجودة، قد تطال بشكل خاص الأفراد الذين يرتادون هذه الحانة أو تلك. ننظم غارة في المكان المعين بقيادة الاستخبارات العامة صحبة بعض رجال أمن ذوي بذلة. بجمع كل من كان فيها من الزبائن وينقلون إلى الولاية الأمنية أوالأمن الاقليمي. في واقع الحال لم نكن بحاجة إلا إلى رجل واحد. في تلك الآونة يكون أحد ضباط الشرطة قد تعرف على المعني، فيعمل على التحرك في الممرات حتى يشاهده المسجون ...
ـــ هل انت هنا ؟ وكيف تم ان وصلت إلى هذا المكان ؟

يتبادلان الكلمات، ثم نمر إلى الإسفنجة، يحاول رجل الأمن تحرير المعني، وهكذا يصير مصدرا للمعلومات.

لكن المكان الذي لا يضاهى هو الشقق. لقد عانى المعطي بوعبيد منها. لقد كان الرجل محاميا وعضوا في الكتابة الوطنية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية بالدار البيضاء والرباط، وكان كذلك رئيس ناد بيضاوي لكرة القدم. وبواسطة أحد إخوتي، وهو أمين الجامعة الملكية المغربية

لكرة القدم، تمكنت من الدخول معه في علاقة. إنه لقاء لا قيمة له كما يظهر من الوهلة الأولى : لست سوى تاجر مهووس بالكرة المستديرة، وكما لو كانت صدفة التقيت فيما بعد المعطي بوعبيد بلاكوميديا La comédie، وهو المكان الذي كان يرتاده بانتظام لشرب كأس خمر من نوع « الروري ». التقيته مرارا ... وفي بعض الأحيان التقيه بنابليون، وهي حانة بحي بورغون، حيث يقضي هناك أمسيات يناقش فيها أموره مع القضاة والوكلاء والنواب الذين سيكونون بنفس المكان. كما كنت أحده كذلك بالمقاهي والنوادي الخاصة بحي بوسيجور والوازيس. إنه تاريخ كنا نتبادل فيه الحكي عن كرة القدم ونحن نشرب الكؤوس. فما أن تتوطد هذه المرحلة فإنه بإمكاننا المرور إلى المرحلة الموالية.

عرفنا في المصلحة بأن الرجل كان يحب الدعوة للولائم الصغرى صحبة أصدقائه لكن في سرية وبعيدا عن أعين الناس والفنادق. وقد صرت صديقه الكبير. وسبق لي أن دعوته إلى شقة ليست بعيدة عن حانة نابليون. جاء في المرة الأولى وحيدا، ثم فيما بعد منحته المفتاح. بدأ يصحب زملاءه مرفوقين بفتيات قاصرات ... لم يكن هو نفسه صاحب صيت كبير في هذا المجال لكنه كان يسدي خدمات للآخرين. وقد تمكنا من استعراض أعضاء المكتب السياسي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية وجزء من محكمة الدار البيضاء، مع العلم أن كل شيء كان مصورا.

في يوم ما كان يجب على أن أعطي للمعطي بوعبيد الظرف الذي يحتوي على الصور. حين فتحه احمرَّ وجهه ! إنها لحظة صعبة بالنسبة لي. كنت أخشى أن أبوح له بأنني لست تاجرا لكنني رجل أمن من « الكاب 1 ». من حسن الحظ أن جميع الضحايا الذين كانوا يسقطون في الفخ لا يتصرفون بعنف. كانوا فقط يصابون بالدهشة ثم يهزمون، وليس هنا من الصعب إرغامهم على التعاون معنا.

لقد قدمت بوعبيد المعطي لحميل الحسين رئيس الفرقة الأمنية بالدار البيضاء الذي أصبح ضابطه المعالج. فحينما يكون اجتماع حزبي متوقعاً يخبر عنه المعطي بوعبيد ويرسل تقريره بكل إخلاص.

بفضل هذه الشخصية سقط في الفخ مجموعة من أصدقائه الثقاة الميالين إلى العشق بالشقق السرية. ومن بينهم نجد كل من وكيل الملك بالدار البيضاء وقاض بمحكمة الاستئناف العليا بالرباط، ورئيس محكمة للجنايات ومحامٍ مشهور، ومدير سجن ورجل أعمال. ومدرب لكرة القدم، وكاتب للجامعة الملكية لكرة القدم، وإطار مالي مكلف بالادخار الوطني: وخمسة مسؤولين نقابيين ولحسن الدليمي أب أحمد الدليمي الرئيس المستقبلي «للكاب 1». لنقل أن لا أحد انفلت منا وهو ما سمح بمراقبة الحياة السياسية والاقتصادية للبلاد.

وبواسطة مخبرينا العاملين لصالحنا عرفنا بأن امحمد البركة القائد النقابي الكبير في الاتحاد المغربي للشغل بآسفي كان يزور الدار البيضاء مرة في الأسبوع ليتفاوض حول ستة وستين معملا للتصبير بمدينته كأول ميناء للسمك في العالم. كان المعطي بوعبيد مكلفاً بتدبير والتخلص من الصناعات التابعة للفرنسيين. ما بين 1960 و 1963 فإن الإغلاق المفاجئ لهذه المقاولات قد تسبب في تشريد ما بين ثلاثين وخمسين ألف شابة وأكثر من ألفي مستخدم وتقني وعامل. حدث كل ذلك بدون درهم واحد كتعويض. فقد وزعت الكعكعة ما بين المافيا النقابية وبعض المحامين. لكن من سيتحدث عن هذا المشكل الاجتماعي ؟ ومن الذي يتذكر الأزمة التي عاشتها آسفي منذ تلك اللحظة ؟

كما أن هناك معارضين آخرين وقعوا في نفس الخطأ. بكل الوسائل المتاحة. واحد بين اثنين من المعارضين قد التقطت له صور وهو في لحظة دقيقة صحبة غلام، وآخر لما فوجئ وهو بين ذراعي عاهرة طالب بحوالة شهرية من أجل التعاون. كان يحدث هذا الأمر دائما. لم تصب ضحايانا

الحشمة، بل كانوا يفاوضون على خيانتهم لرفاقهم بوضع شروطهم ورؤوسهم مرفوعة، كما لو كنا أمام متفاوض حول حوالة سينالها إطار عال.

وجب القول بأن معظم الشخصيات كانت في حاجة ماسة إلى النقود، فهي تعيش في تنافر مع وسائلها المادية، تسكن شققا بأحياء راقية، ترتاد أمكنة راقية خاصة بالبورجوازية العليا، تقود سيارات فخمة، تزور باستمرار نوادي خاصة ومراقص ليلية، تتكفل بعشيقات دائمات. فمن أجل الاستمرار في كل ذلك ينبغي البحث عن النقود. عن كثير من النقود. بالنسبة لأصحاب المرتبة الأولى في نظر « الكاب 1 » ينالون ثلاثة آلاف درهم في 1960 وخمسة آلاف درهم في سنة 1965، وهو راتب ثلاثة كومسيرات في الأمن، هكذا مست المكافأة والرواتب ما كان يتخذ اسما مستعارا : « جهنم » داخل الاتحاد المغربي للشغل، من الدار البيضاء، واحدهم كان يسمى « موحى » من صفرو. فهذه الأنشطة ذات المردودية لم تحد من ارتقاء بعض الأفراد المتعاونين، فبعيدا عن كل هذا أصبح منهم السفير والبرلماني وكاتب الدولة أو الوزير.

« للكاب 1 » ستين شقة واستديو مفخخا في مجموع تراب المملكة : اثني عشر بالدار البيضاء، ثمانية بفاس، ست شقق بالرباط، ومثلها بوجدة، وأربع شقق بالقنيطرة ومثلها بكل من طنجة وتطوان ومكناس وبني ملال ومراكش وآسفي، واثنان بالناظور ومثلهما بتازة والحسيمة وآگادير. وباختصار فإن البلاد كلها كانت مخترقة بهذا النسيج العنكبوتي الخطير والسري.

لقد كانت هذه الشقق مجهزة بوسائل سمعية ـ بصرية حديثة تمكن من التسجيل والتصوير من جميع الزوايا، ولا تنفلت الحوارات الدائرة بأي مكان حتى ولو كان غرفة النوم. وباصطحابهم لأصدقائهم الجدد كانوا يجهلون بأن الأمر يتعلق برجال أمن، حيث يجدون هناك عاهرات شابات وأطفالاً قاصرين. فقد دخل ضحايانا في متاهة شديدة من الخيانة والوشاية.

طرائد كثيرة سقطت في شباك « الكاب I »، وقد حصل أن سقط في شباك قسم محاربة التجسس رئيس دولة مستقبلا... وتجدر الإشارة إلى أن ضباط الأمن العاملين بالقنصليات والسفارات بالمغرب يقومون بنفس الأساليب الاستخباراتية متلنا لكن بوسائل تمويلية أقل. فخلال سنوات الستيمات، كانت عدة دول، أقل أو أكثر ثورة، تُعِينُ الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وكانت « الكاب I » تتوفر على مصادر عديدة ومؤكدة من داخل الممثلين العرب بالرباط، ومن بينها تلك التي كانت على الخصوص في علاقة دائمة مع بن بركة. فحميع المعلومات والأخبار الآتية من السفارات وليس فقط من الدول التي تساعد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، بل تلك التي تمر عبر مكاتبها الديبلوماسية الممنوحة للمعارضين المغاربة من بعض دول المغرب العربي والشرق الأوسط والخليج. كنا نعلم بأن ضابطا أمنيا من هذه الدولة ا لمغاربية كان يقدم مساعدات للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ومنذ ذلك الحين أصبح هذا الرجل موضوع بحث مغلق في بلده والمغرب معا. كان هو الآخر يحب الفتيات الصغيرات الجميلات والويسكي (نوع سكوتش)، ورغم المعلومة المقدمة من قبل S.D.E.C.E بكونه قام بتدريب بجهاز C.I.A فقد سقط في فخ « الكاب I ». ومن أجل الهروب من الوضعية التي سقط فيها طالب الضابط بمغادرة الرباط تحديدا.

كان« الكاب I » يمارس مهمته تحديدا بالمغرب وقد يحصل أن يقوم بمهمات خارج البلاد من أجل القيام ببحث أو مراقبة والتعاون مع رجال أمن المخابرات السرية لدول محاورة كالجزائر. ومن أجل ذلك كان كل واحد منا يتوفر على جواز مرور حقيقي ومزور بأسماء مزورة. ففيما يخصني فقد اخترت أسماء صديقين لي هما زكاري هاشمي وأحمد تمول، وهم أصدقاء طفولتي، وبهذين الاسمين سافرت ما بين 1960 و 1973 أكثر من عشرين مرة إلى الجزائر ومصر ودول الخليج وفرنسا.

الإخوان العشعاشي كانت لهما بدورهما أوراق حقيقية وأخرى مزورة تبدأ أسماؤها بالأحرف الأولى من اسميهما الحقيقي : عبد الهادي، عبد الكريم أو عبد الواحد هذا بالنسبة لعبد الحق أما مصطفى وميمون أو موسى فهي لمحمد.

كما أن أحمد الدليمي كان يستعمل وثائق مزورة، كما كان له رجل يشبهه إلى حد كبير هو عبد الواحد فتيح الذي كان يقوم بدوره في الاحتفالات والجولات الرسمية. فالدليمي الشبيه كان يسافر بجواز سفر الدليمي الحقيقي إلى أن اختفى. وكما هو الحال بالنسبة للدليمي كان الرجل النسخة للدليمي يتحدث قليلا، يظهر ببهو فندق راق، يظل محبوسا بغرفته ولا يخرج إلا حينما يتوجه صوب المطار. لم يبدأ الشروع في هذه الاستراتيجية الشيطانية والناجعة إلا بدءاً من سنة 1962، وكانت نتيجة شكوك زوجة الدليمي التي كانت تشعر بخيانة زوجها لها. كان هو بهذه الطريقة يتفرغ لطيشه بأي مكان في البلاد بينما تقوم النسخة الثانية بدورها إذا ما تعلق الأمر بجولة يقوم بها الملك. هكذا تبددت شكوك المرأة الحزينة. وقد أوحى نجاح هذا التاكتيك للدليمي بتكليفه بمهمات خاصة.

* * *

بسرعة فائقة صارت «الكاب 1» أحسن مصلحة للاستخبارات في البلد، لقد كانت لنا ثقة في مصادرنا عامة التي كانت تتقاضى أجراً، ودائما منتقاة بعناية داخل الأحزاب وفي الدرجة الأولى الكتابات الوطنية والجهوية، ومن الأفضل أن تكون من المناصب الستة الأساسية : الكاتب العام الذي يهيئ برنامج الاجتماعات، والنائب والأمين ونائبه والموثق والكاتب الإداري. في جميع الحالات فإن المصادر الرئيسية ستشكل جزءاً من الأعضاء المنتخبين للمكتب وتحتل وظيفة المسؤولية. كنا نحول

لها حوالة تتناسب ومدة وظيفتها. وفي حالة فشلها في الوصول إلى المكتب مرة ثانية كنا نبحث عن مصادر جديدة. إن «الكاب 1» لا يهتم بالخاسرين.

لم نكن نهتم بالمناضلين السياسيين وحدهم، بل كنا نوظف أفراداً عاملين في السياحة والاقتصاد، وفي القطاعات البحرية والجوية والإدارات العامة والمقاولات الخاصة. فخلال مزاولة هؤلاء لمهنهم يمكنهم الحصول على معلومات ثمينة. ولكن هؤلاء لم يكونوا يتقاضون تعويضات، بل كنا نسهل عليهم بعض الأمور على المستوى الخاص أو المهني.

أما المصالح الاستخباراتية الأخرى للمملكة فقد كانت تستعمل مصادر إخبارية مختلفة إقليمية من مخبرين مجانيين، والشرطة القضائي يعمل بشكل آخر، إذ يعتمد على مخبرين برواتب، أما المكتب الثاني 2ème Bureau الذي كان تحت وصاية الكولونيل حسن اليوسي فقد كان يراقب القوات المسلحة الملكية.

سنة بعد هيكلة «الكاب 1»، كنا نتوفر داخل كل حزب، وكل نقابة، على عدة مصادر، قد تصل إلى خمسة أو ستة أو ثمانية وأحيانا عشرة. إنه إجراء لا محيد عنه لأن المخبر الوحيد يمكنه أن يرتكب اخطاء في القراءة والتأويل، عن حسن نية أو بدونه، فبعض المصادر يمكنها أن تضخم من الأحداث واخرى تبخس منها، وقد تكون هناك حسابات معينة بين المخبر والمجتمعين فيريد بذلك إلصاق تهمة قلب الملكية. ولهذا فإن تعدد التقارير تقربنا من الحقيقة، مع العلم أن المخبرين كانوا يجهلون تعدد التقارير. فكل مصدر كان من ورائه رجل أمن، والجميع تحت المراقبة. كانت التقارير منمذجة من 1 إلى 5 حسب النوعية والظروف التي حصل فيها المخبر على

المعلومات. كما أن الاسم لا يشار إليه لأنه يظل في سرية تامة، فهو معروف لدى رئيس القسم أو الضابط المشرف.

* * *

حول نفس الحدث، نفس الاجتماع، كنا نتوصل بثلاثة تقارير موجهة من جهات متباينة: الأول من «الكاب 1» والثاني من الاستعلامات العامة والثالث من السلطات الإقليمية ومنها إلى وزير الداخلية. وهذا التعدد يبعث على الغنى فتقرير المخبر التابع لنا يكون شاملا وسريعاً، وكان على الشكل التالي:

بتاريخ : الخميس 20 شتنبر1962

من B . 20 :

إلى A.10 :

المصدر : Annaba

القيمة 5/3 :

اجتمع يوم الأربعاء 19 شتنبر 1962 على الساعة السادسة اعضاء المكتب الجهوي للاتحاد .و .ق .ش، بمقر الحزب من أجل مناقشة النقط التالية :

— علاقات الحزب بالاتحاد المغربي للشغل

— الانتخابات التشريعية القادمة

تراس الاجتماع عبد الله ابراهيم بمشاركة 16 عضواً من مكتب البيضاء وهم حسب الأسماء :

قال عبد الله ابراهيم مايلي :

قال المعطي بو عبيد مايلي :

واتخذ القرار التالي : اجتماع جديد سينعقد بنفس المكان خلال الأسبوعين القادمين، يوم 4 أكتوبر 1962 على الساعة الثالثة بحضور بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد والمحجوب بن الصديق وعبد الرزاق .

رفعت الجلسة على الساعة التاسعة

إمضاء B.20

لنسجل بأن هذا التقرير قد تمت صياغته في اليوم الموالي للاجتماع وقد بعث به مكتوبا في ورقة بدون عنوان في الأعلى .وتعني B.20 بلا اكثرات صاكا أو مسناوي أو أنا .لكن A.10 تعني محمد عشعاشي.

يعمل رحال الاستخبارات العامة بشكل مختلف. ففي كل مدينة نجد المصلحة الجهوية للاستعلامات (R.G) ، وهي تتكلف بمهام متعددة كمراقبة الهجرة المتبادلة والأماكن العامة والنوادي الخاصة والرياضية والأحزاب والنقابات. إنها مهمة شاقة في غياب الوسائل المالية والمادية. فالموارد غير كافية والمكاتب غير مناسبة وغياب التكوين. ونظرا لكون الكومسيرات كانوا في حاجة فإنهم يلجؤون إلى علاقات أخرى مع أصحاب الفنادق والمراقص وإليكم نوع من التقارير التي تقوم بها هذه المصالح من الاستعلامات(R.G).

وزارة الداخلية

الإدارة العامة للأمن الوطني

الاحالة رقم 157/S RDGR

الدار البيضاء في 26 شتنبر 1962

رئيس .S.R.D.G.R بالدار البيضاء

إلى السيد مدير.D.G.R

إلى D.G.S.N بالرباط

S/C حسب السلم الاداري

الموضوع : اجتماع سري لمكتب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بالدار البيضاء

اجتمع اعضاء مكتب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية سرا خلال الاسبوع الجاري بالدار البيضاء من أجل مناقشة علاقة الاتحاد و. ق. ش بالاتحاد المغربي للشغل والانتخابات المقبلة.

ترأس الاجتماع عبد الله ابراهيم أو المعطي بوعبيد. بعد 3 أو 4 ساعات من المناقشة، قرر المجتمعون عقد احتماع آخر في غضون اسبوعين أو ثلاثة.

نظر وحول تحت رقم 1716/S.R
توقيع رئيس S.R بالدار البيضاء

نلاحظ أن هذا التقرير كتب اسبوعا بعد حصول الاجتماع، وأرسل بعنوان في أعلى الصفحة إلى الإدارة العامة للأمن الوطني بالرباط. والمعلومة الواردة فيه تقريبية وهي عبارة عن نقاش بين رجل أمن واحد أعضاء الحزب. فإذا ما قدر مدير التوثيق العام بأن المراسلةمهمة فإنه سيرسلها إلى «الكاب I» حتى تحول إلى المصلحة المعنية، وخاصة إلى مكتب محمد العشعاشي، بعد ثلاثة أو أربعة أسابيع، وفي حالة العكس فإن المراسلة ستوثق بإدارة الأمن بالرباط.

واخيرا فإن السلطات الاقليمية ممثلة في الولاة والعمال والقواد، يرسلون هم بدورهم إلى وزارة الداخلية معلوماتهم، حتى يبينوا بأنهم على علم بما يجري بدوائرهم، وأنهم يراقبون الوضعية جيدا والملاحظ أن تقاريرهم دائما عامة لأنها تعود إلى أيادي من درجة ثانية.

وبالمقابل فإن المقدمين والشيوخ هم على علم بكل ما يجري في احيائهم، وخاصة بدور الفسق السرية وبيع الخمور بالتقسيط وتجارة الحشيش. يمرون من هناك من أجل نصيبهم! كل هؤلاء، بدون تمييز، يعملون لصالح الشرطة القضائية على المستوى البغاء أو المخدرات أو الجرائم الاقتصادية وقضايا الاجرام. لكن أنشطة الأمن هنا تكون مركبة لتداخل رؤساء صغار في الاجرام المحلي، بعضهم يلعب دور الوسطاء والقوادة، ولهم ثان وثالث ورابع زوجة من العاهرات والسمسارات. وما بين رحل الأمن واللص يتدخل الجانحون فيقدمون معلومات خاطئة ليبعدوا كل ما يمكن أن يجعل البحث يأخذ مجراه. وهكذا فإن التقارير التي ترسلها هذه الجهات الاقليمية لاتنبني إلا على الأقاويل.

وزارة الداخلية

ولاية الدار البيضاء

رقم 402/AB/FR

الدار البيضاء في 28 شتنبر1962

قائد المقاطعة الثالثة الحضرية بالدار البيضاء

إلى السيد مدير الشؤون العامة ـ الرباط

S.C حسب السلم الإداري

الموضوع : اجتماع سري لمكتب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ـ البيضاء

حسب المعلومات الواردة من جهات قريبة من مناضلي اليسار يظهر ان أعضاء مكتب الاتحاد و. ق. ش بالدار البيضاء قد اجتمعوا سرا منذ أيام من أجل مناقشة أمور مستعجلة في الحزب، كان الاجتماع مطولا لأنه دام ساعات تحت رآسة عبد الله ابراهيم أو المعطي بوعبيد

نظر وحول تحت رقم 1200/S.A.R

والي الدار البيضاء

هذه الحمل هي نتيجة لقاء بالصدفة بين أحدهم والمقدم أوالشيخ، من نفس المكان، كتب التقرير في ورق أزرق بعد سبعة أو ثمانية أيام، ثم أرسل عن طريق السلم الاداري. فتحت المراسلة في «الكاب 1» بعد خمسة أو ستة أسابيع .فهي لا أهمية لها مادامت معروفة لدى المصلحة منذ وقت طويل.

إن العلاقات بين الاتحاد الوطني للقوات الشعبة والاتحاد المغربي للشغل، والتي هي موضوع هذه الوثائق، كانت لها أهمية كبيرة في سنة 1962 لأن المصالح وضعت كل مجهوداتها لتحث النقابة على

تعطيم التشكيلة الكبرى لليسار. وهي كيفية لإضعاف هذا أو ذاك. كان عمل رجال الأمن الذين يوظفون مصادر المعلومات داخل الاتحاد المغربي للشغل بالدار البيضاء هو زرع الشقاق بين السياسيين والنقابيين. اقترحت مبالغ مهمة على مخبرينا في مقابل هذه القطيعة. لقد قايض كل من محمد العشعاشي من قسم مكافحة قلب النظام وامحمد عينان من الفريق الأمني للدار البيضاء. كل واحد من جانبه ثمن هذه التفرقة. لقد كلفت « الكاب 1 » مبلغا زهيداً بلغ مائة وخمسين ألف درهم، وهو مبلغ اديّ عن طريق الصندوق الأسود.

كان بن بركة يجهل هذه الآلية، فقد فاوض أياما طويلة الاتحاد المغربي للشغل، وقبل حميع طلبات النقابيين لكنه لم يعرف الأسباب التي جعلت حلفاؤه يرغبون في الطلاق بكل قوة. لم تكن لديه أية فكرة عن الرشوة التي مست أقرب أصدقائه السياسيين. وأخيرا أعلن عن هذا الانشقاق. هنأت السلطة في البلاد محمد العشعاشي على دوره الناجع، وكتعويض على ما قام به وعد بمنصب كومسير ممتاز. حالة فريدة في المغرب بالنسبة لشاب يبلغ ستة و عشرين سنة. رجل لا يتعب من العمل، إنه محمد العشعاشي الذي لا يكل. بعد كل اجتماع للاتحاد الوطني للقوات الشعبية بالرباط يتلقى خمس مكالمات هاتفية من المخبرين – المصادر. كان أحمد زيني يخصص لكل واحد منهم ساعتين بإحدى الشقق، ويلحق بهم محمد عشعاشي وحيدا بعد ذلك. ويبقى بعين المكان نصف ساعة، بعد اللقاء، حتى يتمكن من كتابة تقريره. وقبل الذهاب لينام حوالي الخامسة صباحاً يمر على زنقة مولاي إدريس حتى يقدم إما لي أو لزيني التقارير الخمسة التي ينبغي إعادة كتابتها بالآلة الكاتبة في سبع نسخ.

* * *

« الكاب 1 » حصل على أحسن نتيجة مع الاتحاد المغربي للشغل، إذ أصبح معظم قياديوها يتعاونون مع « الكاب 1 » منذ 1961. كانت

مصادرنا التي تحتل مكانة هامة في التنظيم النقابي تعمل بمكاتب فخمة تابعة للإتحاد المغربي للشغل بشارع باستور وهم يطلون على ميناء الدار البيضاء. باستطاعة رجال الأمن «بالكاب 1» نسخ صور لمجموع المراسلات ومعرفة أيام التجمعات بأربعة وعشرين أو ثمانية وأربعين ساعة قبل انعقادها. كنا نتلقى جدول الأعمال المتوقع ولائحة بأسماء المناضلين المدعوين. فما أن ينتهي الاجتماع، وحتى وإن تأخر الوقت إلى الثالثة صباحاً، تسارع المصادر الاتصال برجال الأمن المشرفين حتى يرسلوا إليهم التقارير. أما قسمنا المختص في مكافحة قلب النظام فقد كان يتوصل بالتقرير ودون تأخر في اليوم الموالي فيما يخص البيضاء ويومين بالنسبة لمدن أخرى في البلاد.

في حالة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية فالنتائج كانت جيدة للغاية كما هو حال النقابة. في كل مكتب جهوي للحزب وضعنا اثنين أو ثلاثة مخبرين. وفي البيضاء، بما لها من أهمية، استطعنا أن نختار ستة محامين مشهورين ورجال التعليم من اليسار، كلهم متزوجين لكنهم يتعاطون الفسق والفجور. وفي قلب الكتابة الوطنية للحزب كنا نتوفر على مصادر للمعلومات من المحيط المباشر للمهدي بن بركة. هؤلاء المخبرون كانوا جديين وثقاة. وهم من رجالات السياسة من الدرجة الأولى، ويظهر أنهم شخصيات مشرفة ومحترمة على المستوى الوطني والدولي، كانوا يبلغون بكل وفاء وإخلاص باتصالهم الدائم «بالكاب 1» عن كل ما قيل في أي اجتماع. وهكذا كنا على علم بكل ما كان يقوله بن بركة، وعن تصرفاته ومشاريعه وعلاقاته. لم نكن نجهل شيئا عن علاقاته بالدول العربية كمصر وسوريا والعراق وتونس، ولا عن علاقاته بدول الشرق وآسيا، وكل من كان يسعى لمساعدة المعارض المغربي.

هنا كذلك كانت المراسلات تفتح وتصور من طرف رجال أمن مختصين من قسم العمليات التقنية. فالشخص المكلف بالصندوق

البريدي للحزب وبالإرسال كان هو كذلك تابعاً لنا، وحتى محتوى أرشيف المعلومات كان معروفا لدينا مدام رجال الأمن يتوفرون على نسخ للملفات. وباختصار كنا نعرف الشيء الكثير عن مصادر تمويل الحركة وكيفية الاشتغال.

وقد حصل أن كنا نتصنت على الخطوط الهاتفية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وعلى مكتب وسكن المهدي بن بركة بالإضافة إلى قياديين آخرين. وذلك ما سمح بالحصول على معلومات ذات أهمية كبرى.

كما حصلنا على تجاحات أخرى في أحزاب سياسية أخرى. فحزب الاستقلال البورجوازي والمحافظ لم يسلم هو الآخر من المراقبة. أما فيما يخص الاتحاد المغربي للشغل الذي كان يخيف النظام السياسي بقوته. فقد ساعدت الفرق الأمنية بكل الوسائل الممكنة الاتحاد العام للشغالين بالمغرب على وضع رجل بموانئ الدار البيضاء والمحمدية والقنيطرة وآسفي وآگادير وطنجة والناظور.

كما أن الحركة الشعبية، حزب العالم القروي، كان هو الآخر، كغيره، تحت مراقبتنا. فبعض أعضائه كانوا يتصلون مباشرة بالأمن ويضعون برنامجهم قبل أن ينشر وقبل إعطاء مواثيق. فقد كانوا يبلغون عن العناصر المتطرفة والنشيطة ويبحثون دائما عن إرضاء محمد أوفقير.

أما الحزب الشيوعي، الممنوع والسري، فلم يفلت هو الآخر من «الكاب 1». كانت مصادرنا التي تحتل مواقع هامة في تراتبية تبلغ عن جميع الاجتماعات السرية. وعلى مستوى عال كان علي يعتة مقتنعا بانه يخدم مصلحة الدولة، مصلحة حزبه والملكية. ظل مخبراً لطيفا إلى موته الفجائي سنة 1997. ومن وقت لآخر كان يرغب في تاثير بسيط قد يكلفه السجن. وفي الشروط العصيبة معارضاً حقيقيا كابراهام السرفاتي. فعلي يعتة زعيم حركة ممنوعة استثمر المساعدة

اللوحستيكية المخابرات السرية زمن الانتخابات البرلمانية والجماعية. فرجل مثله كان تمينا وينبغي انتخابه على عجل.

ولأن الانتخابات زورت فإنني أتذكر الدور الهام الذي لعبته «الكاب 1» في أول انتخابات تشريعية بالمغرب المستقل في ماي 1963، يتعلق الأمر بإعطاء دفعة لمرشحي المعارضة الذين كانوا يشكلون مصادر معلوماتنا.

تتبعت شخصيا هذا الأمر، كنت أتنقل من الرباط إلى الدار البيضاء للقاء الفرق الأمنية ومصالح الاستخبارات العامة والقواد المحليين. وكنت أتتبع العمليات في ربوع الدولة عن طريق الهاتف والتلكس. واحث السلطات المحلية على دفع السكان للتصويت حسب رغباتنا لصالح مخبرينا واعضاء، الفدك .F.D.I.C، جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية. وهكذا وصل مرشحونا على التو إلى البرلمان. كنا نتوفر على وسائل ضغط متعددة لدفع المواطنين لوضع الورقة المرغوب فيها في الصندوق. هناك أناس كثيرون يعيشون في الفقر!

كان ثمن الصوت الواحد يساوي من عشرة إلى خمسين درهماً، أو خمس إلى عشر كيلوغرامات من الدقيق أو السكر أو ما يوازيها زيتاً. وقد كان كل ذلك عبارة مساعدات آتية من الولايات المتحدة الأمريكية، وبذلك نجد أن عائلات بكاملها صوتت لصالح الأسماء المقترحة من طرف «الكاب 1» ومرات عديدة في نفس اليوم لأن الشاحنات كانت تحمل الناخبين من مكتب إلى آخر. لم يكن هذا الغش كافيا، بل كانت تُزَوَّرُ النتائج لصالح مرشحي الفدك F.D.I.C، وهذا ما جعل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أقلية ولم يحصل إلا على ثمانية وعشرين من أصل مائة وأربعين دائرة. لقد انتصرنا.

الرعب اليومي

تحت سلطة خبراء .C. I. A تَمَكَّنا من تربيع جميع المصادر الموثوق بها في البلاد. لا شيء يمكنه أن ينفلت منا مما يحصل في الأوساط السياسية، وخاصة حركات المعارضة. وبالموازاة مع ذلك، كانت الفرق الخاصة قد شرعت في العمل. اي التحييد... في البداية لم أكن افهم ذلك، ثم فيما بعد اكتشفت بأن مصالحنا بدأت الاختطافات والتنكيلات والاغتيالات.

فحين تشير التقارير الأمنية إلى معارض على أنه عنصر انقلابي وخطير يمكن ان يتآمر ضد النظام، نشرع في فتح ملف خاص للمشتبه فيه. وقبل ذلك نوجه مراسلة إلى الفرقة الأمنية للجهة التي يقطن بها. وهكذا ينطلق البحث.

حينما نتوصل بتقريرالفرقة الأمية، من المحتمل أن يُطارده رجال أمن من قسم العمليات التقنية خلال أسبوع او عشرة أيام لمعرفة عاداته ومتى يستيقظ، وهل يذهب إلى المسجد فجرا. ففي هذه الحالة الأخيرة يكون من الضروري اختطافه مع خروجه إلى الصلاة وليس بعدها، لأن بعد الصلاة يمكنه أن يعود مع بعض أصدقائه المخلصين. وفي حالات أخرى وجب التعرف على الساعة التي يذهب فيها إلى مكتبه، أو أين يعمل، وماهي وسيلة النقل التي يستعملها، وما هي انشطته في نهاية الأسبوع. فجميع هذه المعلومات تسمح لنا باختيار المكان الذي سنقوم فيه بالعملية.

حينما توضع هذه المعلومات فوق مكتب محمد العشعاشي، يدعو رئيسنا المقربين منه للاجتماع، فيعمل على قراءة ومعاودة قراءة التقريرين؛ تقرير الفرقة الأمنية والتقرير المنجز من قبل مصلحة العمليات التقنية. فبعد تبادل وجهات النظر يكون مصير المعني قد تقرر. هل يمكن اعطاء الضوء الأخضر من أجل الاختطاف أو ترك هذا الإجراء؟ فما أن يتقرر الاختطاف حتى يتفق حول التاريخ. بعد أيام أو أسابيع أو شهور حسب الحالات والظروف، يحدثُ ذلك حسب رغبة العشعاشي الذي يختار بين الفرقتين الخاصتين المكونتين للقيام بمثل هذا العمل، ثم يضيف إليها فرقة الدار البيضاء التي يرأسها عبد القادر صاكا.

الفرقة الأولى كان يقودها بناصر كرواني، وهو جندي قديم كان إلى جانب احمد الدليمي بالمكتب الثاني (2eme bureau) مقرب من أو فقير، وهو من نخبة الرماة، ساهم في مجزرة الريف سنة 1959 وكان فريقه يتكون من أربعة رجال أمن.

والفرقة الثانية بقيادة ريحان المعطي، وهو مقاوم قديم، ورئيس سابق في مصلحة الأمن السياسي بعد الاستقلال، وكان هو كذلك يترأس فريقا من اربعة أفراد. كانت هاتان الفرقتان مكلفتان، من قسم محاربة قلب النظام ، بالبحث والملاحقة والاغتيال وإخفاء الجثث والتعذيب. كانتا علي أهبة للقيام بأي عملية في أي مكان من المغرب أودول اخرى من المغرب العربي. وكانت تحت تصرفهما وسائل عمل مهمة كسيارات بأرقام مزورة كثيرة، ورشاشات ومتفجرات ومواد مخدّرة، وضمادات في لفائف عريضة، وأكياس من جميع الأحجام، وأصفاد وحبال وهراوات كتلك التي تستعمل في رياضة البيزبول.

كنا على علم بما سيحاك للمعني بمكان إقامته من قبل رئيس الفرقة الأمنية بيومين أو ثلاثة ايام، وهو تحذير يجعل رجال الأمن يضعون المعني تحت المراقبة ليلا ونهارا. ما أن يصل رئيس الفرقة الخاصة إلى عين

المكان حتى يتصل بنظريه رئيس فرقة الأمن ويخبره، تحديدا، بالمخطط المتوقع : التاريخ، الساعة والمكان، لأن رئيس الفرقة الأمنية المحلية عليه أن يكون بالضرورة بعين المكان في اللحظة العصيبة ليسجل ظروف الاختطاف ومجريات الأحداث والطوارئ غير المتوقعة. فجميع هذه الاحتياطات تمنع أخطار الخطأ الذي قد يلحق الشخص. وبالفعل فإن الفترة الفاصلة مابين 1960 و1973، عرفت مئات الملاحقات في صفوف المعارضين. وكل العمليات كانت ناجحة وبلا أي خطأ، وفيما بعد، بدأ تهاون الرؤساء، حيث تَغَيَّرَ كل شيء.فهناك مواطنون لا علاقة لهم بالسياسة انتزعوا من عائلاتهم، ومجهولون قتلوا بدعوى تواجدهم مع مشتبه فيه أو لتشابه بسيط في الإسم مع مناضل مبحوث عنه.

في اليوم الذي يسبق الاختطاف يرسل العشعاشي نسخا من التقارير إلى الكرواني أو ريحان أوصاكا بغاية قراءتها مليا والتهيؤ للقيام بالعملية في تفاصلها.

لم يبق الآن إلا التحرك. وقبل الوصول إلى عين المكان يغير رجال الأمن من الفرقة الخاصة أرقام السيارات ويتقنعون بأقنعة ذات لحي وحواجب ويلبسون جلابيب قاتمة. مازالت الذاكرة المغربية تحتفظ بصورة هؤلاء الملائكة الذين أتوا بجلابيبهم السوداء من جهة ما.

إنهم الآن على أهبة لالقاء القبض على هدفهم، يهجمون عليه. فيحدث الأمر بسرعة فائقة. ها هو الآن مكتوف الأيدي معصوب العينين مسدود الفم، مربوط الرجلين جيدا وقد وضعت في أذنية سدادتين ووضع في كيس. رمي به وراء السائق أو في صندوق السيارة، مشدودا إلى هيكلها بحبل. وتنطلق السيارة كالاعصار.

بعد قطع مسافة معينة تتوقف السيارة من جديد لتغيير الأرقام ونزع الأقنعة. إنها عادات روتينية قبل الوصول إلى زنقة مولاي إدريس. اما فيما

يخص الاختطافات التى تحصل في الرباط أو بعين المكان والناحية فإن العودة لا تكون مباشرة. منعطفات كثيرة تجعل الضحية يعتقد بأنه نقل إلى مكان بعيد.

لقد خاضت « الكاب I »حربا مهولة وضروسا ضد التخريب والتدمير. فالاختطافات والاغتيالات مست بشكل عام مناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وبعض النقابيين من الاتحاد المغربي للشغل. إنها حرب حقيقية.

تتحرك الفرق بدون عقاب. ولا تتردد في القيام باختطافات مفاجئة أمام الجميع، وفي النوادي الخاصة والمكاتب والمطاعم أو الشارع العام، معرقلة حركة المرور في أثناء وضع الاصفاد وتنزع من الشخص كل ما يوجد بحوزته كالنقود والساعة والسلسلة الذهبية والخاتم وغيره.

أما الاختطافات التي تجري بسكنى المعني بالأمر تمر في سرية تامة، ومن الأفضل أن تكون ليلا ما بين الساعة العاشرة إلى الرابعة فجراً. كان رجال الأمن دائما في حالة سكر خلال هذه الساعات، يفاجئون المعارض وعائلته بفظاظة وخشونة. يوقفون الابن الذي يحاول الدفاع عن والده عند حده، فتنهال عليه الضربات من رجال غلاظ مفتولي العضلات. أعرف حالات كثيرة بلغ فيها رجال الفرق الخاصة إلى حد الاغتصاب الجماعي أو الفردي للزوجات والأطفال.

فما أن تنتهك حرمة المنزل حتى يرمى بالأغطية وتمزق الأرائك بغاية العثور على المخزون فيها ويتم السطو على التحف والأواني المزخرفة. فالتفتيش الذي كان يستهدف العثور على وثائق الاتهام يتحول إلى سطو وسلب ونهب. ففي بعض الأحيان يحجز رجال الأمن سيارة المعني. فتورع الغنائم ويسيطر الرئيسان على السيارات المحجوزة، ويستعملانها لأغراضهما الشخصية.

* * *

ما أن ينتهي الاختطاف، وبعد رحلة طويلة، يحمل المشتبه فيه إلى دهاليز «الكاب ا». فضاء تكاد تنعدم فيه أشعة الضوء، يجلس فوق سطح عار من الفراش ورطب. ينقسم المكان إلى خمس زنازن كبيرة. تقدم وجبات عشاء شحيحة من الخارة من ثقب على الرصيف. لا يشكل المكان إلا مرحلة عبور. ففي مراحل الحركة غير الشديدة لا يوجد بهذه المخافر السرية سوى ما بين خمسة عشر وعشرين مختطفا.

منذ أن يلج الضحية هذا العالم يدخل في غياهب المجهولين، فهو لم يعد ينتمي لعالم البشر. لم يسجل بأي سجل، يحيط به الصمت من كل جانب. ولا تتلقى عائلته أي خبر، وحينما تقدم على رفع شكاية لدى إحدى السلطات تجد نفسها أمام جفاء إداري واضح.

يقضي المحتجزون حاجاتهم في سراولهم، فتتصاعد رائحة العفونة المرعبة من تحت الأرض. بعضهم مات فزعا. فحينما نزيل الكيس الذي يوجد به الضحايا يكونون قد فارقوا الحياة.

سواء المسناوي أو أنا، حسب الحالات، كنا مكلفين بحالة كل وافد جديد. يدوم التحقيق، بشكل عاد، من خمسة أيام إلى أسبوع، وفي بعض الأحيان أكثر من ذلك. حينما يكون لدينا ما نقوم به نترك الضحية ينتظر. لا يتناول إلا وجبات هزيلة، ودائما الأصفاد تكبل يديه، ويظل قابعا في مكانه معصوب العينين مسدود الأذنين، ينام أرضا مفترشا الإسمنت.

نسأل المسحون عن حياته كلها : هويته، وضعيته العائلية، الدراسات التي تتبعها، الدبلومات المحصل عليها، مهنته، أجرته، ممتلكاته، وأصدقائه، معارفه، وسوابقه. ونغفل عنوة أنشطته السياسية والنقابي. وانطلاقا من التقارير التي كنا نتوصل بها من الضباط يكتشف الضحية أننا نعرف عنه كل شيء، سواء التزاماته الايديولوحية أو اجتماعاته السرية

في الحزب أو زياراته السرية من أجل دعم قضية معينة. وأمام هذه الدقة لا يستطيع إخفاء أي شيء.

وما أن تنتهي هذه المرحلة حتى ينقل مجددا إلى إحدى النقط الثابتة « للكاب I »، ومنها P.F.2 الشهيرة Dar El mokri اي دار المقري، والتي لن يخرج منها إلا بعد شهور او سنوات. إنها مسألة حظ، وقد يختفي وإلى الأبد.

المكان الأكثر شهرة من بين أمكنة الحجز غير القانوني هذه هو P.F.2 الموجودة بدار المقري. كانت توجد بحي السويسي بالرباط على الكيلومتر ستة أو سبعة في اتجاه طريق رعير عين العودة. وهي عبارة عن إقامة صيفية للصدر الأعظم سيدي المقري خلال الثلاثينيات إلى الخمسينات، ثم تحولت فيما بعد، من طرف رجال الأمن السياسي لمحمد الغزاوي إلى مكان للاحتجاز.

لقد زرت المكان مرات عديدة حينما كنت ابعث من طرف رئيسي لا تمام استنطاق أحد المعتقلين. وخلال هذه السنوات تمكنت من التعرف على مختلف مرافقه المنفرة.

يحيط بالضيعة سور عال من ثلاثة أمتار، ويجد الداخل إليها بابا كبيرا من ستة أمتار محروس برجال أمن من الداخل والخارج. وتبلغ مساحتها تقريبا إثني عشر هكتارا مغروسة بأنواع كثيرة من الفواكه كالليمون والمشمش. يبدو كما لو كانت هذه الأشجار قد عقدت موعدا مع ذلك المكان. وهناك على الجانب الأيمن نجد منزلين صغيرين لشخص واحدهما في الأصل بنيا من أجل الحارس والمهندس الزراعي. وعلى بعد خمسين مترا نجد اصطبلات للخيول الأصيلة وأماكن لتربية الأبقار الحلوب.

وعلى اليسار توجد ڤيلا جميلة على الطراز المورسكي. في الطابق الأول توجد غرف الحراس. أما المعتقلون فقد وضعوا بالطبقة السفلي

الأرضية. القاعة الكبيرة تبلغ مساحتها ثلاثين على عشرين مترا، وعلوها خمسة أمتار، حيث علقت مشكاة من الكرسطال الخالص، كان المساجين دائما معصوبي العيون ومربوطي الأرجل ومكتفين بالأصفاد، وفي حالات خاصة بعضهم تربط يديه دون أن تكون وراء ظهر، مما يعني أن ذلك عبارة عن امتياز بالمقارنة مع الباقي. وبعضهم كان يجر برجليه قيدا ثقيلا من حديد قديم الصنع يعرقل سيره في شدة وألم، يصعب معه التحرك والجلوس والنهوض في هذه الظروف .وكان بعضهم توضع على فمه كمامة مصنوعة من جلد، وهي تعود إلى السلطان مولاي إسماعيل الذي كان يضعها على فم المشاغبين كالمثقفين والشعراء والفلاسفة. أما المراحيض فقد كانت بعيدة، لكن رجال الأمن كانوا يقدمون لكل مجموعة من خمسة أفراد سطلا .فحتى ولو انه كان يفرغ مرة في اليوم فإن المرء لا يستطيع استنشاق الهواء لاختلاط روائح البراز والعرق والقيء. مع توالي الأيام صار المعتقلون هياكل بدون لحم، ظلالا تحمل اسمالا ممزقة من الحزام إلى الركبة. تذكرني هذه الوجوه البئيسة بالأب فاريا Faria الشخصية التائهة والفاقدة الأمل في رواية Comte de monte-Cristo لاكسندر ديماس الكاتب المفضل عند الحسن الثاني. مازلت أتذكر رجلا في الخمسينات من عمره. كنا نطلق عليه اسم «ابا الحاج» اختطف من قبل رجال الغزاوي فاحتجز بالنقطة الثابتة قبل أن ينقل إلى دار المقري .كان الجميع يجهل من هو ولا لماذا يوجد هناك أصيب بالجنون فصار يقول كلاما غير مفهوم يدور بعض منه حول منزله وزوجته واولاده .كان يتحرك بكل حرية في قاعة المعتقلين بدون اصفاد ولا عصابة على العينين ولا قيد في الرجلين. حاول رجال الامن في« الكاب I » التعرف على معجزة هذا المجهول. وفي أحد أيام 1965 ضرب رأسه على الحائط فاصيب بحرج لكنه لم يعالج جيدا فتوفي بعد مضي ثلاثة أشهر.

يبقى المعتقلون مكدسون كعلب السردين بدون فراش وتهوية، متروكين لقدرهم، لأن رجال الأمن كانوا منهمكين بأشياء وهو ما يجعل تدخلهم متأخرا قصد معالجة وضعية ما.

بوجد على الدوام بدار المقري مابين مائتين إلى ثلاثة مائة معتقلا. وكلهم رجال، امرأة واحدة هي التي زارت هذا المكان أخت إحدى الكوميديات المشهورين. وفي حالات الاضطرابات والانقلابات، مثل 1963و1970و1971و1973، يحتضن المكان الفي معتقل فتمتليء الاصطبلات القديمة.

كان التموين على حساب الصندوق الأسود الذي يشرف عليه أحمد الدليمي بدون حسيب ولارقيب. فالأموال اللازمة كانت توضع رهن إشارة بدر الدين بنونة رئيس قسم الأمن. لكن كان كل واحد ياخذ نصيبه. فالدليمي كانت له حصة الأسد فيما يتقاسم بنونة ورؤساء النقطة الثابتة الباقي.

لا يتوصل المتاخرون باي شيء يمكن أن يسد رمق جوعهم. قليل من الحساء والخبز. يجب أن نتامل هذا الحساء، إنه الماء الزلل!

أما فيما يخص التعذيب فقد كان يمارس بالقبو حيث يوجد مولد بخاري يعمل بالبنزين. كان محمد العشعاشي، في كل صباح، بمكاتب «الكاب 1» يختار أربعة أو خمسة رجال من الفرق الخاصة ثم يسلم لهم البرنامج اليومي الذي يتضمن لائحة بأسماء المساجين الذين ينبغي تعذيبهم. فينطلقون صوب F.P.2 ثم يتوقفون لشراء قنينات الخمر واللحم والخضر فيقدمون كل ذلك للحراس من أجل تحضير وجبة الغذاء. أما هم فينطلقون في تعذيبهم انطلاقا من الساعة العاشرة

يقاد المسجون إلي القبو عاريا، مقيدا ومكتوف اليدين. وعلى هذا الحال يبدأ الاختصاصيون في الشرب والتنكيل به في وقت واحد،

يمارسون أنواعا متنوعة من الخدمات. فالعقوبة العادية هي ربط المعذب الضحية وتعليفه عمودياً تتدلى رجلاه في الهواء ورأسه في سطل مملوءة بالماء الملوث موضوع فوق الأرض. يختنق الضحية ويعتقد أنه يكاد يموت. أن يكون العمود أفقيا، والحصة قد تمتد صعودا ونزولا. وبعد ذلك يلتوي المسكين حول نفسه فيشد بيده ركبتيه فيمرر المختصون العمود وسطها ويعلقونه مرة ثانية وهم ينهالون عليه بالضرب المبرح بالسوط ببطء على رجليه. اماهم فلا يبالون إلا بشرب الخمر.

وقد كان يحصل لهؤلاء الجلادين أن يغتصبوا المعارضين الشباب ثم يغتصبهم الحراس كذلك، وهم دائما الشباب البالغين من العمر ما بين ثمانية عشر سنة إلى اثنين وعشرين سنة.

حينما يحضر الدليمي لمتابعة استنطاق ما قد يحصل له أن يستعمل عصا خشبية godemiché هي عبارة عن عضو جنسي من خشب يستعمل بقوة وحهالة وتلك هي حصته المفضلة. أما أوفقير فقد كان ينزع اضراس المعذبين بالكلابة، وهي مهنة تعلمها في الحرب العالمية الثانية حينما كان ينتزعها من أفواه جثث الجنود الألمان. كما كان يحب تعذيب المساجين بالتيار الكهربائي بوضعه على جهازهم التناسلي. وصحبة الدليمي يحبان الدولاب الروسي : توضع رصاصة واحدة في مسدس وتصوب على رأس المعذب وقد تصيبه وقد لا تصيبه ليمر الجلاد إلى المعذب الثاني وهكذا وذوليك... وهكذا تطلق الضربة. وإذا لم يتم هذا النوع من التعذيب هناك أصناف أخرى كالقنينة التي توضع في المراحيض على الطريقة التركية، بحيث توضع في ثقب المرحاض وعلى المسجون أن يجلس القرفصاء فوقها، فيقوم أحدهم بالضغط عليه من الأعلى إلى الأسفل بعنف شديد حتى يتمزق شرجه.

من يدري كم مات بدار المقرى من سجين نتيجة الاهمال؟ لا وجود لطبيب بعين المكان. كان بوبكر حسوني هو الذي يعالج الالتهابات

الخطيرة، وهو رجل أمن ممرض «بالكاب 1»، والذي يعمل على جعلهم يعترفون أكثر من توفير الراحة لهم كانت له طريقة ناجحة في نزع الأقوال، حيث يجرح المعتقل في جذعه ويضع الملح فيه (الملح الحية) ويضمده بضماد. لا أحد يستطيع أن يقاوم لمدة طويلة. فهذه الطريقة كانت تمكننا من الحصول على ما نريد من أقوال بسرعة كبيرة.

وفي حالة الوفاة توضع الجثث في أكياس سوداء وترمي في حفر جماعية أو فردية. بجانب المكان حسب الأعداد، وبعضهم يرمى في المحيط الأطلسي أو ينقل بكيلومترات عن الرباط ليلا إلى ناحية عين العودة، ومن ابتسم له الحظ للخروج حيا ينقل من جديد معصوب العينين على عشرات الكيلومترات من العاصمة ويرمى في كيس.

* * *

خلال سنة 1961 كلفني محمد العشعاشي، بعدما أعطاني خطاطة حوض، بالبحث في جميع مقاولات البنايات الحديدية بالدار البيضاء حتى أجد المقاولة التي تتعهد بصنعه. يتعلق الأمر بحوض من فولاذ Inox أنكوس). يبلغ مترا ونصف المتر على مستوى العلو، وقطره متران وخمسون سنتمتراً، مقعر محدّب وغطاء بقبضة دائرية، وصنبور متحرك صغير للتفريغ والسنة معدنية بحجم ستين ملمترا تثبته في الأرض. لماذا تصلح إذن هذه الآلة؟ تخيلت في البداية بسذاجة أنها ستصلح لمطبخ بفندق سافنكس Sphinx بالمحمديةوهو عبارة عن منزل مغلق كان المسمى زريتا هو المسؤول عنه قبل بوسيش ولوني، وهو مجرم معروف متقاعد، وافق على التوقيع على الوصل بدون تردد.

تتمثل الصعوبة في سمك الفولاذ. فهناك بعض المعادن لا توجد في المغرب. لكن أخيرا ركبت احدى الشركات المحلية المغامرة .S.C.I.F وهي الشركة الشريفة للسكك الحديدية الشريك الرسمي للمكتب الوطني للسكك الحديدية التي تقبل بالعروض الخاصة. فقد طلب المهندسان

الفرسان، ديتريو dutrieux وموسولين Moucelin مهلة ثلاثة أشهر قبل تسليم هذه البضاعة التي يجهلون هم أنفسهم الغاية التي ستستعمل فيها.

وعرفت فيم بعد أن الكولونيل مارتان هو الذي أشار على رئيس قسم مكافحة قلب النظام بوضع الحوض في النقطة الثابتة الثانية P.F.2 لتذويب الجثث بالأسيد. لقد تم العمل بها في إيران وبعض دول آسيا وأمريكا اللاتينية، وهو من وضع خطاطته.

لم تكتمل الأعمال بعد مرور ثلاثة أشهر بدعوى حصول مشاكل فيما يتعلق بالمادة غير القابلة للصدأ، وذلك ماجعل التقنيّين في حاجة إلى شهرين آخرين. ينبغي الانتظار إذا.

وأخيرا، خمسة عشر يوما قبل التسليم أرسلت شركة S.C.I.F. إلى فندق سفانكس Sphinx بالمحمدية هيكل الحوض الذي حول إلى النقطة P.F.2، وضع في مكان من اختيار العشعاشي وصاكا والكرواني. وضع الهيكل في الفضاء بمكان سري بعيد عن البيتين اللذين تتناوب فيهما الحراسة. أما أنا فقد توجهت إلى الدار البيضاء من أجل نقل الحوض. تفاجأت بثقله. لم يكن ذلك عائقا بالنسبة للرافعات التي تتوفر عليها S.C.I.F. أما في النقطة الثانية P.F.2 فلم يمر الأمر من دون متاعب. من حسن الحظ توقع التقنيون ذلك فزودوه بأنابيب معدنية لرفعه وتحريك هذا الثقل الهائل. ورغم ذلك فإن اثنى عشر رجلا كانت كافية للقيام بالعمل.

بعد وضعه ملء ثلثه بأسيد أخضر-كستنائي ذي رائحة قوية. كنت أجهل هذه المادة الكميائية ولا اعرف من أين جيء بها. كنت أعتقد بأنها حملت في براميل لا يتعدى حجمها عشرة أو عشرين إلى خمسين لتراً. وكانت مخزونة بدار المقري.

وحدهما بناصر كرواني وريحان المعطي هما اللذان كان يشغلانه بأمر من محمد العشعاشي. وخلال عملهما كان يرتديان أقنعة تقيهما

من العاز المنبعث وقفازات يدوية. فبعد أن يضعا الجثة فيه، وبعد مرور أربعة وعشرين ساعة، يفرغانه ويتم ملءالبراميل الصغيرة فتنبعث رائحة لا تحتمل، كم من جثة دابت هنا في هذا الحوض الأسيدي الذي اقترحه الكولونيل مارتان ؟

* * *

ثلاثون سنة مرت على كل ذلك، أي في سنة 1990 حيث حصلت على تقاعدي من خدمة الأمن فتفرغت لمقاولة عائلية، حيث وجدت نفسي أمام شركة S C.I F. لقضاء بعض المهام. وقمت بطرح السؤال ما إذا كان أحدهم يتذكر ذلك الطلب. لقد التحق المهندسان الفرنسيان بالمتروبول لكن المسؤول المغربي وجد الملف بالأرشيف. كل شيء واضح فيه: التواريخ والمخطط والثمن.

ظل التدمير ممركزاً بالدار البيضاء مما جعل أنشطة «الكاب 1» تنصب عليها أكثر من غيرها على مستوى البحث والاختطافات. يعتقل المعارضون بالدار البيضاء وبعد ذلك ينقلون إلى الرباط، إلى زنقة مولى إدريس ثم إلى دار المقري.

فإذا كانت P.F.2 فضيعة فهناك ماهو أفضع منها مثل P.F.1 وP.F.3 اللتين لم تشتغلا طويلا. توجد النقطة الأولى بسكنى واسعة بحي السويسي بالرباط وهي إقامة أطر فرنسية قبل الاستقلال. مر بها بعض المعتقلين السياسيين في بداية 1960 ثم تحولت وظيفة المسكن. وبعد إدخال تقنيات أضحت ڤيلا - فغ منذ 1962 وقد تمكنا من تصوير شخصيات بارزة فيها بمرافقيهم. أما P.F.3 فهي ضيعة فلاحية صغيرة ببولقنادل، بين سلا والقنيطرة، تعود لمستعمر فرنسي. وبعد تاسيس «الكاب 1» بين 1960 و1961 استعادها أحمد الدليمي لنفسه كإقامة خاصة.

وفي المقابل هناك نقط أخرى ظلت مشتغلة كالنقطة الرابعة P F.4 وهي عبارة عن ڤيلا صغيرة توجد بحي المستشفيات في ملكية معارض

هارب، وذلك ما سمح لجميل الحسين، رئيس الفرقة الأمنية بالدار البيضاء، باستعادتها واستعمالها لصالح الفرقة. فالمعتقلون الموجودون بقبوها يمرون بها للتحقق من هويتهم في انتظار ترحيلهم، مع العلم أن شروط الحياة فيها كانت مقبولة لغياب التنكيل والتعذيب والاغتصاب. أما P.F.5 فهي الموحودة بحي لارميطاج شارع الناظور بالدار البيضاء.

كما استعملت «الكاب I» ضيعتين بالغرب لصالحها منذ 1962؛ الأولي كانت في ملكية أحد الفرنسيين المسمى فرانسوا بناحية القنيطرة. تبلغ مساحتها عشر هكتارات، مخصصة لزراعة الحوامض وتربية المواشي. والثانية في ملكية ڤانسون. تبلغ مساحتها ثمانية هكتارات توجد قرب الفوارات خصصت لغوايات أوفقير والاحتجاز. ولما عاد ڤانسون إلى المغرب في سنة 1963 حاول استعادتها ورفع شكواه إلى الجهات المسؤولة. ولكي يضعون له حداً نهائيا اختطفه رجال «الكاب I» واغتالوه بضيعته ودفنوا الجثة في قبر اسمنتي من أربعة أمتار على عشرة. وهي نفس القاعة التي كان أوفقير يقيم فيها حفلات الشيخات.

كان المعتقلون يحتجزون، في كل واحدة منهما، ببنايات كبيرة ذات هياكل معدنية تستعمل عادة لخزن المحاصيل. ويمكن القول إن الظروف كانت مقبولة نسبياً بهذا المكان.

فالحراس الوجديون الشباب كانوا متخلقين يجهلون كليا الرعب الذي تستره النقط الثابتة الأخرى. كانوا يقدمون الأكل بانتظام ويقومون بواجبهم الإداري. فالحراس كانوا تحت مسؤولية احميدة اجداين. وكانت الأموال المخصصة لهم يقدمها الصندوق الأسود الذي يديره محمد العشعاشي وليس ذاك الذي يتصرف فيه الدليمي. كانت المبالغ مدققة وكبيرة تصرف في مكانها. وقد خصصت للمساجين الأغطية والصابون من أجل الاغتسال الاسبوعي. لا وجود للتنكيل هنا الذي منعه محمد العشعاشي.

وقد يتخلصون من اصفادهم وتزال عنهم الأقنعة مرتين أو ثلاث مرات في اليوم وهنا لم يتوف أي مسجون أو فقد.

بعد مرور أسابيع من الانزواء أو شهور، يفرج عن المساجين. وكل من أجرم يقدم للفرقة الوطنية للشرطة القضائية الذي يصيغ تقريراً في الموضوع ويتابع المعني حسب القوانين، والبعض توظفه «الكاب 1» كمصادر للمعلومات، وهو ما حصل للعشرات من العناصر المكونين في الجزائر وسوريا. وبعضهم يحمل معصوب العينين ويطلق سراحه بنواحي سلا حيث يجد أمامه تذكرة الحافلة أو القطار وبعض النقود ليعود إلى حال سبيله، وهي كلها من أموال الصندوق الأسود.

استعملت هاتان الضيعتان من قبل قسم مكافحة قلب النظام إلى حدود1973، لتترك لصالح رجلي أمن بموافقة شفوية من محمد العشعاشي، وبعد ثلاثين عاما، مايزال الأمر على حاله.

مع مطلع 1963 اجتاحت المغرب حملة اعتقالات لاسابق لها في صفوف الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وذلك مادفع بالمسؤولين للتفكير في إيجاد أماكن جديدة كالخزانات التي تبلغ مساحتها ثلاثة آلاف متر مربع بالمطار القديم بالدار البيضاء آنفا، وهي أمكنة كانت مخصصة لاصلاح الطائرات العسكرية وتسمى. A.I.A (الكوربيس Corbès)

في هذا الوقت بالذات اكتشفت مؤامرة جديدة ضد شخص الملك المقدس، وهو حدث عملت «الكاب 1» على التهويل منه خلال تسعة شهور. فاقدمت المخابرات السرية على المرور من ثلاث مراحل : تسليم الأسلحة، الدعم المادي وأخيرا تجريم المسؤولين.

فيما يخص الأسلحة فقد كانت القاعدة الأمريكية بالقنيطرة في الموعد. ينبغي تجاوز الضابط يانكي المريض والهرم من أجل الحصول على الأسلحة. كان هناك تاجر له علاقات مع الأمريكيين اسمه محمد المير الملقب بالبيگبوي، ومترجم آخر جاء ليعمل «بالكاب 1» كمخبر.

ومن اجل تكسير شوكة تنامي شعبية الحزب الكبير اليساري قام محمد العشعاشي بترتيب كل شيء : تحريك مصادر المعلومات، تسليم الأسلحة، نسج الوثائق التي تثبت الاتهامات والمراقبة الدائمة لكموندو أو فرق محمد البصري الملقب بالفقيه المسؤول داخل المعارضة، وكذلك شيخ العرب الذي كان اسمه الحقيقي احمد اكوليز، وهو من دخل في معركة خاصة دون انتماء إلى أي حركة محددة. هنا كذلك دفنت الأسلحة لكي تستعمل كدليل ضد المتهمين امام المحاكم.

وضعت اللائحة الطويلة بأسماء المعارضين من قبل قسم مكافحة قلب النظام، وهي تشتمل على كل من له علاقة بالمؤامرة وغيره، وتحتوي على عشرات المصادر، حيث استثنت الكثيرين منهم مع عقوبات مخففة وتأجيل الحكم. وبعض مخبري «الكاب ا» تنبأ بما قد يحصل لحظة القاء القبض داخل مقرات الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وخاصة بالدار البيضاء، من قبل الكومسير علي بلقاسم المدعوم بالفرقة المتحركة للتدخل السريع الثالثة والرابعة بحي الوازيس ولارميطاج.

بالسجن المركزي بالقنطرة المكتظ بالمعتقلين السياسيين عوض الحراس برجالات «الكاب ا»، وهو احتياط لتفادي الهروب. حينما يعود رجال المخابرات السرية الخاصة من الإجازات يقولون كلمة السر للحراس الذين لا يعرفونهم حتى يفتحوا لهم الباب، لكن مدينة القنيطرة هي ذات هو صاخب وبعدد كبير من الحانات الأمريكية، وقد ينسون في حالة السكر كلمة السر فيدخلون في معارك مع الحراس ! في إحدى الليالي ظل المسناوي ينتظر لساعات طوال حتى عودة المدير ليلتحق بمقر عمله. وأحيانا لا تمر الأمور بسلام حيث يشرع رجال الأمن في الصراخ والضجيج وقد ينتهي الأمر بالشجارات، وأحيانا بطلقات نارية متبادلة.

من بين خمسة آلاف سجين مائة وثنان هم الذين مروا أمام القضاة. وظل البعض منهم بالنقطة الثابتة لسنوات أو اختفوا دون أن

يتركوا وراءهم أي أثر. لقد مس مخطط أوفقير والدليمي بعض مصادر معلوماتنا بشكل عشوائي ا.

ومن بين الشخصيات المطاردة يوجد الكولونيل بن حمو، وهو من رؤساء جيش التحرير المغربي. في لحظات الاستقلال الأولى اندمج هو وأصدقاؤه في القوات المسلحة الملكية. كان الكولونيل يَقطن بڤيلا كبيرة تبلغ مساحتها 1000م^2 تقريبا، بالإضافة إلى مسبح، توجد بشارع الناظور بالدار البيضاء. كما أهداه الملك محمد الخامس رخصا للنقل واستغلال المشروبات، وذلك ماجعله من الأغنياء الكبار. لكنه في المقابل حافظ على علاقاته بقادة جيش التحرير داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وقد اعتبر من طرف «الكاب 1» رجلا خطيرا ولما شعر بالخطر هرب إلى الجزائر.

وفي إطار العمليات التي يقوم بها رجال «الكاب 1» فقد سلبوا منه مسكنه تحت قيادة الكرواني وتحت انظار الدليمي. رافقت الفريق إلى عين المكان حوالي الساعة الحادية عشر ليلا. كسروا الباب ودخلوا وهم يبحثون عن دليل لإدانته. وحوالي الساعة الواحدة ليلا، وحين لم يجدوا أي شيء توقفوا عن البحث. فقرّر الدليمي إغلاق الباب بدقة ونقل السيارتين الفارهتين الموجودتين بالمخبأ إلى «الكاب 1». لكن الكرواني لم يعد إلى الرباط صحبة الآخرين . اعضاء الفرقة. فقد بحث عن شاحنة وحمل فيها الزرابي التركية والأفرشة الأخرى والأجهزة المنزلية الالكترونية... فمثل هذه الأمور ستساعده لامحالة على تفريش شقته الواسعة بالرباط ـــ أكدال. هكذا سقطت السيارتان في هاوية الدليمي والڤيلا تحت مراقبة «الكاب 1»، وصارت سكنى بن حمو مكان احتجاز سجل تحت اسم النقطة الثابتة P.F.5. فالقبو الواسع الذي تبلغ مساحته اربعمائة مترا يصلح لذلك، بحيث أن التعذيب كان بقاعة خاصة

بهذاالغرض. والملاحظ أن المعتقلين لا يقضون هنا وقتا طويلا ؛ إذ بعد أسابيع يتم تنقيلهم إلى P.F.2 أو إطلاق سراحهم.

بعد مؤامرة 1963. لم يكُنْ بن حمو الوحيد الذي انفلت من مخالب المخابرات السرية، فالمهدي بن بركة كان. الآخر متهما غيابا، محكوما عليه بالإعدام لأنه العدو رقم واحد للنظام الذي اختار المنْفى بالجزائر وألمانيا حيث التقى بأخيه عبد القادر المستشار التجاري للسفارة المغربية ببون. أما الفقيه البصري الذي كان الآخر محكوما بالإعدام فقد استفاد من عفو ملكي بعد أحداث 23 مارس 1965. وفيما يخص شيخ العرب الذي كان غير قابل للحجز، المبحوث عنه من طرف جميع رجال الأمن بالدولة لقتله ثلاثة رجال الأمن من «الكاب 1» في أبريل 1964 فقد قتل في شهر غشت الموالي. في حقيقة الأمر كانت هذه العملية عبارة عن عمليات عسكرية قادها محمد العشعاشي وعبد القادر صاكا، فهما معا ترأسا القوات النظامية والمساعدة. فقد تمت غارة على مخبأ بالدار البيضاء وضعت حدا لفرس متمرد سقط تحت النيران بأمر الدليمي وضد العشعاشي.

بعد احراز هذا النجاح أعطيت البطاقة البيضاء لأوفقير، فهو وزير جديد للداخلية، يمكنه أن يرقى رجال الأمن «بالكاب 1» وأن يوظف رجال أمن جدد. ومنذ الآن لن تفرغ النقط الثابتة، فالدولة كلها مكممة الأفواه، وكل من يعلم بشيء يغمض عينيه، والأرض تتشرب الدماء السائلة في صمت.

الروابط الخطيرة

بمباشرتي للملفات المودعة « بالكاب I » اكتشفت الروابط واللقاءات بين تل ابيب والرباط منذ تاسيس دولة اسرائيل في سنة 1948 ، والتي تطورت، وحوفظ عليها، بعد الاستقلال، بحيث مكنت مبعوثي الموساد من ولوج الدوائر الأكثر سموا في النظام. وزراء وموظفون وقياديو حزب الاستقلال والحزب الشوري والاستقلال ومساعدو الملك وممثلوا البورجوازية الكبيرة وأصحاب صناعات مهمة، حميع هؤلاء سقطوا في دائرة تأثير المصلحة السرية الإسرائيلية.

فدين الدولة العبرية على المملكة الشريفة تمثل في تصحيح الأمن السياسي المغربي وكان أعضاء وخبراء من جهاز .C.I.A يقدمون المساعدة الدائمة المطلوبة للمغرب، والتي تظهر على شكل وصية ملحة لاسير هاريل Isser Harel رئيس الموساد. فقد صرح هذا الأخير في أكتوبر 1959 أمام السلطات المعنية بقصور مناهجنا الأمنية.

ارسل الاسرائليون تقريرا مفجعاً يحددون فيه التهاون الإداري ويقترحون العلاج. حول هذا النص إلى الأمن الوطني بوساطة رجال أمن فرنسيين منS.D.E.C.E، ثم وضع من طرف رئيس ديوان D.G.S.N . قبل أن يرسل إلى ارشيف رنقة مولاي إدريس حيث تمكنت من الإطلاع عليه. ويتضمن ثمان نقط هي على التوالي:

1 ـ ابعاد محمد الغزاوي من الأمن الوطني في أقرب الآجال لعدم توفره على كفاءات واضحة.

2 ـ تعيين مدير عام على رأس الأمن الوطني من القوات العسكرية من الدرجة الأولى، ويستحسن أن يكون أوفقير أو المدبوح أو بوالحمص.

3 ـ من أجل إعادة هيكلة المخابرات السرية ينبغي وضعها تحت تصرف خبراء .C.I.A، بحيث هم الذين يمكنهم الإشراف على جميع الأنشطة بالنظر إلى حيوية ذلك بالنسبة للدولة والنظام معاً.

4 ـ تعيين على رأس المخابرات السرية ضابط من القوات العسكرية، ويستحسن ان يكون أوفقير أو المدبوح بحيث سيكون مراقبا وعن قرب، ويعمل، بارشادات خبراء .C.I.A.

5 ـ ان يعهد بمصالح الاستعلامات العسكرية إلى خبراء آخرين من C.I.A مكلفين بمراقبة جميع أنشطة المكتب الثاني 2ème Bureau.

6 ـ ان يوضع على رأس المكتب الثاني 2ème Bureau ضابط من الدرجة الأولى، سيتلقى تكوينا بقسم الاستعلامات العسكرية للو. م. أ (U، S، A).

7 ـ ابعاد اليسار عن الحكومة وتعيين حكومة جديدة يترأسها الملك محمد الخامس، مع جعل ولي العهد كنائب الرئيس، وهو الذي سيكون الرئيس الحقيقي للحكومة.

8 ـ المراقبة المباشرة للمخابرات السرية في البلاد والمكتب الثاني 2èmeBureau العسكري. وبلغة اخرى ينبغي أن تكون مصالح الاستعلامات المدنية والعسكرية تحت مراقبة الملك مباشرة.

لقد اتبع المخطط حرفيا، بحيث أقيل الغزاوي من مهامه وعوض باوفقير، ونودي على الأمريكيين وعزز الأمن الموازي مع إعادة هيكلته. كما أعلن محمد الخامس في 20 ماي 1960 عن حل حكومة عبد

الله إبراهيم، وتمركزت جميع السلط بيد العرش حتى يضمن. الوحدة الوطنية والاستقرار السياسي. ولكن لم يتغير أي شيئ بالمكتب الثاني 2ème Bureau. فالنظام ظل مقتنعا بأن الضباط العسكريين يظهرون وفاءهم وإخلاصهم للعاهل.

لقد مكنتهم تلك الامتيازات من الدفاع عن المؤسسات بطواعيه، فهم يتوفرون على أجور بدون امتحانات ولوج الوظيفة العمومية، ويستغلون مساكن فاخرة، ووضع تحت تصرفهم السائقون والبستانيون والطباخون، لقد أصبحوا يعيشون حياة كبار البورحوازية يرتادون نوادي الضباط ونوادي الكولف وملاعب التنس، ولهذا فلن تظهر عليهم أية علامة لقلب العرش.

إنه نسق فاسد سمح لعشرات الضباط الكبار بالاغتناء السريع عن طريق حيازة ملكيات الأجانب. فقد وضع رهن إشارتهم، مجانا، العمال الذين ولجوا القوات المسلحة ليخدموا الكبار. لم يكن للتعسف حدا، إذ عمل هؤلاء على جعل البنية العسكرية التحتية تحت تصرفهم من شاحنات للنقل وبنزين ومواد أخرى كمواد البناء... وكل ما يمكن من الاغتناء بسرعة. لقد أبّان كل هذا عن فراغ كبير في الاستثمار بينما كان الدخل خارقاً.

لقد سبق « للكاب 1 » أن خاضت في البحث في بعض الممارسات المشكوك فيها. لكن لا أحد توصل إلى استخلاصات. فالمخابرات السرية وضعت في واضحة النهار الفساد المعمم كتهريب المواد ذات العلاقة بالبترول وبعض المشاكل التي أبانت عنها الصفقات الخاصة بالجيش. وفي الأخير توضع التقارير جانبا. لم يكن، على ما يبدو، وضع النظام في هذا العالم مرغوباً فيه.

خلال هذه المرحلة تقدم محام شاب شجاع من حزب الاستقال، وهو محمد برادة مدير جريدة الراي، وحاول أن يطرح مشكل الرشوة السائدة داخل القوات المسلحة الملكية. فكان رد الفعل هو توقيف المتهم والحكم عليه بحكم قاس بدعوى النيل من مؤسسات الدولة.

وباختصار فقد ظهر أن الجيش لا يمكن المس به كما جاء في التقرير السري للموساد الذي لم تغير منه شيئا، ومع ذلك يمكننا الاصغاء إلى أسير هاريل Isser Harel جيدا. لقد وضع هذا الجهاز حياة الحسن الثاني في الخطر مرتين، مرة في الصخيرات سنة 1971 وأخرى حين تم اعتراض سبيل طائرة البوينغ 727 في العام الموالي.

كان المسؤول في الموساد محللا ممتازا للوضعية المغربية. فقد أنذر بخطر الجيش والمعارضة معا. بالنسبة للسلالة العلوية فإن النقط الثمانية تلخص مختلف الاخطار المتوقعة.

اهتمت المصالح الاسرائيلية بالمغرب عن قرب لسببين؛ يتمثل الأول في الوجه السياسي الخالص، بحيث كانت إسرائيل تبحث عن حليف مسلم يعمل على السلام في الشرق الأوسط، والثاني لوجود مجموعة يهودية قوية بالبلد. فقد رأت إسرائيل أن هذه الجماعات اليهودية تعتبر كخزان يمكنه أن يضاعف من عدد سكانها في الدولة العبرية. فحتى لو كان الأمريكيون هم من باشروا إعادة الإصلاح بالمخابرات السرية فإن الإسرائليين لم يكونوا بعيدين عنها. فقد كان إسير هاريل Isser Harel يزور المغرب مرات عديدة في السنة، وفيما بعد فعل نفس الشيء خلفه مايير أميت Méir Amit.

كنت أذهب إلى المطار لأرحب بهؤلاء الرجال الذين يعيشون في الظل ونقلهم إلى الفيلات السرية «للكاب 1» بحي السويسي. فقد احتضنا كل من الجنرال موشدبان Moshe Dayan ونعوم كلد مان Nahum Goldmann رئيس المؤتمر العالمي لليهود، فهما معا جاءا ليبحثا عن الوئام بين إسرائيل وجيرانها العرب.

كان زوار المغرب يقيمون جلسات عمل مع محمد العشعاشي وعبد القادر صاكا والكولونيل ماريان الذي كانت له معرفة قديمة برجال الموساد.

وقد يلتقي هاريل أو أميت بأعيان المملكة كالوزراء الأقوياء مثل كريم العمراني وعبد اللطيف الفيلالي، وهم لا يعانون من فتح ملفاتهم للاستفادة من تجربة هؤلاء.

أما فيما يخص أوفقير فإنه كان قريبا جدا من الاسرائلين، فقد كان مدعوما ومنصوحا ومسيرا من قبل رجال الموساد، على الأقل من أجل مكانته هو. لم يترددوا في إعطائه دفعة إذا ما رغب في ذلك.

كانت خبرة رجال أمن تل ابيب فيما يتعلق بالأمن تستعمل في كل ندوة عالمية تعقد في المغرب. القمم العربية والإسلامية والإفريقية، كانت تحضرها الموساد في الصف الأول ! كان رجال « الكاب 1 » من قسم العمليات التقنية وزملاؤهم الإسرائليون يعملون يداً في يد للتحضير للحدث. يوفرون الأمن لرؤساء الدول والوزراء المنتدبين من العالم العربي أو من القارة الإفريقية الذين جاؤا للمشاركة في المملكة الشريفة الظروف المناسبة. ليس من المهدهش أن يسمح المغرب في هذه الشروط بمناهضة الصهيونية في هذه التجمعات. فالقرارات تولد ميتة بالنسبة لإدارة الرباط، تلك التي اتخذها الإخوة المسلمون. فالكوميديا التي يلعبها قوادنا أثناء هذه الاجتماعات، القمم، لا تستهدف سوى إخماد وتنويم دولة الإخوة.

وبالمقابل فالحلول المؤيدة سواء من قبل المصالح الخاصة الإسرائيلية أو المغرب تخصص لها تقارير مهمة على جميع المستويات. فهذا التعاون المستمر لم يعرف اية أزمة سواء سنة 1967 خلال حرب الستة أيام أو سنة 1973 .

لتبادل أساليب جيدة، كان المغاربة يزورون اسرائيل باستمرار. محمد أوفقير زارها مرات عديدة مابين 1960 و1965، ونفس الشيء بالنسبة لمحمد العشعاشي وعبد القادر صاكا، وتوالت زيارتهما السرية حتى بعد انتهاء خدمتهما في نهاية التسعينيات. كان رجال « الكاب 1 » ينقلون الرجال إلى ڤيلات فاخرة بتل أبيب مصحوبين بفتيات شابات، من دون شك أنهن من أجهزة الموساد.

ناقش المغاربة مع اسرائيليي القضايا الأمنية العامة بشكل أساسي والاستعلاماتية. وهناك شخصيات شريفة تتوجه إلى تل أبيب عبر فرنسا، لا يهم السياسي ولا دقة الاستخبار، بل ما يهم بالأساس هو الإطلاع عن كتب على المناهج الزراعية التي طورها المهندسون الزراعيون الاسرائليون.

زار الوزير الأول كريم العمراني ما بين 1960 و1980 اسرائيل عدة مرات. كان يزور عن قصد الضيعات الفلاحية وفي نفسه حاجة إلى تطبيق هذه التقنيات الجديدة في ضيعته الخاصة. وقام بنفس الشيء كل من عباس القباج القيادي في الاتحاد الوطني للقوات .ش. وعبد الرحمان سميرس، رئيس نقابة أرباب المعامل.، وأخيرا احمد الدليمي مصحوبا بأبيه لحسن الدليمي. جميع هؤلاء الأغنياء أصحاب الأراضي والمواشي بالمغرب كانوا يتمنون ما تمناه كريم العمراني.

تسربت الموساد في المغرب من أجل الحصول على المعلومات، لكن كذلك، من أجل تنظيم الهجرة السرية للمجموعة اليهودية المحلية إلي إسرائيل. في سنة 1960 بلغ عددهم مائتين وخمسين ألفاً كانوا يعيشون بالمملكة، ولم يبق منهم الآن سوى اقل من عشرين ألف فقد تم هذا التهجير المنظم بمساعدة قياديين كبار تسلموا رشاوى على ذلك.

منذ تأسيس الدولة الإسرائيلية بدأت تغادر المجموعات اليهودية المغرب، حيث يستحيل العيش مادامت الحرب قائمة بين العرب وإسرائيل. ثمان سنوات فيما بعد، اي في سنة 1956، مع احتلال السويس وسيناء والهزيمة المصرية تكاثرت الاحقاد من حولهم. اسر بكاملها شدت الرجال نحو الأرض الموعودة، ورغم أن المسافرين كانوا كثر إلا أن الرحيل لم يكن منظما بعد. يغادر رب الأسرة متوجها نحو

فرنسا، حيث يقضي هناك عدة أسابيع ثم ينطلق ثانية إلى إسرائيل. وبعد أن يهيء حو الاستقبال يعود ليرحل هو وأسرته، وأحيانا صحبة اصهاره. وقد تغير هذا الأمر كثيرا بعد 1961. خلال هذه السنة التقى بعض المسؤولين المغاربة من العيار الثقيل بنظرائهم من الموساد من أجل التفاوض حول هجرة اليهود كميا. إنها آلية حقيقية بدأت في العمل قابلها ملء جيوب البعض من ذوي المكانة الرفيعة.

عمل بعض رجال الأمن المغاربة في نقط العبور من أجل ضمان سلامة العمليات، بمساعدة الفرق الأمنية التي يرأسها كل من عبد الحق العشعاشي وجميل الحسين وامحمد عينان كمنسق للعملية. ففي بلد يكون فيه الحصول على جواز سفر ووثائق أخرى معقداً فإن هؤلاء الرجال هم من سيسهل المصاعب الإدارية.

فإذا كان المسلمون يقطعون بعض الصعوبات في الحصول على حواز سفر، وإذا كان الأمر يتطلب القيام ببحث من قبل المخابرات السرية قبل قطع الحدود، فإن المغاربة اليهود استثنوهم من هذه القاعدة. ولكي يبلغوا ذلك عمل رجال الأمن على عدة مستويات :

ـــ الحضور إلى جانب السلطات المحلية من أجل تسليم جوازات السفر بسرعة

ـــ الحضور بالمقاطعات الحضرية من أجل تسليم شواهد الإقامة

ـــ الحضور إلي جانب المرحلين من أجل إعطاء أولوية للأسر اليهودية

ـــ الحضور إلى جانب الأمن الوطني من أجل التعجيل بالبحث وإعطاء راي إيجابي حول اليهود.

ـــ الحضور إلى جانب مصالح الحدود من أجل تسهيل المسطرة الإدارية للعبور.

ـــ الحضور في الإدارات العامة والخاصة لتسهيل الصفقات التجارية والعقارية والمالية التي تهم اليهود.

وقد ألغى الأمن القضائي متابعاته لبعضهم وعملت لجنة طلب العفو على الحصول على حرية المعتقلين اليهود.

غادر المغرب مابين 1961 و1965 ما يناهز مائة وعشرين ألف يهودي، وقد حصل أوفقير على ملايين الدولارات وأقل منه كل من أكديرة ودليمي، وهذا الأخير حول نسبة من المبلغ إلى كل من عبدالحق العشعاشي وجميل الحسين. لقد شكل عبور اليهود نحو إسرائيل ثروة كبيرة لصالح البعض وذلك ما يفسر تحرك المخابرات السرية. لم تكن العلاقة مع الموساد هي العلاقة الوحيدة مع الخارج. فبعض رجال الأمن من المخابرات السرية المغاربة حافظوا على العلاقات مع الخارج. وزيارات متبادلة مع نظرائهم الجزائريين رغم الخلافات بين الجمهورية الشعبية والمملكة الشريفة.

اقيمت هذه العلاقات، مع الجزائر، بفضل مبادرة مجموعة من رجال السياسة ذوي أصول من الحدود الجزائرية المغربية لهم نزعة فاشستيه. كان من المنتظر أن يلعب هؤلاء الرجال أدواراً مهمة في الصراع ضد فرنسا ولذلك نودي عليهم، فيما بعد، للقيام بوظائف من مستوى عال في الجزائر المستقلة. وقد درسوا بوجدة وعملوا خلال فترة شبابهم بها. وهناك بحثوا عن قاعدة يختفون فيها أثناء صراعهم ضد المستعمر.

وكان من بين هؤلاء عبد العزيز بوتفليقة إلى جانب آخرين. ثم أحمد بن بلا المزداد بمدينة مغنية القريبة من وجدة الذي كان يتنقل دائما إلى المغرب، ويعرف كثيرا جميع رجال الأمن بمدينة وجدة الذين ينتمون للأمن الموازي. أما الشادلي بن جديد، الرئيس المستقبلي الجزائري، فقد

كان رئيس معسكرات F.L.N المتمركزة بكل من وجدة وفگيگ. في حين كان محمد الخيدر يأتي مرة كل شهر حاملا معه نقود جيش التحرير الوطني، بينما كان قصدي مرباح، الرئيس المستقبلي للمصالح الخاصة الجزائرية، على صداقة حميمية مع الإخوان العشعاشي.

كل ذلك كان في صالح الحرب الجزائرية. «فالكاب I» كانت تساعد ماديا المتمردين وذلك بأن وضعت رهن إشارتهم التراب المغربي مدة طويلة بالاضافة إلى خطوط الهاتف والكهرباء، بل إن المخابرات السرية تدخلت للقيام بالضمانة لدى الممولين الذين يزودون الملسشيات الموجودة قرب وجدة. وحينما يعجز جيش التحرير الجزائري عن أداء مابذمته تتدخل «الكاب I» لتسوية الفواتيز.

اسلحة كثيرة مهربة من القواعد الأمريكية بالمغرب توجه لدعم صراع .F.L.N تمر عبر الحدود عن طريق المهربين المتواجدين ببني درار، كانت «الكاب I» قد جهزت كل ذلك سرا عن المراقبة الفرنسية.

في بداية سنوات الستينات، عشرات الآلاف من المغاربة ذهبوا إلى الجزائر للبحث عن عمل، سواء بأوراقهم الإدارية أو بدونها، حين صارت الجمهورية مستقلة. وقد اتخذوا بدورهم نفس الطريق الذي كان يتخذه المهربون. وكان من بين هؤلاء المهاجرين عدد كبير من المعارضين هربوا من المغرب بعد المؤامرة ضد الملكية في سنة 1963. وبموافقة، أحياناً، أو بدعم. الحكومة الجزائرية قرر المعارضون متابعة أنشطتهم التخريبية. وبسرعة كبيرة اخترقت «الكاب I» معاقلهم بالمدن الكبرى. في حين عملت الفرقة الأمنية لوجدة التي كان يرأسها «الكومسير» محمد سوسي على تنشيط المخبرين المشتتين في ربوع البلاد والمتواجدين على طول الحدود.

وخلال شهر أكتوبر من سنة 1963، وهي السنة التي اندلعت فيها «حرب الصحاري» بين المغرب والجزائر، وضعت «الكاب» والفرقة الأمنية

مخبرين سريين وهم من سيلعب دورا حاسما وكبيراً في الأمر. فقد مكنت المعلومات التي كانت نتلقاها القوات المسلحة الملكية من الهجوم المباغث على الأماكن التي كان فيها الدفاع الجزائري ضعيفاً، وذلك بمنح جنودنا إمكانية التوغل لبعض الأيام داخل تراب العدو. وهكذا تمكن كل من أوفقير وبن عمر اللذين كانا يقودان العمليات وهكذا تم لهما الحصول على نياشين جنرال.

كان الانتصار المغربي سريعاً، يعود في واقع الأمر إلى العمل الجبارلاستخباراتنا، ولكن كذلك للدعم الأمريكي. وقفت على هذا الأمر بنفسي لمازرت القواعد الأمريكية، حيث شاهدت عشرات الطائرات الأمريكية هناك بألوان المملكة الشريفة وقد وضعت رهن إشارة ربابنة القوات المسلحة الملكية للذهاب لتفجير المدرعات الروسية المتقادمة التي كان يستعملها الجيش الجزائري.

أثناء هذا الصراع دلَّلت السلطة الجزائرية المعارضين المغاربة الأكثر سرورا، حيث استفاد بن بركة من إقامة فاخرة بالمدينة البيضاء ومن هناك يمكنه الدفاع عن الثورة التي ينادي بها حماته والاعلان جهراً عن « حرب عدوانية » ضد الرباط. وقد رد الحسن الثاني بسخط عن « هؤلاء المخادعين الذين طعنوا المغرب من الخلف ». وفي نفس الوقت حكمت محاكم المملكة على المنفي بالإعدام غيابياً.

وفي وقت لاحق نظم الفقيه البصري خلايا لقلب النظام بسوريا انطلاقا من معسكرات وهران. لم يكن الرجل يؤمن بأي حد ممكن من التوافق مع النظام الشريفي معتقداً أن تطور « الديمقراطية » بالمونارشية أضحى مستحيلا مع الحسن الثاني الذي مايزال يتربع على العرش، ولذلك لا يمكن القضاء عليه إلا بقوة تنتصر للإرادة الشعبية بدل الحكم المطلق أو الاستبداد. ومن هناك انطلقت تحركات الكومندوهات نحو المغرب متسللة لقلب نظام الحكم العلوي السلطاني.

اعترف الفقيه بطموح غير محسوب ومتواضع. مدة ثمان سنوات إلى حدود 1973 كان يعطي أوامره لبعض المسلحين مكونين على اجتياز الحدود... وبواسطة مصادر استخباراتنا كان هؤلاء دائما يتم توقيفهم أو قتلهم عند خط الحدود، وذلك لم يمنع الفقيه البصري من إرسال، بشكل دائم، الشباب نحو حتفهم لأنه كان يظن أن الوسيلة الوحيدة ليبرهن عن نشاطه وبالتالي الاستمرار في تلقي إعانات مالية مهمة مقدمة إليه من طرف حماته التوريين.

وكرد فعل استمرت «الكاب 1» في مساعدة الأصدقاء الجزائريين المضطهدين من قبل مختلف الأنظمة. فقد مكنت محمد بوضياف من الهرب، وكذا أحد الزعماء المسمى حسين أيت أحمد. ظل محمد بوضياف مقيماً بالمغرب مدة ثلاثين سنة يسير ضيعة بالقنيطرة، أما الثاني فقد فضل الذهاب إلى سويسرا، وهو يراقب من هناك التطورات الفجائية لسياسية البلاد.

ورغم ذلك لم تنقطع الأوامر الجيدة بين الجهازين الخاصين للبلدين. فقد كان المسؤولون يجتمعون دوماً بمغنية أو وجدة لتنظيم لقاءات على مستوى عالٍ أو البث في قضايا جارية ذات أهمية بالنسبة للجهازين المتواحدين على الحدود.

لقد مكن هذا التستر من قتل كريم بلقاسم المتهم من قبل السلطات الجزائرية بالتدبير السيء لمفاوضات الاستقلال. كان مبحوثا عنه هناك، وهو يقيم بالرباط بفيلا بحي السويسي تحت حماية أمنية دائمة مكونة من الأمن السري وأصحاب الزي، بجواز سفر حقيقي. مزور سوري يحمل اسم محمد معمير كان يسير بالدار البيضاء مقاولة صغرى لصنع السلل، لكنه كان يسافر دوما إلى أوربا لأنشطته السياسية. وقد نجحت النداءات التي أعلن عنها الهواري بومدين لإلقاء القبض عليه.

في سنة 1970 بفرانكفورت ذبح بغرفة أحد الفنادق. ومن جانبها عملت المخابرات السرية المغربية، قبل ثمانية وأربعين ساعة من تنفيذ العملية، على إخبار نظرائهم الجزائريين بالعملية بتقنع تام في الإسم المستعمل والتاريخ والساعة ورقم الرحلة عبر الطائرة والوجهة.

وقد قدمت من جانبها، بالمناسبة، يد المساعدة «للكاب I» لالقاء القبض أو أسر بعض المعارضين المغاربة المتواجدين بالتراب الجزائري. فما أن تتوفر المعلومات الضرورية حتى يتحرك رجال فرقة أمنية خاصة. كان من بين رجالها كل من بناصر الكرواني والمعطي ريحان، اللذان كانا يتسللان إلى الجزائر بواسطة شاحنة صغيرة ويختطفان المبحوث عنه ويخدرانه ويدخلان إلى البلاد على وجه السرعة.

كان المرور إلى الجزائر لا يتم إلا عبر وجدة أو بني درار، حيث يتم تهييء مرور وسائل النقل بعناية من قبل الفرقة الأمنية بوجدة. وأثناءالعودة يقضي المختطف عدة أيام بوجدة بالفيلا التي كانت تشتغل فيها الفرقة الأمنية هناك. بعد مرور الوقت الضروري والقيام بفحص للوضعية ينقل المعني إلى الرباط إلى مركز «الكاب I»، وذلك قبل أن يتوجه إلى دار المقري، ذلك المكان الذي هو عبارة عن جهنم.

لم يسبق أن أعلنت وسائل الاعلام أي خبر عن هذه الاختطافات العديدة التي جرت بالخارج. ومن جانب آخر فإن النشطاء من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذين طالتهم هذه العمليات كانوا مجهولين كلياً للصحافة والجمهور. ولا أحد خشي عن مصيرهم. كان الفقيه البصري وحيدا يتحدث عنهم دائما لحلفائه وظل يردد الأسماء والتواريخ، لكن كل ذلك لم يفض إلى أي نتيجة.

وكان خلال هذه المدة محمد العشعاشي يزور الجزائر بانتظام ويستقبل بالحفاوة والحرارة . قبل أصدقائه القدامي.

* * *

لـم تـكـتـف « الكـاب 1 » بالاقـتـصـار علـى رجـال أمن بالخارج فـقـط بل داخل المملكة نفسها فرضت الضرورات على المصلحة اقامة علاقة مع عالم مشبوه المجرمين المتقاعدين مليء بالعاهرات والوسطاء. تجب الإشارة إلى أنه بالمغرب كان الحب الماجورمراقباً ومنظماً من قبل مختلف المصالح الأمنية وذلك منذ الحماية. والمدن التي يوجد بها البحارة والمراكز العسكرية والمدن القديمة التي يزورها السياح، هناك شبكات للدعارة وضعت بعين المكان منذ 1915 إلى الاستقلال.

بلغت مساحة أكبر وكر للبغاء بمدينة الدار البيضاء أربعة هكتارات كان يسيره مدة خمسة وثلاثين سنة أحد اليهود الفرنسيين المسمى بروسبير Prosper وتنطق بوشبيرBousbir باللهجة العامية المغربية.

ومازال البيضاويون يرادفون هذا الاسم بأوكار البغاء والفساد، والمكان مازال يحمل نفس الاسم : « بوشبير لقديم » أي الوكر القديم للبغاء. خمسة عشر الف زبون كل يوم في الأسبوع، وخمسة وعشرون خلال نهاية عطلة الأسبوع، وخمسة آلاف محترفة. أثمنة في متناول الجميع. داخل هذه الأمكنة الحقيقية للذبح يختلط المشردون بالمهربين وبائعي المخدرات وقطاع الطرق. وكان هذا العالم مراقبا عن قرب من قبل بعض السريين وغيرهم ذوي الزي الأمني. وهؤلاء كانوا مكلفين بالسهر على النظام داخل جوقة متنوعة جاءت تبحث عن قليل من الحب.

يلزم أن يملأ صاحب الوكر أينما كان في البلاد ثلاثة سجلات. الأول موقع على صفحاته من طرف الكومسير أو ضابط المصلحة الجهوية، حيث يسجل المسؤول أسماء الشابات والشبان الذين يمارسون أنشطتهم هناك، وكل واحد أو واحدة من هؤلاء يتوفر على بطاقة مهنية تسلم له أولها من قبل مصلحة السلوك التابعة لجهاز .P.J.

الدفتر الثاني الصحي كان يوضع رهن إشارة صاحب المحل والأمن يتضمن ملاحظاته بعد الزيارة الأسبوعية. كما يراقب من طرف الطبيب الرئيسي بالصحة العمومية للمدينة. وفي الحصيلة الموجهة، الثالثة، إلى الاستعلامات العامة يسجل الرئيس الإسم وجميع الأسماء التي مرت من هناك.

لا يمكن للدعارة أن تمارس إلا في هذه الأماكن المنظمة والمراقبة من قبل الفرق التي تقوم بغارات ضد كل من تجده بطريقها بغية توقيف كل من يهدد هذه المنازل الرسمية أو يوجد بها. بعد تقديم الفتيات إلى العدالة تسلمن لصاحب وكر ثاني فيزدن من العدد المتواجد به. لكن هذا الأمر السري لم يكن كافيا عادة، لذلك يبعث الوسطاء مساعديهم إلى المناطق النائية لجلب فتيات صغيرات جميلات يرغبن في امتهان مهن ذات مردودية. في حين أن «القوادات» يبحثن على بعد ثلاثة مائة 300 كيلومترا من الدار البيضاء للكشف عن المرشحات للبغاء، كما يدخلن في لقاء مع العائلات الفقيرة التي لها رغبة في بيع الصغيرات من أجل قدر مالي لا يسمن ولا يغني من جوع.

كان جهاز S.D.E.C.E يراقب هذه الأوكار جيدا في عهد الحماية، ومن أجلها فتحت المصلحة الفرنسية سنة 1948 ثلاثة منازل مغلقة بالدار البيضاء بالمدينة القديمة المركز. أحد هذه المنازل كان يشرف عليه المغني اليهودي المغربي سليم لهلالي Salim Lahlali. والمنزلان الآخران كانتا تحت وصاية السيدة مولو Maulo، وزوجها كورسكي انتهيا بعد سبعة سنوات بالحصول على نقطتين لبيع الخمور بحي بوركون، هم نابوليون وكوت باسك. كان رجال الأمن الفرنسيين على صواب، المكلفين بمكافحة الاتجسس، حينما حذروا من ممارسة اليقظة الدائمة: بين 1953 و1955، تخصص الوكران البيضاويان في أنشطة المقاومة. تفتيشات غير متوقعة أو مفاجئة يقوم بها رجال P.J. والاستخبارات

بواسطة وسائط موثوف مسها بعين المكان، تسمح لسلطة الحماية بتدمير السبكات السرية المصارعة من أحل الاستقلال.

مدن مغربية أخرى توجد في ماخور من كل نوع. في سنة 1952 بفضالة (المحمدية) كان حهازS.D.E.C.E المحرض على فتح منازل مغربية مغلقة عهد بها إلى زوريتا Zurita، انه متعاون تسلل إلى الإقامة العامة بالرباط، وكان فيما قبل على علاقة بضابط اسمه أوفقير.

أما في آسفي أراد الفرنسيون انشاء ميناء كبير فأقاموا أماكن اللهو وراء الاسوار، كان هناك كلارا Clara يُدير منزلا مغلقا، وإقامة من ثلاثة طوابق في ملكية احد القواد، وهي بناية تحافظ على امجاد الماضي وينبوع ماء رقراق من الرخام. جمع وكر الدعارة حوالي مائتي فتاة تحت قيادة الملقب بالوهراني Oranais واسمه الحقيقي عبد القادر الواسطي. وكما حدث بالدار البيضاء صار المكان وكرا للمقاومة تحت قيادةالسي عبد الله ولد القائد المختار. كان يتجول هذا الشاب بسيارة مفتوحة بيضاء، يرتاد جميع النوادي ويلتقي ببورجوارية المدينة كلها، فقد تمكن من التحكم في عدد من رجال الآمن بآسفي، بل تمكن من تنظيم شبكتين من المقاومين واستطاع اختراق مصادر استخبارات S.D.E.C.E الذين يرتادون الوكر!

جمعت أبي وولد القائد المختار علاقة حميمية، ومن بين معارفهما المتميزين كان هناك، بالبيضاء، محمد الزرقطوني المنسق بين الخلايا المحاربة عبر التراب الوطني. منذ ذلك الحين الذي تعرف فيه على السي عبد الله ولدالقائد المختار وهو يزور آسفي لمراقبة شبكات المدينة إلى حين وفاته في 18 يونيو 1954، وهو اليوم الذي آثر فيه الموت على السقوط بين أيدي الفرنسيين.

وبميناء ليوطي Port-lyautey بالقنيطرة مستقبلا وجد وكران للبغاء من غير المنازل المغلقة، إلى حدود الحرب العالمية الثانية، وهي اللحظة التي

عرف فيها اللحم البشري انتشاراً واسعاً في المدينة بدعوى وجود قاعدة عسكرية مهمة بعين المكان. لقد أضحى الطلب ملحاً أكثر من العرض، وذلك ما جعل تنامي ظاهرة البغاء الموازي غير الشرعي يتنامى بعشرات المنازل الخاصة. أغمض رجال الأمن أعينهم مقابل حصولهم على بعض الرشاوي، ولم يتدخلوا لتنظيم هذا الاقتصاد الممنوع.

صار الحصول على الرشوة والنقود من الأمور السهلة. كان هناك رجل أمن من أصل بربري موشوم الأنف يسمى الحاج قادة قد وجد ميدانا لممارسة تلك التجربة. عين رئيس دائرة بالقاعدة الجو- بحرية الأمريكية ونظم شبكتين سريتين واحدة للبغاء وأخرى لتهريب الخمور والبضائع المختلفة. ولم تنحصر أنشطته في حدود الغرب إذ امتدت إلى مناطق بعيدة من البلاد.

كان التهامي الكلاوي باشا مراكش يسهر بنفسه على هذا التهريب. وتحت سلطته صارت جواهر الجنوب تجتمن بأوكار الدعارة، حيث يوحد إلى جانب الأطفال لممارسة اقدم حرفة عرفها العالم. وفي كل يوم يمر مدراء الفنادق عند الباشا ليقدمون له ماحصلوه من أموال، من نشاط الليل، ويرد إليهم الباطرون جزءً منها قد يصل إلى عشرة أو خمسة عشر في المائة حسب هواه وحاجاته.

تزامن إغلاق خمسة وعشرين وكراً مع 1956. وذلك ما انعكس على آلاف الفتيان والفتيات الذين وجدوا أنفسهم في الشارع لممارسة مهنة غير قانونية فدخلت المهنة في سرية للمنازل الخاصة لممارسة بغاء متوحش وغير مراقب.

وفيما يتعلق بالمتشردين، سيئي التربية، فقد التحقوا بالأوكار القانونية ثم بمراكز الإفساد، ولكن البعض منهم. وظف من قبل الأمن السياسي، ومنهم من صار من رجال القمع وهم مستعدون للغارة والقتل.

إذا قضي على الأوكار فإن المحلات المغلقة ظلت مفتوحة رغم الحملات التي قادها قياديو حزب الاستقلال. بجمع محلات حوالي مائتي فتاة، معظمهن من الأوروبيات بقين يمارسن هذه المهنة بشكل قانوني. تظل هذه المؤسسات ذات أهمية كبرى بالنسبة للنظام؛ ففي كل واحدة منها توجد غُرفة، على الأقل، مجهزة بالكاميرات وآلات التسجيل.

يوجد دوما رجل من المصالح الخاصة يراقب سرا المكان. وحين يلمح زبونًا جديدا متميزا سواء كان رجل سياسة أو ضابطا ممتازا أورجلا له وزنا ما يطلب من مدير الحانة استدراجه إلى إحدى الغرفتين الخاصتي ففيما هو يشرب قنينة الجعا صحبة الفتاة المختارة ينسل رجل الأمن ليجهز آلات التسجيل والتصوير. والحاصل أن كل يوم تصل التقارير إلى المخابرات السرية من المحلات المغلقة مصحوبة بالصور.

إنها مصادر معلومات تلبي كذلك مطالب المخابرات السرية، حيث يأتي رجال مكافحة قلب النظام لاستلام حصتهم. حسابان مختلفان خاصان بهذه الأمكنة واحد موجه للضرائب بعيد كل البعد عن الواقع لا يفصح عن المدخول الحقيقي، وآخر حقيقي رصد لنا. كنت أمر إما أنا أو صاكا أو مسناوي للقيام بالحساب وبعد ذلك توزيع الأرباح إلى نصفين، حصة للمسؤول عن الوكر والأخرى «للكاب 1»، ونعود ادراجنا لتسلم الحقيبة الممتلئة لمحمد العشعاشي الذي يضيفها هو الآخر للصندوق الأسود.

خارج هذه الأماكن الرسمية شنت حملة على أوكار الفساد من قبل الفرق الأخلاقية. لكن هؤلاء الرجال كانوا يعانون الخصاص عملوا على تمشيط المناطق الخفية في نهاية كل شهر. وأحيانا يُوقع سكان حي معين عريضة ضد فتح مكان للدعارة فيوجه إلى رجال الأمن من أجل القيام ببحث بعين المكان وإلقاء القبض على الفتيات والشبان. كانت

الفرق الأمنية منهمكة في تطبيق التعليمات، لكن الحاصل أن صاحب المحل يخبر قبل ذلك ولا يجد هناك رجال الأمن إلا متزوجين، وأحيانا عائلة بأطفالها ! وفي حالة الإحالة على الوكيل فهو الآخر يُخْبَرُ على وجه السرعة باطلاق سراح الأبرياء المفترضين. أعطى أوفقير ومساعده الدليمي مع بداية الستينيات تراخيص لبعض الحانات تسمح بموجبها لهم بتنظيم سهرات ليلية مصحوبة « بالوسكي » المفرط وشيخات جميلات آتيان من الأطلس. ولاستغلال هذا الحدث غادر بعض رجال الأمن المصالح متوجهين إلى هذا الميدان للاغتناء من تجارة الخمور واللحم الطازج.

أتذكر جيدا واحدا من هؤلاء القدامي كان يعمل بجهاز"P.J"، والذي تفرغ لتسيير حانة بالدار البيضاء، مع العلم أنه ظل وفيا لأصدقائه القدامي « بالكاب 1 ». ثم غادر أخوان الأمن والدرك لتسيير محل لبيع الخمور واستغلال القوادة في أعلى درجاتها دون أن تنقطع الصلة مع مسؤولي « الكاب 1 ».

لا تكتفي مصالحنا بمصادر الخبر المحددة في رجال الأمن القدامي. هناك مجرمون متقاعدون عديدون يتعاونون مع المصالح. صاحب هذه الحانة أو تلك من الدار البيضاء كان مخبرا لجهاز .P.J ومصدرا موثوقا به للكاب1 . كنت أعرف أحد الأغنياء صاحب محلات عديدة بالبلاد، ورئيس شبكة قوادة ظل مصدرا موثوقا به « للكاب 1 » والمكتب الثاني 2ème Bureau. صحيح أن العلب الليلية والحانات تظل أماكن للمراقبة القوية والضرورية وتسمح لمسيِّريها باسداء خدمات للمخابرات السرية.

بالقنيطرة هناك حانة ماماس Mamma's وڤيلات كثيرة توجد بجوار أحياء الإقامة الرباطية، وثانيهما يوجد على رأس المرقص 007. وهما معا من توابع أوفقير، يعملان على تسليته، يجلبان فتيات

حديدات، وفي بعض المرات القاصرات صاحبات أربعة عشر سنة. وقد تمر القاصرات من هده الحانات التي تحميها «الكاب ا» قبل الالتحاق بشبكة الدعارةالعادية.

وأخيرا، قضي على المحلات المغلقة بدورها في سنة 1973 بعصا سحرية. فقد اعتقد المسؤولون في البلاد بوضع حد للممارسة الجنسية ذات الثمن المحدد. لكن هذه العملية زادت من انتشارالبغاء السري على نطاق واسع بدون مراقبة طبية ولا أمن، أمام الانظار العاجزة وأحيانا بتواطؤ الأمن والدرك والسلطات المحلية.

حينما اندلعت الحرب المدنية سنة 1975 بلبنان وجدت فئة كبيرة من الشباب وجهتها إلى المغرب، حيث دمرت المراقص ببيروت، فتأسست أماكن جديدة لهذا الغرض بالمغرب.

لم تغلق محلات بيع الخمور بالتقسيط رغم صياح حاملي أبخرة الفضيلة الذين أكثروا من المطالبة بتحريم الخمر نهائيا. لقدْ عوضت الحانات والمنازل المغلقة القديمة، بفتيات جميلات وقوادة لها أبطالها ومخبريها. لا شيء تغير تحت سماء المملكة.

كيف أنني لم أقتل بن بركة

صار المهدي بن بركة خلال سنوات الستينات الحلم المزعج أو الكابوس بالنسبة للنظام. فهو، فيما سبق أقلق سلطة الحماية، قبل أن يزعزع المملكة الشريفة. فقد كان قد أنهك الرجال الأمن الفرنسيين من S.D.E.C.E. ومنذ سنوات 1940، وهو في سن الستة والعشرين فقط، شارك في جميع الاجتماعات السرية لحزب الاستقلال حيث توجد بعض البورجوازية المغربية تحت إشراف الزعيم الكبيرعلال الفاسي، مستنشقين قليلا من نسيم الحرية. كان يتحدث بن بركة إليهم ببلاغة عن حقوق الشعوب وشر الحماية ومستعمرات الأغنياء ووجود الفقراء من الفلاحين جدا. لقد جر إليه الاهتمام لذكائه الثاقب ووطنيته الصادقة.

عمل أستاذا للرياضيات بثانوية گورو Gouraud بالرباط، ثم المدرسة الملكية Collège Royal، حيث وجد من بين تلاميذته الأمير مولاي الحسن، أبان عن وطنيته وهو يعطي دروسه مرتديا جلبابه التقليدي. وإذارغب بعض تلاميذته في التهكم عليه يعمل الأستاذ على خنق القهقهات في الحناجر مادام يتمتع بكفاءة وقريحة بادية. يوم 11 يناير 1944. حينما دقت ساعة تأسيس حزب الاستقلال، كان من بين التسعة والخمسين موقعا على العريضة كان رجلا أصغرهم جميعًا. ومنذ ذلك التاريخ وهو تحت المراقبة عن قرب معتبر كخطر بالنظر إلى مواقفه

الماركسية ـ اللينينية. وفي سنة 1951 أعلن الجنرال جوان Juin، المقيم العام بالمغرب، بأن بن بركة هو «العدو رقم 1» لفرنسا. تعلم المناضل فظاظة الطرد مرورا من مدينة إلى أخرى منفيا مدة ثلاثة سنوات.

لا يخيف بن بركة السلطة فقط، فحتى رجال الأمن الصغار يكنون له الضغينة وعنصرية رجال الأمن القادمين من المتربول الذين كانوا يجدون فيه رجلا من الأهالي متمكنا من تحليل المشاكل السياسية الأكثر تعقيدا. أطلق على الشاب اسم «الدينامو المحرك Dynamo» من طرف رفقائه في الصراع. وبالفعل فقد صار المحرك الرئيسي في حزب الاستقلال ممضي أكثر أوقاته في أنشطة الحرب. كان يشتغل كثيراً ويتمتع بعقل جبارمكنه من القدرة علي التركيب الرائع. لقد ضَحّى بحياته الخاصة ممضيا الساعات الطوال في الاجتماع يتفاوض مع التوجهات مكونا الكتابة والعلاقات الخارجية. كان يوجد في كل مكان، وفي جميع الأوقات.

استمر الرجل يقاتل من أجل أفكاره بعد الاستقلال. كان له طموح المغرب الكبير، يعمل من أجل استرجاع الضيعات والأراضي الفلاحية من المعمرين، مطالبا بإصلاح فلاحي وتوطين الصناعة، وملكية دستورية وتعريب التعليم. لم يكن الاستقلال بالنسبة إليه سوى مرحلة من أجل الاشتراكية. كان يكره الانتهازيين شأن المستعمرين القدامى، وبواسطة سلاطة لسانِهِ، ولغته الخالية من المحسنات والتزاويق جرُ عليه احقاد أعداد كثيرة في ربوع البلاد. استطاع أن يزعج جميع المقاومين المزورين، وأولائك الذين انضموا إلى الحرب التحريرية في آخر ساعة. أمام هؤلاء كان يرغب في نشر فكره.

هكذا حصل للمحجوبي احرضان الذي صار عدوه لحقد قديم. فهذا القائد الغني من الأطلس : الضابط المتوسط السابق في الجيش الفرنسي. ومصدر استخباري للاستعلامات العامة R.G، جاء وهو رجل عسكري بطموحات وشراهة : يتبختر كالطاووس في الواجهة اقدميته

كمقاوم وشهرتة هي التي ستضمن له مكانة سياسية. البعض منهم كان يهزأ منه في صمت، لكن بن بركة حنقهم بوضوح. خلال لقاء مفتوح على شرف المقاومين القدامى من جيش التحرير المغربي، أبان بن بركة بوضوح عن قلقة وضجره من هؤلاء الضباط الاحقار الذين دفعتهم فرنسا وهم في واقع الحال غير قادرين على أداء أي مسؤولية... كان هناك رجلان يستمعان لما يقوله بن بركة وقد عزما على أخذ الثأر في يوم ما، إنهما أوفقير والدليمي. إن الانتقام أكلة لا تؤكل إلا باردة.

لم تهدأ أعصاب المحجوبي أحرضان، أعتقد أن الهجومات تعنيه بشكل مباشره وليس غيره من أمثاله، ظننا منه أن بن بركة ليس خصما سياسيا له وإنما عدوه. وما أن ترشحت هذه الصورة حتى بدأ يفكر في القضاء عليه.

وجد في الحال الرجل الذي كان يبحث عنه لمثل هذه الوضعية. إنه رجل أمن يقطن بالقنيطرة عضو في الملشيات الخاصة التابعة للإدارة العامة للأمن، رجل مشبوه يتحرك باسم سام Sam الغارق في مجال البغاء. وبعد أن اتفق على مبلغ مالي بادله الآخر بالقيام بالمهمة.

في مساء ذلك اليوم من سنة 1957 اطلق سام عدة رصاصات من مسدسه الذي هو في ملكية المصلحة، في اتجاه المهدي بن بركة لما عاد هذا الأخير إلى مسكنه الكائن بشارع تمارة بالرباط(وحاليا شارع الحسن الثاني)، لقد نجا الرجل بأعجوبة ربانية أو ببركة شخصية. ولحسن الحظ أن القيادي اليساري المغربي لم يصب بأذى.

ثلاث سنوات بعد ذلك، حينما اختير سام من بين رجال الأمن للخدمة في « الكاب 1 »، عادت تلك المحاولة لقتل بن بركة موضوع كثير من المناقشات بيننا وحول ضعف القناصة.

فلت بن بركة من الموت الحقيقي لكن هذا الحادث لم يجعله متيقظاً بما فيه الكفاية. فطموحه السياسي اغضب في أحيان كثيرة حزب الاستقلال والذين لا يعرفون عنه سوى كونه متطرفاً بعض الشيء.

غادر بن بركة في شتنبر 1959 الحزب صحبة بعض رفاقه الشباب مؤسسا الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. جمع هذا الحزب الجديد العناصر الأكثر دينامية من الطبقة السياسية، وكلهم كانوا يطالبون باصلاحات عميقة ويشكلون نخبة مثقفة من الطلبة والنقابيين. لكن بارونات حزب الاستقلال، مع كامل الأسف، لم يرقهم ذلك لأنهم شعروا بالدونية وقدروا أنه هو المسؤول عن الانشقاق وعلى ضعف الحزب. وفي غياب ذلك اعتقدوا أن الحزب كان بإمكانه أن يظل مهيمناً ومعارضاً بقوة، وتستسمر العارضة البورجوازية.

أغاضت سرعة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية على التغلغل في الأوساط الشعبية النظام. ولذلك كان من المستعجل القضاء على ذلك! في شهر دجنبر، أي بعد ثلاثة أشهر عن تأسيسه ألقي بزعيمين في السجن هما الفقيه البصري وعبد الرحمن اليوسفي، وكان السبب هو التدرع بمقالة نشرت بجريدة التحرير، حيث طالب فيها الكاتب «بتحمل الحكومة للمسؤولية أمام الشعب»، والحال أن الحكومة مسؤولة أمام الملك. ستبقى هذه العملية ناقصة إذا لم يوضع المهدي بن بركة في الظل، هذا القائد الكارزماتي اليساري والصلب والخالص. لقد تلقى عبد القادر صاكا أمراً بتوقيفه سرا ونقله إلى دارالمقري. جاء صاكا مصحوبا ببعض رجال الأمن حوالي الساعة الرابعة صباحا إلى شارع تمارة لكن بن بركة شعر برياح غير عادية ففر إلى أوربا.

لم يعد بن بركة إلى المغرب إلا بعد مرور سنتين ونصف أي بعد وفاة محمد الخامس في 16 مايو 1962. وهو يوم عيد الأضحى. استقبل بحرارة على طول الطريق من طرف الأفواج التي كانت تصرخ وتصفق، منذ نزوله بالمطار، بالإضافة إلى فئات من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، حيث بدأ العمل في اليوم الموالي ووجدت عائلة الاتحاد الوطني للقوات

الشعبية نفسها أمام حوارات سياسية جديدة وحية وعناقات. وهكذا غادر بن بركة المغرب في صمت ليعود منتصرا.

عاد من المنفى إلى بيت الآباء وهو يجهل بأنه منذ 1959 تغيرت أشياء كثيرة في المغرب. لقد عادت المخابرات السرية آلية ناجعة كثيرا، وكل شيء خطط له في انتظار عودة المعني بالأمر، حيث وضعت ميكروفونات للتنصت سرا بجدران الإقامة، وكان الهاتف تحت المراقبة الدائمة والمراسلات تنسخ وتقرأ قبل توزيعها. وللقيام بهذه المهمة كانت إلى جانب سكناه إقامة تطل على الجهة الأخرى من الشارع يقيم فيها رجال الأمن على مدار اليوم وهم يصورون الداخل والخارج من منزل بن بركة. وهكذا يظل الجميع تحت انظارنا.

لم يكن أحمد الدليمي مقتنعا بذلك ولم ينس الرئيس الإداري والمالي «للكاب 1» الإهانة القديمة التي تعرض لها من طرف بن بركة منذ خمس سنوات خلت. ها هو اليوم يريد أن يقود الحرب بنفسه دون استشارة لا المسؤولين عليه ولا الزملاء، لم تكن له أية سلطة ليقوم بذلك العمل، لكن هذه التفاصيل في العملية لم تمنعه من متابعة عدوه برجال أمن مخلصين له وفاقدين لكل تجربة .وهكذا وظف رجال أمن يجهلون قواعد المطاردة. فهم طيلة اليوم بنفس سيارة بوجو 403 البيضاء التي تعُود إلى ملكية عائلة الدليمي. كنا على علم بهذه العمليات البليدة في «الكاب 1». فقد قرر بناصر كرواني، مرافقه القديم في الجيش الفرنسي، مَدِّيد العون له بتوظيف رجلين من الفرقة الخاصة في العملية. فحتى أوفقير والعشعاشي لم يكنا على علم بمخطط الدليمي وكرواني لتصفية المعارض غير القابل للمراقبة.

غريب الأطور هذا الرجل كالبكرواني. ضخم، عريض الكتفين بوجه يشبه الممثل الأمريكي المشهور لي مارڤين Lee Marvin، مستعد لكل

شيء. نذر نفسه كليا للدليمي وأوفقير. يعطيك انطباع بأنه رجل بدون وساوس، قادر على التنفيذ الحرفي لجميع الأوامر. كان معروفاً بالنقطة الثابتة الثانية P.F.2 على أنه من بين المعذبين الغلاظ، يمارس خزيه هذا إلى حد الموت. وذلك لم يمنعه ليكون أباً حذراً ذي ليونة مع أبنائه وإخلاصه لزوجته التي لا تبادله نفس الشيء.

تزامن يوم الجمعة 16 نونبر 1962، وهو يوم احتفال المغرب بعيد الاستقلال، مع العيد السابع لرجوع محمد بن يوسف. تقطع سيارة من نوع Volkswagen Coccinelle الطريق الرابط بين البيضاء والرباط. كان يسوقها مناضل من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مصحوبا بالمهدي بن بركة وصديقه المهدي العلوي الذي سينتخب نائبا بسلا. كانت السيارة متبوعة بسيارة أخرى قريبة منها، من نوع 403 بيضاء، يركبها رجال أمن تابعين للدليمي. كان السائق هو أوزين محند وخلفه يوجد كل من بناصر كرواني وريحان المعطي، وهما معاً رئيسي الفرق الخاصة.

توجد قرب بوزنيقة قنطرة حديدية معلقة في الهواء وقبل أن تصل سيارة المهدي إليها تجاوزتها السيارة الأخرى، وفجأة هوت الفولكسفاجن في المنحدر. ومرة أخرى كانت البركة حاضرة. لم يصب المهدي إلا إصابة خفيفة بالرقبة، وعنقه أصيب بكسر مما أجبره على حمل الجبيرة ووضع آلة على عنقه.

أشيع الخبر بين وسائل الإعلام على أن الأمر يتعلق بحادثة سير، فظهر محمد العشعاشي قويا ومندهشا، بحيث أن قسم العمليات التقنية الذي هو المسؤول عن مثل هذه المهمات لم يكن له يدفيها. توصل باسم الجاني فوراً واعتقد أن الدليمي يأخذ بثاره وهو ما يتجاوزه كثيراً ولا يناسب كفاءاته وسلطته.

ثلاثة أيام بعد ذلك، أي يوم الإثنين 19 نونبر حضر إلى زنقة مولاي إدريس كل من الكرواني وريحان وأوزين ولم يخفوا شيئا عن عمليتهم السرية. كانوا غير قادرين على كتابة تقرير باللغة الفرنسية فأنيطت بي المهمة وهو التقرير الذي وضع في ملف عن «بن بركة» وفي حين انب محمد العشعاشي رجال الأمن الثلاثة فوراً حتى بعلمهم الانضباط والاحترام والتراتبية.

في السابع من دجنبر 1962 أعلن الملك الحسن الثاني عن الاستفتاء على أول دستور، حيث كانت النتيجة 97٪ إيجابية من الأصوات المعبر عنها. وقد انسحب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية من هذه اللعبة، معلنا مقاطعته صراحة.

غير الاتحاد الوطني للقوات الشعبية من تاكتيكه في ماي 1963 حيث شارك في الانتخابات التشريعية. استمر بن بركة حركيته في البلاد، فكان يخطب في المهرجانات بالمدن الكبيرة والجبال، مُشتَغِلاً قدراته الخطابية. وقد تم له النجاح في أحد الأحياء الشعبية لمدينة الرباط، وهو حي يعقوب المنصور، حائزاً على تسعين في المائة من الأصوات. استعمل الغش والخداع في الانتخابات وانتصر النظام. هل لهذا السبب أعلن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية عن لجوئه إلى العنف؟ عبر عن ذلك اللجوء إلى الملشيات في إحدى تصريحات المهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد بمجلة Jeune Afrique : « لا وجود لأمل لأن المواجهة المباشرة هي عنوان الأحداث. فإلى حد هذه الساعة لا يستطيع اي أحد ان يقول لنا إلى أين تسير الأمور. فما أن وضعت الإدارة يدها على الشعب حتى ستجدنا مرغمين على إجراء انتقامي».

كان الانتقام من جانب السلطة قويا وعنيفاً. فقد اعتقل زعماء الاتحاد الوطني للقوات الشعبية خلال يوليوز 1963، مرغمة السلطة بذلك الإجراء المهدي بن بركة على المنفى. ومنذ ذلك الحين لم يعود أبدا إلى بلاده.

لم تفلح « الكاب 1 » في اعتقاله، لكن سكناه خضع لإجراءات من قبل الفرقة الخاصة التي يديرها الكرواني بحضور الدليمي، حيث فتشت آلاف الوثائق كالملفات والكتب التي رمي بها في علب ووضعت جانبا بقاعة أرشيفات زنقة مولاي إدريس. وقد كان الكولونيل مارتان المهتم الوحيد بهذا الكنز الضخم. وكنت أمضي إلى جانبه ساعات طوال في إعادة تركيب التقارير المنجزة عن اجتماعات حزب الاستقلال والتقارير الحديثة العهد الخاصة بالكتابة الوطنية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

سينفتح الأفق النضالي لابن بركة أكثر على صراع سياسي ضد الامبريالية. لقد صار مسافراً متاجراً بالثورة، وصار يعيش بين القاهرة والجزائر وباريس وروما وجنيف.

كما أصبح يحوز على مكانه في الإعلام لإدانة نظام الحسن الثاني والرشوة السائدة بشكل عام في الدولة. لقد كانت الصحافة العالمية، وعلى وجه الخصوص، الجرائد الفرنسية تردد بشره ما يقوله. ودون انقطاع كان دائما ينادي بإقامة برلمان حقيقي في المغرب نابع من صناديق الاقتراع، ويطالب باستعجالية وضع نهاية للاغتناء اللامشروع للبعض، وضرورة مصادرة الأراضي التي كانت بحوزة الطبقة المحظوظة. وهكذا فإنه تنبأ نهاية المملكة وأعلن دون تردد انفجار هذا الشعب الصغير الذي يرزح قمع دائم.

كان لابن بركة إعداء كثر بالمغرب، إلا أنه كان يجد مساندة من طرف معارضين للعرش، إنهم رجال تمكنوا من الافلات من جميع الفخاخ التي نصبتها « الكاب 1 »، ومن بين هؤلاء نجد الفقيه البصري حليف الشاب المخلص في حزب الاستقلال ثم في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. قبل أن يتورط في انقلابات مسلحة فاشلة Dans la subversion Armée .

ومحمد اليازغي، محام بالرباط، الذي اعتبر من قبل المصالح الخاصة الرجل الأكثر دينامية والأكثر تهديداً من قبل اليسار المغربي. ثم عمر بن جلون الدي حوكم بالإعدام سنة 1963 ثم استفاد من عفو ملكي، هذا الذي ظل حياته كلها مناضلا متحمسا مخلصاً. كما يجب إضافة اسم الوزير الأول الحالي عبد الرحمن اليوسفي إلى هذه اللائحة، هذا الرجل صاحب المزاج الهش الذي لم يزعج العالم كثيراً: كنا نعرف دائما بأنه كان يختبئ وراء قياديي المعارضة بليونة ولم يحصل أن أخذ المبادرة. متورط في انقلابين اطلق سراحه سنة 1960 بلا حكم، ثم ونال فيما بعد عقوبة محففة بعد مرور ثلاث سنوات. ثم فيما بعد انهمك كثيراً في الأممية الاشتراكية وعاش في فرنسا لسنوات عديدة.

إذا كان لابن بركة حُلفاء في الداخل يعيشون في الظل فإنه على العكس صار قويا بفضل خلفاء في الخارج امثال أحمد بن بلا الذي لم يتردد يوما في موافقته على التدخل لصالح الاتحاد الوطني للقوات الشعبية فقد كان يلتقي حليفه الاشتراكي بذراعين مفتوحين. وقد منحه زواج سفر ديبلوماسي جزائري ومساعدة مالية مغربية وتغطية مصاريف تنقلاته ومصاريف عائلته.

فتح بن بركة حسابات بنكية متعددة بباريس وجنيف والجزائر والقاهرة. كانت تحول الشيكات من قبل المساعدين باسمه. حتى يتمكن من مواصلة حركته وإنعاش صندوق الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وبكل وضوح وشفافية كان يحتفظ بخمسة عشر بالمائة لحسابه الشخصي وما تبقى يحوله لمالية الحزب.

العديد من الدول التي عانت من الاستعمار ساندت الزعيم الثالثي، فهناك محمد مصمودي وزير الخارجية التونسي الذي اقنع الحبيب

بورقيبة لمساعدة خفية وواقعية للمنشق المغربي. ونفس الشيء فيما يخص الحبيب عاشور الزعيم النقابي التونسي الذي غطى مصاريف سفر بن بركة بواسطة مركزيته النقابية حتى تفي بالعهد الثوري.

كما أن جمال عبد الناصر بدوره، صديق بن بركة، منذ الخمسينات. والذي صار رئيس الجمهورية المصرية، لم يقتصر على المساعدة بل ومساعدة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية منذ تأسيسه. لقد استفاد المهدي من الدعم والحماية المصرية واستقر هو وعائلته بالقاهرة.

هذا فضلا عن التعاطف الذي كان يلقاه من قبل فيديل كاسترو Fidel castro وتشي غيفارا Ché Guevara، وهما معاً ملتحيي barbudos الثورة الكوبية، وقد تقاسما معه أحلام تغيير عالمي. التقى مع تشي غيفارا عند جمال عبد الناصر وناقشا معاً مطولا مشاكل الاستعمار.

كما أن الزعيم بن بركة كان على علاقة باليهودي المغربي جو يوحنا Jo Ohana المستورد الشرعي للسكر الكوبي إلى المملكة المغربية. زار المهدي هافانا بدعوة شخصية من حليفه گيفارا وزير الصناعة، وتدخل شخصياً حتى يحصل صديقه اليهودي على رخصة استيراد السكر الكوبي إلى المغرب. وحينما عاد بن بركة إلى باريس صار ضيف رجل الأعمال اليهودي دائماً. ففي حي شون إليزي Champs Elysées كان المعارضون المغاربة يجتمعون بشقة يوحنا. لم يعلم أنه بواسطة Jo ohana أحد مصادرنا كنا على علم بكل مايدور هناك.

* * *

في أواخر غشت 1964 عين أحمد الدليمي على رأس « الكاب 1 » وأعطى أمره للمصالح بالتصفية النهائية لابن بركة. لقد حان الوقت لينتقم لحقدفين. وليُخلص الملكية من خطر دائم يتهددها.

اخترت للقيام بهذه المهمة مع زميلين هما بناصر كرواني وعبد القادر الوالي، وهذا الأخير رجل أمن من الأمن السياسي أبان عن فجاعة لا تضاهي في تصفية المقاومين القدامي ما بين 1956 و 1960 .

كنا على علم بأن بن بركة سيزور الجزائر لتلقى المساعدة المالية المعطاة له من قبل حكومة بن بلا. لقد كانت مصادرنا على علم أكيد حتى بالڤيلا التي سينزل بها وهو بالعاصمة الجزائرية.

حملنا جوازات مرورنا المزورة متوجهين نحو الجزائر ونحن نركب سيارة من نوع مرسديس تابعة للمصلحة، وهي تمار حملة تفتيش أحد المعارضين. نزلنا بفندق يوجد بحي بلكور بالجزائر العاصمة وانتظرنا هناك ثلاثة أسابيع وصول المعني. إنه الوقت المناسب لدراسة الأمكنة ووضع تفاصيل العملية. وبعد ذلك أخبرنا مخبرنا بأن المهدي يوجد هناك بين الجدران، ومعنى ذلك أن العملية بإمكانها أن تنطلق.

ترقبناه حوالي الساعة الخامسة مساءً على بعد (300m) ثلاثمائة متر من الڤيلا مختبئين بجدار صغير. كان الحي هادئاً ولم يستطع أي شخص مشاهدتنا. كان الكرواني مسلحاً ببندقية موزير Mauser à lunette . أما أنا والوالي فقد كنا نَعْمَلُ على تمويه المارة عن طريق حجب الكرواني من هذه الجهة أو تلك. انتظرنا إلى أن خرج بن بركة ليركب سيارته. إنه معروف ببدلته الداكنة اللون وقبعته الرخوة. ركز القناص ثوان واطلق طلقتين ناريتين. انهد الرجل. كانت المهمة تامة.

هربنا عبر إدراج حجرية موجودة على رابية مطلقة على البحر. ومع عودتنا إلى الفندق فاجأنا خبر الحواجز الموضوعة بالشارع الصغير. فقد طوق الأمن الجزائري جميع الأمكنة المحيطة بالسيارة. لقد حوصرنا.

تركنا لوازمنا بالفندق والسيارة في مكانها، وهرعنا إلى المحطة حيث رمينا أجزاء السلاح القابلة للتفكيك بمكان سري بعد أن عملنا على محو الآثار والبصمات. وهكذا ركبنا القطار المتوجه إلى وهران، ومن هناك كل واحد منا أخذ باخرة مختلفة عن الآخر صوب مارسليا. ثم عدنا فيما بعد على متن رحلة خاصة عبر الطائرة إلى مطار البيضاء – آنفا.

علمنا لَمَّا عدنا إلى «الكاب 1» أننا لم نصب الهدف، حيث تنبأ أعداؤنا بالهجوم فوضعوا بن بركة آخر. رجل يشبه محام الشعب المغربي، له نفس القامة ونفس المشية ونفس اللباس. هكذا قتلنا بغباوة رجل أمن جزائري! وعلمت أن ضحيتنا غير الضرورية أصيب إصابة بالغة في الصدر وتماثل للشفاء فيما بعد.

* * *

طالبت الأوساط العليمة بأقل أو أكثر بالأمور باستمرار خلال سنة 1965 بالعودة الممكنة للمهدي بن بركة إلى المغرب. وقيل العاهل المغربي إنه مستعد للسماح له. بل بمشاركته في حكومة مختارة... لكن هل الرجل ظل يطالب بملكية دستورية حقيقية؟ فكر دون ريب في التواطؤ الممكن حتى ولو لم يشر إلى واقع النظام. فقد كان يعلم بأن التعددية الحزبية والاعلامية النقدية لا توجد بالمملكة الشريفة، وإن وجدت فإنما من أجل أن يظهروا للدول الأخرى الواجهة الزجاجية. بالداخل كل شيء كان مريضا بالجدري: تزوير انتخابي وعمليات أمنية جعلت السلطة بين أيدي قلة من المحظوظين. والمعارضة المسموح لها لا توجد إلا في المسافة التي تجعلها تلعب دوراً ثانوياً أو صورياً.

يوجد بن بركة الآن في موقع قوة يجعله يستفيد من عفو عام يسمح له بالرجوع إلى بلاده، لكنه كان مشغولا بملتقى التضامن بين شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية حيث عين سكرتيرا عاما لمؤتمرها.

كان يسافر باستمرار لاقناع أصدقائه بالمشاركة في هذا المشروع الطموح المضاد لأمريكا. فالثورة التي حلم بها في المغرب ها هو الآن يقودها على مستوى كوني.

ان فديل كاسترو هو أول من أعلن عن فكرة « مؤتمر القارات الثلاث » الذي ستحضنه هافانا في يناير من سنة 1966 . كان بن بركة يعقد أحلاما كبيرة على هدا المؤتمر الذي سيجمع 82 دولة، من بينهم مندوبي الحكومات وحركات التحرر الوطني وأحزاب المعارضة. كان للكاتب العام المتحمس فرصة تاريخية للقاء « التيارين الكبيرين المعاصرين للثورة العالمية : التيار الذي بدأ مع ثورة أكتوبر بروسيا، وتيار الثورة الاشتراكية، والتيار الموازي لثورة التحرير الوطني » وفي انتظار تحقيق تلك الأهداف الكبرى فقد كان يتهيأ يوميا لمؤتمر القارات الثلاث بمساعدة زعيم كوبا، ثم بمساعدة كذلك الرئيس المصري الذي كان يهتم بالموضوع عن قرب، والذي كان يعمل بآرائه عن آرائه مرة وينطلق بمساعدته المالية.

المطاردة

خلال شهر مارس 1965 كانت أحسن قاعات السينما بالدار البيضاء تعرض فلماً لجون بول لوشانوا Jean -Paul le chanois، تحت عنوان البؤساء اقتباسا عن فكتور هيكو، وسيقوم جون گابان Jean Gabin بدور السجين النادم. ويبدو كأن مدينة باريس التي كانت تحترق آنذاك كما لو أنها اخترقت الشاشة ليتردد صداها في شوارع المدينة.

استغل الشجعان المغاربة الاضرابات للمطالبة بحق التعليم. لقد عمل وزير التعليم، بجرّة قلم، على منع من التعلم الثانوي عن جميع التلاميذ الذين تتحاوز أعمارهم السبعة عشر سنة. لقد كان الإجراء ظالماً لأنه لم يمس فقط المتوجهين بالخطأ، هؤلاء الذين لهم حظوة في التعليم التقني، بل شمل كل م. تميع بعض السنوات، بما فيهم الذين يقضون سنتين أو ثلاثة «بالأقسام تحضيرية»، وهي طرق موصدة حيث لا تعطى الدروس إلا بنصف حصة. خلال هذه السنوات نجد طفلين على ثلاثة غير متدرسين رغم المجهودات لوصول التلاميذ إلى الإعدادي والثانوي. ثلاثمائة ألف شاب يدقون كل سنة أبواب المؤسسات التعليمية، وتظل العائلات طيلة النهار أمام المكاتب للحصول على تسجيل مأمول. لكن لا يمكن استقبال الجميع. بالإضافة إلى أن الفقراء يرمي بهم، فهم غير قادرين على مواصلة التضحية ومطالبين بأداء اللوازم. وتوج المنشور الوزاري الذى وصل إلى أسوأ لحظته في جو مشحون من ذي قبل كل ذلك. في 23 مارس مئات

من التلاميذ من ثانوية محمد الخامس بالدار البيضاء تجمهروا في الساحة منذ الثامنة صباحا، وهم يرغبون في ترديد بعض الشعارات ضد السلطة... كان التحدي لا يخلو من تهور. ثم استولوا الشارع بسرعة بحي «لا رميطاح». كان الأمر عبارة عن نداء، حيث يأتي الشبان من جميع جهات المدينة. إنها موجة بشرية غزت المدينة الجديدة. تلاميذ الإعدادي والثانوي والعاطلون ولصوص صغار مطرودون من المدارس، الكل يصيح تعبيراً عن غيظه وخشيته عن المستقبل، يهينون العرش ويمزقون صور صاحب الجلالة الحسن الثاني.

دون أن نعرف كيف انقلب الاحتجاج إلى هيجان شعبي، حيث هاجم المتظاهرون على المكاتب الأمنية ومراكز الاستقبال والوكلات البنكية ومقرات المقاطعات الحضرية والدكاكين الفاخرة. واشعلوا النار في السيارات والحافلات. فتصاعد الدخان من الهياكل إلى السماء ساتراً الرؤية لواده. وحوصر رجال الأمن من دائرة درب الكبير والنيران ملتهبة ولم يلقوا سلامتهم إلا عندما وجدوا مخرجا صغيراً مكنهم من الأفلات من الإعدام. ومن جانبها حاولت قوات حفظ النظام اطلاق الرصاص الحي إما من أجل الدفاع عن نفسها أو محاولة تهدئة الثائرين الذين استمروا في التقدم والصياح تعبيراً عن غضبهم.

كان من الممكن تفادي ذلك. فمنذ شهر فبراير تلقى الجنرال أوفقير، وزير الداخلية تقارير مخيفة من المخابرات السرية ترصد القلق المتفاقم في الأوساط التلاميذية، ومن بين ماحذرت منه أنه في حالة الإقرار بالمنشور ووضعه حيز التطبيق فإن التظاهرات ستكون عنيفة وستعم الاضرابات في قطاعات عديدة.

لكن هل اكتفى أوفقير بقراءة هذه التقارير؟ إذا كان قد أخذ الوثائق الموجهة إليه ماخذ الجد فإنه لا محال سيضع قوات التدخل السريع والقوات المساعدة في حالة تأهب حتى يمنع التلاميذ من مغادرة مؤسساتهم ويعمل على حماية المراكز بالأحياء ذات الخطر الكبير. فإذا

كان مسؤولا، ويقوم بدوره فإنه سيواجه ويتحرى حول أسباب هذا العصيان الشعبي لامحالة.

بواسطة مخبرينا في الأوساط التعليمية كنا نعرف قبيل تلك الأزمة التي لا مفر منها في «الكاب 1» ما سيقع في الغد. وفيما يخصني فقد كنت مسؤولا أمنيا عن شارع 2 مارس، قضيت الليلة بالدار البيضاء، ومنذ السابعة صباحا خرجب إلى الشارع لأشرف على توزيع بعض رجال الأمن «الكاب 1» أمام المؤسسات التعليميمة.

إلى حدود الساعة التاسعة والنصف، وأمام هذه الوضعية المتفجرة انطلقت صوب الرباط لأخبر محمد العشعاشي بالنيران الهوجاء. أصيب الجميع بالذعر في زنقة مولاي إدريس : يتضخم الهيجان الشعبي دقيقة بعد أخرى، لكن أوفقير غير موجود ! كان الكومندان الدليمي بمكتبه بالإدارة العامة للأمن الوطني، وأما علي بلقاسم وفرقته منهم من يوجد بعين المكان لدى الأمن الجهوي للدار البيضاء، لكن الرجلين والعشعاشي ولا غيره بامكانهما أخذ القرارات الضرورية المناسبة في مثل هذه الحالات. على الجنرال أن يغادر مقر ملذاته الفاخر الموجود بضيعة فانسون بالفوارات قرب القنيطرة. لم أتردد أخذت الطريق متوجها نحوه مصحوبا هده المرة بزميلي أحميدة اجداين رجل الأمن - الممرض بالمصلحة، القادر بواسطة المخدر بأن يخرج أياً كان من ثمالته وسكره.

نصف ساعة، فيما بعد، كنا بعين المكان. وجدنا أوفقير هناك محاطا بمجموعة من الفتيات، في حالة ثمالة واضحة. حاولت أن أشرح له الأخطار المأساوية باختصارالتي تعرفها المملكة. هل عرف ماكنت أقوله له ؟ في جميع الحالات راح ليستحم مطولا بالماء البارد وشرب القهوة السوداء، وبعدها استمع إلى بانتباه.

حوالي الساعة الواحدة والنصف رافقناه إلى الرباط. وما أن وصل وهو مايزال يتمايل ويظهر كالمصاب بالجنون حتى ركب حوامة عسكرية

واصطحب قناصين ماهرين من الفرق الخاصة من بينهم الگرواني بناصر، وتوجه صوب البيضاء. لقد بدأوا في لعبة المحق. كان الرجال الثلاثة يطلقون الرصاص على الحموع المتظاهرة بتلقائية وهم بذلك أصابوا النساء والأطفال والشيوخ.

ومن جانبي عدت مرة ثانية إلى الدار البيضاء. كانت المدينة مشتعلة. بالشوارع حواجز كثيرة، دعي الجنود للقيام بهجوم وإطلاق النار على المتمردين. وأينما توجهت لا تسمع سوى أصوات الرشاشات القاتلة، واصوات الحوامات التي تحوم فوق المظاهرة، وأصوات سيارات الإسعاف التي تنقل المتمردين مدة ثلاثة أيام. ثلاثة أيام كاملة واجهت قوات الأمن المسلحة قوات الجيش الملكي والقوات المساعدة السكان والمتظاهرين وهم بأدي عارية.

في الليل اعلن عن منع التجول مابين الثامنة والسابعة صباحا حتى تتكمن القوات المساعدة من حمل الجثث في شاحنات صغيرة يبلغ حجم حمولتها ثلاثة امتار مكعبة كانت مخصصة لنقل الأزبال. كان رجال الأمن التابعين «للكاب I» يراقبون العمليات ويسجلون بدقة عددالجثث المحملة بكل شاحنة. تملأ الشاحنات قبل ذهابها لترمي بالحمولة في خندق مشترك حفر بأرض خالية قرب بوسكورة، التي توجد حاليا قرب طريق مطار محمد الخامس. الجميع في حفرة واحدة لا فرق بين النساء والرجال، والشباب والشيوخ...

رسميا أحصت الإدارة ستين جثة. مع العلم أن الجمهور لم يطلع يوما على الرقم الحقيقي. ففي «الكاب I» احصينا ما يقارب الألف وخمسمائة وخمسين جثة أو ألف جثة وخمسمائة وثلاثين، سقطت خلال الثلاثة أيام إنه رقم مهول ينبغي إخفاؤه بأي ثمن.

* * *

أمام كارثية الحدث فهم الملك أنه يجب أن يغير من مواقفه :

« لقد وضعتني شعبي العزيز في اختيار صعب ». قال ذلك يوماً وفي نفس الآن أعلن عن عفو عام لصالح السجناء السياسيين وأعلن عن رجوع بن بركة.

« إنني في حاجة إلى أستاذي القديم في مادة الرياضيات ليكون قريبا مني فلي معادلة ينبغي حلها ».

في 25 مارس، وبينما الثورة تدوي بالدار البيضاء استدعي كل من أوفقير والدليمي والعشعاشي إلى القصر الملكي بالرباط لحضور اجتماع طارئ يهم الأحداث الدائرة بالبيضاء. بالنسبة للسلطة لقد دقت الساعة لالقاء القبض على المهدي بن بركة الذي اعتبرته المسؤول عنها وقائدها الخفي. فإذا لم يدخل المنشف بنفسه إلى البلاد ينبغي البحث عنه ونقله إلى المغرب بالقوة.

* * *

قيل فيما بعد بأن زعيم العالم الثالث يشكل خطرا على دول أخرى تتمنى هي بدورها اختفاءه من الساحة العالمية، ومنها عدة حكومات غربية. ففيما يخصني فأنا لست قادرا على الأدلاء برأيي. يمكن أن يكون ذلك صحيحاً. وما يمكنني قوله هنا بأن هناك رجال أمن فرنسيين كانوا يعملون لصالح المخابرات السرية. وعدد مهم من بينهم عمل بالمغرب وحافظ على علاقات قديمة مع عبد القادر صاكا. فهذا الأخير كان يعرف جيدا جون كاي Jean Caille رئيس الأستعلامات العامة بفرنسا، وهو رئيس الأستعلامات بالبيضاء في بداية الخمسينات. وأما وال أمن باريس موريس بابون Maurice Papon فمارس بدوره نفس المهمة بالرباط والدار البيضاء خلال فترة الحماية. والحاصل أن الجسور لم تنقطع. ومن أجل العمل على ارجاع بن بركة ينبغي أن يتخذ القرار على مستوى العالي وذلك بواسطة بعث رسول قادر على الاقناع باستطاعته

إقناع المناضل الثوري بالعودة، وأن يُخبره بتشكيل حكومة ذات أغلبية من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وبمنصب حاسم مخصص له. ومن طبيعة الحال ماأن تطأ قدماه أرض الوطن حتى يجد نفسه منقادا Manu militari إلى دار المقري، مقيد الرجلين بالأغلال الحديدية، مكمم الوجه. وإذا لم ينجح هذا المخطط سنمر إلى المرحلة الثانية الأكثر هجومية.

وتحقيقا لهذا الهدف اتفق على أن يزور المبعوث الملكي بن بركة بألمانيا. وفي نفس الوقت تلقى محمد العشعاشي الضوء الأخضر ليحضر لمهمة خاصة رصدت لها ميزانية غير محددة. لقد أطلق على هذه العملية اسم «بويا البشير»، وتقوم على الاختطاف السريع والسري للمعارض.

في يوم 26 مارس استدعى الجنرال أوفقير القيادة العامة «الكاب 1» ليخبرهم بالمهمة الموكولة للعشعاشي. لقد حضر إلى هذا الاجتماع المهم الكولونيلات الأمركين الثلاثة بالإضافة إلى أحمد الدليمي والإخوة العشعاشي وعلى بن تاهيلا وعبد الحميد جسوس ومحمد بن عبد الله وبدر الدين بنونة ومولاي احمد التدلاوي، وكل من «الكوماندرات» بلهاشمي وبن الشيخ وجميل الحسين ومحمد السوسي واحميدة بن عبد الله وحومادة والشرايبي وعلابوش.

أعلن الكومسير الممتاز عبد الحميد جسوس عن وضع رهن إشارة قسم مكافحة النظام أربعين رجل أمن. من قسم العمليات التقنية سيعمل منهم عشرون على اقتفاء أثر خطوات المهدي بن بركة، وعشرة في التنصت خارج المغرب، وعشرة آخرون لنفس الغرض لكن داخل المملكة.

وبعد الظهر اجتمع محمد العشعاشي بدوره مع شُعَبِهِ التسعة المساعدة بالإضافة إلى الكولونيل مارتان، تعرفنا على المخطط الذي سيجعل الزعيم في مأزق حقيقي. كنت أعرف، من ذي قبل، هذا المشروع الذي كان جاهزا برفوف مكاتبنا منذ شهور. وتحت قيادة رئيسنا كنت قد هيأت هذا المخطط صحبة صاكا ومسناوي واجداين.

وكان قد خطط لست مراحل هي :

1 – اقتفاء خطى المهدي وذلك ليل نهار، بفرنسا أو سويسرا أو ألمانيا أو مصر أو الجزائر، وحيثما حل وارتحل. على رجال الأمن أن يلاحقوه، في جميع الأوقات ويرصدوا تحركاته.

2 – أن توضع على طاولة التنصت جميع الخطوط الهاتفية المستعملة التي يستعملها الزعيم.

3 – وضع جميع الخطوط الهاتفية التي يستعملها مناضلو الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بالمغرب تحت المراقبة بالإضافة إلى مخبري الحزب خارج المغرب.

4 – التدخل من أجل نسخ الارساليات الموجهة إلى المهدي سواء داخل المغرب أو الدولة المضيفة.

5 – مراقبة الأرساليات الخاصة بالحزب، ليس فقط داخل المغرب بل وخارجه كذلك.

6 – إرسال فرقة خاصة إلى الجزائر لتستقر هناك عدة أسابيع أو شهور بغاية القاء القبض عليه وتخديره ثم الرجوع به إلى المغرب.

حدد وقت إنجاز عملية «بويا البشير» في ثلاثة أشهر على الأقل هذا في حالة عدم وجود طارئ ما. أما الموارد البشرية الضرورية فهي ضرورة توفر خمسين رجل أمن على الأقل. والميزانية المطلوبة تبلغ مليوني فرنك فرنسي. كان تمويل هذه العملية من الصندوقين الأسودين «للكاب 1»، واحدة كان يديرهُ محمد العشعاشي مباشرة وآخرى تابعٌ للقسم الإداري والمالي الذي كان يشرف عليه كل من أوفقير والدليمي.

وأعلن محمد العشعاشي الذي كان الوحيد المسموح له بالكلام في هذا الاجتماع أن المخطط سيدخل حيز التنفيذ منذ 27 مارس على الساعة السادسة. إنه أمر مطلق. وهو الوحيد ولا أحد غيره الذي كان

منصوحا من قبل الكولونيل مارتان، والذي سيختار رجال الأمن لهذه المهمة ويشرف على التدخلات التقنية واتخاذ القرارات والاشراف على التنسيق، وإخبار أوفقير والدليمي مرة كل أسبوع عن تطوراتها.

أما الأدوار فقد وزعت على الشكل التالي :

1 - أشرف عبد القادر صاكا على مراقبة عمليات الملاحقة التي كان يقوم بها عشرون رجل أمن من قسم العمليات التقنية.

2 - راقب محمد المسناوي التنصت الهاتفي واحتجاز المراسلات داخل المغرب وفي الخارج. وهي مهمة سيقوم بها عشرين رجل أمن، عشرة منهم كلفوا بالمراسلات في الخارج ومثلهم في الداخل.

3 - تمثلت مهمة احميدة اجداين في حقن المهدي كمية منومة ضرورية حتى يظل المعارض فاقد الوعي طيلة الرحلة. عليه أن يكون منذ الآن مستعدا بحقيبته وجواز سفره المزور ليتوجه إلى الجزائر حينما يعطاه الأمر بذلك.

4 - أوكلت مهمة نقل المهدي من الجزائر لبناصر الكرواني وثلاثة رجال أمن من الفرقة الخاصة إلى وحدة.

5 - سيلحق ريحان المعطي مصحوبا بثلاثة من رجال الأمن بوجدة لحمل المهدي المختطف إلى النقطة الثابتة الثانية لدارالمقري.

6 - أما احمد زيني الذي كان يسميه الكولونيل مارتان «السيد السكرتيرة ذات الشوارب» فقد أخذ مهمة الآلة الكاتبة لكتابة التقارير والخلاصات وهي مهمة سرية بدورها.

7 - على بوجمعة بوفوس أن يقوم بالمداومة الخاصة وإلى جانبه كل من الزيني واجدين والبوخاري.

فحين إذا لم أعوض بوفوس كنت أعوض صاكا والمسناوي سواء بالمغرب أو خارجه.

انطلاقا من 27 مارس 1965 كان فريق من عشرة أفراد يرأسه الكومسير محمد العلوي المدغري ليضع أجهزة التنصت على هواتف بن بركة خارج المغرب، كما كان بعين المكان الكومسير بن منصور مع فريق ثان بنفس العدد تكلف بنفس المهمة داخل المغرب يراقب الخطوط الهاتفية لقادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

أما الكومسير ميلود التونزي فقد تكلف باقتفاء الأثر ميدانيا، لذلك توجه إلى سويسرا للقيام بالمطاردة صحبة عشرين رجل أمن. فبينما كان رؤساء الفرق الخاصة قد وصلوا إلى المكان المعين بسيارتين من نوع مرسديس وفولفو، حط رجال الكرواني بضيعة برتوتا Birtouta بالجزائر، وهي تبعد بخمسة وعشرين كلم عن العاصمة جهة البليدة. أما ريحان فقد أقام ظل الفرقة الخاصة بوجدة. ولم يبق له سوى انتظار الأوامر.

وفي نفس الوقت أعيد إحياء شبكة ملحقة. بڤيلا بنبركة بالجزائر كان رجل أمن تابع لنا هناك هو الجيلالي سلكاهية، المعروف بلقب «أباجلول». توظف كطباخ بالإقامة. فهو الموكول له بوضع منوم بالشاي أو القهوة لتنويم كل من يوجد هناك بما فيهم المهدي بن بركة، وخاصة المستخدمين الأربعة بالمنزل ورجال الاستعلامات الثلاثة ورجال الأمن الأربعة الآخرين المرتدين للزي الأمني. وعلم المتدخلون من خلال الاتصالات بالجزائر أن التدخلات يجب أن تتم عن طريق رؤساء المهربين بوهران حتى يتوفر الخبر بدون عائق السيارة التي تحمل الضحية.

وخلال هذه الفترة وصل مبعوث الملك الأمير مولاي علي إلى فرانكفورت. وهو في عجلة من أمره للقاء بن بركة ليبين له عن الإرادة الحميدة للملك الذي يتمنى رجوعه إلى البلاد. لا يتنافى المنفى مع هذه الفكرة، فهو على استعداد على مايظهر لقبول منصب حكومي لكنه كان يخاف من رد فعل أصحاب القرار في القوات المسلحة الملكية وخاصة الضباط. كيف سيكون رد فعل العسكريين تجاه انفتاح سياسي

على اليسار؟ التقط المحاور أمرا هاما وهو أن الجيش بالنسبة له لم يكن يشكل أي مشكل ثم تطرق المهدي بدقة لمستقبل الديمقراطية المبنية على ميثاق من سنتين. يهم شخصيات محايدة يختارها الملك.

هل كان المهدي قريبا من السقوط؟ كما أعلن أمام زائره أنه بمجرد أن يجد الفرصة سيعود إلى البلاد، فهو الآن مشغول بالتزامات دولية .أما الآن لا ينبغي أن نحلم. أنه كان مهتما بمؤتمر القارات الثلاثة.

توبعت هذه المناقشات حرفا حرفا من طرف «الكاب ا»، حيث وضعت أجهزة الأمن ميكروفونات بشقة عبد القادر بن بركة أخ المهدي. هل حازت استراتيجية المفاوضة على تقدم ما ؟ من الممكن ذلك. رجع عبد القادر إلى المغرب لكراء شقة كبيرة مخصصة لاستقبال الأخ صحبة العائلة. لكن كل شيء لم يبلغ مراده لبلادة الدليمي، حيث استغل غياب أوفقير الذي كان يقضي بعض الأوقات من حين لآخر بضيعة الفوارات محاطاً بشابات جميلات، لعب هذا البليد دور الرئيس، حيث اعتقل أخ بن بركة بعد رجوعه إلى المغرب وساقه إلى الإدارة العامة للأمن الوطني من أجل التحقيق معه لبعض الساعات. كان الدليمي يشرف عليها بنفسه ونصح عبد القادر بمغادرة البلاد فورا. في هذا اليوم كان محمد العشعاشي غير موجود بالرباط، بحيث سافر إلى الخارج ليراقب الملاحقة بعين المكان. وحينما شعر الدليمي بغلطته أخذه التطير فهذا المتّهور يمكن أن يقضي على عمله ويُفشل مهمة المبعوث الملكي. ولكن هل يتعلق الأمر فعلا بخطأ؟ مع العلم أن لا الدليمي ولاأوفقير لهما مصلحة في ترك بن بركة حيا بالمغرب. وبمعجزة استطاع الزعيم اقناع الملك بتشكيل حكومة تناوب. سيبتعد العسكريون بدون استثناء عن مقاليد السلطة وهذا يعني بالنسبة لمجموع الضباط الكبار نهاية مصالحهم وتواطئهم.

احترمت المخططات الأولي التي وضعها العشعاشي حرفيا مدة شهر، لكن بعد ذلك كل شيء تعقد مع ظهور عنصرين جديدين على

السطح هما : مراقبة الأجهزة الجزائرية للفيلا بالجزائر بدقة كبيرة دُعم الطباخ بذنب فرنسي ثانٍ. أخبرت الأجهزة الخاصة في كل من وجدة والجزائر، وظهر للعيان أن العمل سيَستغرق وقتاً أطول مما كان متوقعاً.

على الأقل، بعد شهر يونيو، غير انقلاب في الجزائر المعطيات كلها، حيث سجن بن بلا وعوض بالهواري بومدين على رأس الدولة الجزائرية. فمن الآن مصاعداً سيكون بن بركة قد فقد حليفه الرئيسي ولم تبق له أية حجة للإقامة بالجزائر. وهكذا تهاوى مخطط العشعاشي في طبعته الأولى وأخذت عملية بويا البشيروجهة ثانية.

* * *

استمرت حياة الجهاز بالرباط، كالمعتّاد، بمآسيها الصغيرة ومشاهدها الماجنة. ففي شهر غشت، من هذا العام 1965، انشغلت زوجة أحمد الدليمي بطيش زوجها عوض القضاء على المعارضين. كانت تتقنع وتتخفى وهي تتابعه، وأما هو فقد كان أميرا بين ذراعي إحدى عشيقاته بأحد الإقامات التابعة «للكاب I» بالرباط قرب فندق باليما.

ياله من صراخ! كادت أن تكشف عن ذلك في واضحة النهار إما باللجوء إلى المحاكم أو الملك. فهرعت جريا نحو فندق باليما وهي تبكي من أجل إخبار وكيل الملك هاتفيا أو رئيس الدائرة الأمنية؛ فهؤلاء، عليهم المجيئ فورا لتسجيل محضر والجاني في وضع المتلبس.

قبل وصولها إلى المخدع الهاتفي التقت زوحة الدليمي برجل الأمن بناصر كرواني الذي انهى محضره اليومي والشخصي بالحانة. كان الرجل يعرف السيدة جدا، فهي زوجة مرافقه في السلاح قديما والذي صار فيما بعد رئيسه.

ـــ أانتَ هنا؟ ماذا حصل لك؟

لم تتردد البئيسة لتحكي قصتها وهي تبحث عن الهاتف. فهم كرواني من كلامها انها ستبلغ عما حصل، وهو مايعني أن حياة معظم

المدراء المساعدين للأمن الوطني سيلحقها الأفلاس بهذه المغامرة. ففي المغرب لا تسامح السلطة مع الخيانة الزوجية، فهي جريمة يعاقب عليها القانون. لكن رجل الأمن عمل بهدوء على تهدئة قلب مكلوم. ورافق السيدة إلى دارها، حيث تقيم بفيلا بحي السويسي.

منذ أن عاد إلى «الكاب ا» والكرواني غارق في الضحك. يتسرع لكي يحكي هذه الطرفة لمحمد العشعاشي. لكن الحادث المؤثر في هذه الحكاية عن الخيانة الزوجية، وهو ما لم يعلمه الكرواني، وهي أن هذه العشيقة الجميلة للكومندان الدليمي كانت هي زوجته هو!

ولكي لا يتعقد الموقف، وحتى يُحَدّ من تداعيات الجهاز عمل العشعاشي، منذ اليوم الموالي، على تغيير أقفال الإقامات الست التابعة للجهاز بالرباط ووضع المفاتيح تحت المراقبة المتيقظة للكتابة التابعة للقسم.

هناك حادث ثان حصل خلال هذا الصيف يهم بوجمعة بوفوس الذي وضع يده على الخزينة. لقد تعلم بقسم العمليات التقنية كيف يفتح الأبواب الموصدة، وهو لم يذخر جهداً هنا ليستغل خبرته تلك لصالحه، ويبين عن كفاءة في فتح مخبأ بمكتب محمد العشعاشي. وذلك ما كان يقوم به منذ ثلاثة أشهر. ومنذ أن تعرفوا عليه طرد من «الكاب ا». لكن رئيس قسم محاربة التخريب لم يرغب في إعطاء القضية أكثر من حجمها بمتابعة رجل أمن أمام المحاكم. فسجنه بدار المقري، مدة سبعة أشهر وحينما استعاد الأموال المسروقة الحق بمصالح الشرطة القضائية بالإدارة العامة للأمن الوطني.

لم يكن بوفوس الشرطي الوحيد الذي غادر «الكاب ا»، بل غادرها عدد من الجنود الذين التحقوا بها إلى عهد قريب من طرف أوفقير، فهم غير قادرين على الاندماج في عالم لا يفهمون فيه أي شيء. وبمجرد وصولهم المخابرات السرية اعتقد هؤلاء الضباط المختارين من لدن الوزير أنهم سيستمتعون بالعمل في مكاتب مريحة والأعوان يقفون بالأبواب

لخدمتهم. وكم كان وهمهم كبيرا حينما وجدوا أنفسهم في مكان بسيط تكاد التراتبية أن تنعدم منه، ودون بروتوكولات كثيرة، ودون تمييز واضح بين الرؤساء والمرؤوسيين. وبالتأكيد هناك من وجد مكانه هنا كالليوتنان وريت العربي زوج كاتبة الدليمي الذي مارس وظيفته الإدارية لسنوات. إنه رجل خدوم اهتم بمصاريف تنقلاتنا وعلاواتنا المختلفة، وساعدنا على الحصول على التعويضات.

وعلى العموم فقد شعر معظم الضباط بالانزعاج بيننا. «فالكومندان» علال بن الشيخ عين بقسم محاربة قلب النظام، وفي البداية كان يلبس قميصاً فكان يظهر وشم على ساعده تظهر من خلال الجملة التالية: «عاش علال». هذا النداء الذاتي الداعي للمجد كان مبعث الضحك لجميع العاملين بالقسم! فقرر، بعد ذلك، ارتداء السترة في جميع الفصول. لم يشعر بالراحة هنا وظهر أن كفاءاته لا تتناسب والسرية. وذلك ما جعل العشعاشي والكولونيل مارتان يقرران ابعاده بهدوء عن العمليات. فكان يظل عاطلا طيلة النهار يمضي يومه في البحث عمَّن يستمع لمغامراته مع الفتيات. وكل ذلك لم يمنعه من حيازة على رتبة كومندان إلى أن انخرط في الحرب ضد البوليساريو بالصحراء. بينما أدمج الكومندان بلهاشمي، الجندي الجيد «بالكاب1»، بقسم محاربة التجسس وفي العمليات التقنية مابين 1961 و1967.

* * *

لم يهتم محمد العشعاشي إلا قليلا بخيانة الدليمي ونذالة بوفوس وحالات الجنود. كان يشتغل خمسة عشر ساعة أو أكثر من ذلك يوميا، وهو يهيء لعملية بويا البشير. فالنسيج الذي يتحرك فيه بن بركة معقد بالنظر إلى الحذر الذي يمتاز به وتنقلاته الكثيرة. ورغم الحضور الدائم للاستخبارات العامة بالدول التي كان يقطعها لم ييسر من مأموريتنا. بجنيف كانت المداومة على مدار الساعة تحتجز المراسلات

في غياب القائد المغربي. وحينما يكون هذا الأخير حاضرا بسويسرا تصير العمليات ذات صعوبة أكثر، حيث تعمل المصالح السويسرية على حماية زائرها المبجل بدافع الغيرة.

وحينما كان يركب بن بركة طائرة يجد رجال «الكاب 1» راكبين معه في نفس الطائرة. إنه نفس المشهد يتكرر بفرنسا والمانيا وسويسرا والجزائر ومصر والاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا أو كوبا. يتم في البداية تعيين المسافر: إثنان أو ثلاثة ضباط أو غيرهم من الاستعلامات العامة للبلد، يهتمون بالمراقبة القريبة أو البعيدة للمعارض المغربي طيلة الفترة التي يقضيها بالتراب الوطني. ثم كان هناك، من جانب آخر، رجال «الكاب 1»، يوجدون بعين المكان، وكان لزاماً عليهم أن يضاعفوا من الحذر والاحتراس أمام الجهاز البوليسي الموضوع بعين المكان. مثلا كان ميلود التونزي يسافر باسم الشتوكي أو إسم آخر ويعطي لرجاله التعليمات حتى لا ينكشف أمرهم. إنه تغيير دائم للهوية والمظاهر جعلهم يقبعون في سرية تامة ومجهولة.

لم يقف الأمر عند هذا الحد، فرجال العمليات التقنية كانوا هم أنفسهم تحت مراقبة قسم محاربة قلب النظام. كنت أتتبع ذلك صحبة صاكا أوالمسناوي. فإذا كنا نعرف على سبيل المثال أن المهدي بن بركة سيصل إلى القاهرة فإن شتوكي عليه أن يكون هناك بعين المكان صحبة شرطيين. بينما يرافق بن بركة شرطيان آخران مقنعين بلحية مصطنعة وجلباب وطربوش. تستحيل معرفتهماً أما أنا فأرافق المراقبين الثانيين، فأتحقق من حضورهما للمطار في اللحظة المناسبة من بعيد أشاهد بن بركة ينزل من الطائرة يقوم بالإجراءات الشكلية، كما أشاهد العناصر التابعة للاستعلامات العامة (R.G) تستقبله. إنني اهتم بتتبع الخطى واقتفاء الأثر. وما أن يتم كل هذا حتى أعود إلى المغرب على وجه السرعة لتحرير تقريري في الموضوع.

أما بفرنسا فإن الأمور كانت تسيربيسر كبير نظرا للمساعدة الناجعة التي قدمها لنا جو يوحنا Joohana وقد اقنعناه شيئا فشيئا ليصير هو نفسه مصدر معلومات «الكاب I » ويتكفل هو نفسه بحماية صديقه بن بركة بأن يأوي المتمرد بإقامته التي تحولت إلى استديو حقيقي للتسجيل، مجهزة بكامرات وميكروفونات.

لما يصل بن بركة إلى العاصمة الفرنسية ويضع حقائبه قبل أن يغادر المكان من أجل لقاءمّا دائما. كان رحالنا يتوفرون على مفاتيح الشقة فيدخلون إليها ليفتشوا أمتعته ويصوروا الوثائق المهمة بآلاتهم. ويجب ان نقول هنا كلمة تخص جهل يوحنا بالعدة الصناعية فهو يرى في الرجل الذي سطع نجمه أنه سيصير، أو يخيل إليه، إنه أصبح وزيرا.

في كل مساء، مابين السادسة والتاسعة، كان رجال الشرطة المكلفين بالمكالمات الهاتفية وبالمداومة الخاصة بالرباط، يتلقون اخبارمختلف الأنشطة التي يقوم بها بن بركة خلال الأربعة والعشرين ساعة الماضية. بالإضافة إلى ذلك فإن الطائرة كانت تحمل الطرد البريدي مرة كل أسبوع، خاصة يوم السبت باسم احميدة اجداين. وكنت انا والمسناوي نفك لفتها المشفرة ونجهزها لنقدمها إلى محمد العشعاشي يوم الإثنين. وكان هذا الأخير يقوم بدوره بتركيب للتقارير الأسبوعية لمدة سبعة اشهر كاملة. كما كنا نتلقى مكالمات هاتفية ملحقة يوميا.

وقد تبين من خلال دراستها أن المعنى بالأمر كان في حاجة ماسة للنقود. فابن بلا المهزوم الذي كان الممول الرئيسي للثورة نضب معينه، وابن بركة ليس من النوع الذي يمد يده لمالية الحزب، إنه يفضل العيش بالكفاف في انتظار أيام أفضل.

لهذه الأسباب فكر العشعاشي في تصوير فلم يعالج تصفية الاستعمار، حيث يلعب المعارض المغربي دور المستشار بقدر مالي بلغ مائة الف فرنك وسيحصل منها على تسبيق يبلغ النصف ما أن يمضي على العقدة.

لقد كان المبلغ مغريا للإيقاع بالزعيم. وفي هذه الأونة حصل العشعاشي على الضوء الأخضر للقيام بالعملية في أية لحظة، فوضعها هو قيد التنفيذ.

المرحلة الأولى : يقترح على بن بركة مبلغ مالي مقابل مشاركته في الفيلم المذكور.

المرحلة الثانية : التقاء المجرمين المتقاعدين الفرنسيين الذين سيقومون بالفيلم فهؤلاء الرجال عليهم أن يكونوا مادة للإعلام الفرنسي ويتوفرون على مرجعية كبيرة في مادة الإجرام والمخدرات والقوادة.

المرحلة الثالثة : تنظيم لقاءات بين بن بركة والمكلفين بالفيلم والمجرمين المتقاعدين بجنيف وباريس والقاهرة والهدف هو تشويه سمعة المعارض بغية وضع حد لسمعته السياسية الوطنية والدولية.

* * *

بعد هذه المرحلة الثالثة يمكن لرجال «الكاب 1» أن يخطفوا الزعيم وينقلوه إلى المغرب سراً مقيد اليدين والرجلين.

كان يعيش في مغرب الستينات عشرات المجرمين المتقاعدين الأجانب، أغلبهم من فرنسا، نشطاء في عدة قطاعات كالتصدير والاستيراد والتسليم البحري والمطاعم والفنادق والعلب الليلية، بالإضافة إلى القوادة. إلا أن العشعاشي وقع اختياره على أربعة معروفين للمصالح للقيام بمهمة إلى «الكاب 1»، ويسيرون الإقامات المغلقة الموجودة بكل من الرباط والمحمدية والدار البيضاء وآسفي.

اندهش العشعاشي وهو يستمع لهؤلاء المخبرين السريين القدامي وهم يحكون له عن اختطاف الكولونيل أركود Argoud بميونيخ. كانوا يتبعونه مدة سنتين، وهم يتبعون هذا العنصر المنتمي لِـ O.A.S الذي كان يتمتع بأحلام استعمارية في الجزائر. وأخيرا عادوا به إلى باريس بمساعدة رجال أمن ألمان ومجرمين متقاعدين فرنسيين. استجوب من

طرف رجال الأمن المان حقيقيين من قوات المحافظة على النظام ثم سلم للمجرمين الذين عملوا على تحديره واجتازوا به الحدود الفرنسية الألمانية، وهو ملفوف في زربية تركية وموضوع في شاحنة صغيرة إلى أن سلم في الأخير للاستعلامات العامة الفرنسية التي أحالته على العدالة فحكم عليه بالمؤبد.

استوحى العشعاشي هذه الحكاية في مخططه. ولا بد من الإشارة إلى أن المجرمين المتقاعدين أبانوا عن استعداداتهم للتعاون مع «الكاب 1» ليضيفوا إلى سجلهم الخالد اختطافا ثانيا كذاك الذي قاموا به بميونخ.

وفي انتظار الفيلم عن تصفية الاستعمار حتى يأخذ صيغته النهائية انشأت شركة سينمائية ممولة من قبل «الكاب 1» وطالبت بانتاج الفيلم المفترض المعنون بكفى Basta ! وقد ظهر أن شخصيات تورطت عن حسن نية. فمُجمل الفيلم ستكتبه ماركريت دوراس Marguerite Duras والإخراج سيقوم به جورج فرانجو Georges Franjul الشخصية المشهورة في اليسار، مؤلف أفلام ذات صيت كبير مثل Thérèse Desqueyoux والفيلم الثاني Pleins feux sur L'assassin لكن ما يعوق العمل هو الحصول على وثيقة. كما برزت إلى سير الأحداث شخصيات مجهولة جاءت لتكمل المشهد. إنه صحافي يسمى فليب بيرنيي Philippe Bernier صديق بن بركة منذ أن كان يشتغل بالإذاعة المغربية، وهو من سيلعب دور الوساطة، والشخصية الثانية هي جورج فيكون Georges Figon ناشر فاشل ومجرم برز إلى السطح كمنتج.

كما أن انطوان لوبيز Antoine lopez رئيس مصلحة بمطار باورلي Orly، وخبير .S.D.E.C.E ومصدر معلومات الكاب ساهم هو الآخر بدور تمثل في تبسيط شكليات الجمارك للجنرال أوفقير حينما يتجه هذا الأخير إلى باريس. ومحو آثار هذا الرجل من الشبابيك حتى يمر في سرية تامة. إن هذه المهمة الاستراتيجية ستساعد دون شك في

اللحظة المناسبة. وفي وقت سابق كان هو من عرف شتوكي على وجهين بارزين لا غنى عنهما، وهما لويس سوشون Louis Souchon وروجيي ڤواتو Roger Voitot، وهم ضباط في الشرطة القضائية الفرنسية وهما المكلفان استدراج المهدي بن بركة مقابل اجر بلغ خمسين الف فرنك فرنسي لكل واحد منهما.

انطلق برنيي في العمل بعد أن استخدمه الشتوكي جيداً فاقترح على بن بركة منصب المستشار التقني والتاريخي للفيلم المزعوم. وخلال شهور عديدة كان الزعيم الثوري يتناول طعام العشاء أو الغذاء بفرنسا أو سويسرا أو مصر مع الفريق السيمائي والمجرمين المتقاعدين بمطاعم مكشوفة. وحينما كان الشتوكي ورجاله يوجدون بعين المكان قبل مجيء الأبطال يجلسون بأمكنة تسمح لهم بأخذ صور للزعيم العالم - ثالثي مرفوقا بالمجرين المتقاعدين الذائعي الصيت. فهل من مزيد لاضافة ازعاج آخر للمناضلين الذين يثقون به أكثر!

في شهر شتنبر 1965 ازداد الخناق على المعارض الملاحق حيث أخبر فديل كاسترو صديقه بن بركة بأن الحسن الثاني يمارس ضغطا قويا على هاڤان مبديا رغبته لاستيراد السكرالكوبي إلى المغرب إذا ماتنازل المعني عن وظائفه المتمثلة في الكاتب العام للقارات الثلاث. وكاد ان يفقد بن بركة مدخوله الرسمي لكنه وقع العقدة المعجزة التي تجعل منه مستشاراً للفيلم Basta!

ومع ذلك، فقد شعر بالخطر المدسوس له. ففي منتصف أكتوبر سمح لمحمد حسنين هيكل باستجواب، وهو رئيس تحرير الأهرام المصرية، فقال: «الآن يكتشف (قواد الجيش) بأن تعاوننا مع الملك قدتم أو أنه سيتم خلال هذه الأيام المقبلة. فإما أن يتدخلوا أو أن الجولة الأولى سيخسرونها أو عليهم أن يمارسوا على الملك ضغطا لا يقاوم أو أنهم يمارسون علينا عمليات حاسمة للتصفية بجميع الوسائل. ولا

أعلم كيف سيتم القيام بذلك غدا، لكن الإحساس بالخطر لم يفرض علي « أبداً بالقهر » لا يهم، إنه لايعرف بأن الأمر كان مقضياً، دون حذر قبل لقاء بوم الجمعة 29 أكتوبر بباريس بمطعم ليب Lipp الكائن بشارع سان جرمان.

وخلال تناول طعام الغذاء مع فريق الفيلم سيتم التطرق لآخر التفاصيل التقنية والإدارية والمالية للمشروع.

يوم الإثنين 25 أكتوبر كنت صحبة كل من محمد العشعاشي واحميدة اجداين ونحن في الطريق إلى المكتب الثاني للقاء الكولونيل حسن اليوسي، ولنقول له بأن يضع رهن إشارة قسم محاربة قلب النظام طائرة عسكرية صغيرة لبضعة أيام بدءً من 28 أكتوبر. أعطى الكونيل موافقته دون تردد وكانت الطائرة موجودةيوم الموعود مع الثامنة صباحاً بمطار الرباط ـ سلا المدني.

في يوم الثلاثاء 26 أكتوبر أخذ كل من محمد العشعاشي وعبد القادر صاكا ومحمد مسناوي بجوازات مرور مزورة. وذهبوا على وجه السرعة إلى باريس لاتمام مهمة أخيرة والتحضير للاختطاف. وحملوا معهم ما يقارب المليون فرنك فرنسي بمختلف العملات. وفي يوم 27 أكتوبر مساء هاتف الدليمي أحمد من الجزائر Alger عبد الحق العشعاشي وقال له بأنه لا ان يكون حاضراً بعد الغد في حالة ما إذا كان أخوه محمد العشعاشي سيحتاج إليه. وبالصدفة حمل المسؤول عن القسم الإداري والمالي قدرا من النقود. وقد عرفت فيما بعد أن الأمر يتعلق بخمسمائة الف فرنك بالعملة الصعبة.

باورلي أُخبر انطوان لوبيز بأن المصالح الخاصة المغربية تلقت تعليمات بحصول لقاء بباريس سري بين بن بركة ومبعوث الملك الحسن الثاني ولأجل هذا اللقاء الخيالي استولى شتوكي على فيلا بوسييش

Boucheseiche بفونتناي لوفكومت Fontenay-le-vicomte، وهي تقع في مكان هادئ ومنعزل.

يوم الخميس 28 وزع شتوكي على مختلف المتدخلين في القضية الأظرفة المالية الموعود بها، التي قدمها له محمد العشعاشي وهو الذي قرر بأن يمتنع عن أداء المبلغ المالي لجورج فيگو، ولم نعلم نحن لماذا قام بذلك.

وفي اليوم الموالي الجمعة 29 أكتبر مع الثامنة وخمسين دقيقة عاد بن بركة من جنيف ونزل بمطار أورلي. وكان صحبته بنفس الطائرة كل من محمد حليم وحسن بن يوسف، وهما معاً من قسم العمليات التقنية. فناب عنهما في اقتفاء الأثر كل من محمد بتيش وعبد القادر الدرفوني اللذين كان ينتظرانهما بمطار أورلي مرفوقين بميلود التونزي الملقب بشتوكي. وهناك في مكان بعيد شيئا ما يوجد عبد القادر صاكا ومحمد مسناوي مقنعين يراقبان العملية، ويعملان عى تجنب الظهور أمام ثلاثة من رجال الاستخبارات العامة الفرنسية الذين كانوا يرتدون بدلا ناصعة وطرابيش رمادية، يشبهون الممثل الأمريكي «هامفري بوگار» بلبسهم Humphrey Bogart الذين كانوا مكلفين بحماية الزعيم الثالثي.

غادر أورلي حليم وبنيوسف صحبة شتوكي على متن سيارة من نوع رونو 16 كان يقودها التونزي ميلود بنفسه للوصول على وجه السرعة إلى شارع سان جرمان. منذ العاشرة كان الجميع يتبادل المعلومات وهم على مسافات متقاربة اثنان منهم على رصيف مطعم ليب والثالث أمامهما في الجهة المقابلة في الآخر من الشارع هناك يتم تصوير الاحداث من قبل حليم الذي كان مجهزاً بكاميرا احترافية،

وبن يوسف يلعب دور السائح الغني مصحوبا بآلة صغيرة للتصوير أما شتوكي فقد كان يتوفر عى آلتين صغيرتين جداً ؛ الأولى مخفية بحقيبة الوثائق والثانية بعلبة السجائر الأمريكية . وفي الجانب الآخر يوجد بسيارة من نوع ستروين .D.S سوداء اللون تابعة للسفارة المغربية بباريس صاكا ومسناوي يراقبان الأدوار التي يقوم بها كل واحد قبل مغادرتهما في اتجاه فيلا بوشسيش « بفونتاي لوفيكونت » Fontenay Le vicomte .

على الفريق كله أن ينتظر ساعتين زمنيتين في انتظار وصول المهدي بن بركة .

مداومة في نهاية أسبوع

الجمعة 29 أكتوبر 1965

« سقط المعني في الفخ كما كان متوقعاً على الساعة الثانية عشرة والنصف بالتوقيت المحلي. أن العملية تمت بدون اي عائق يذكر. والآن يوجد الجميع بالڤيلا. وسيشرع في الاستنطاق مباشرة. يمكنكم بعث الطائرة الصغيرة العسكرية هذه الليلة نفسها إلى مطار أورلي Orly، لأن الطرد جاهز».

وبالنظر للتفاوت الزمني بين الرباط وباريس، فقد كانت تشير الساعة هنا إلى ما بعد الحادية عشرة والنصف، حينها سجلت الرسالة الهاتفية التي تلقيتها في سجل كبير للواردات علي من باريس بعد أن اتصل بي محمد العشعاشي.

كنت مداوما وقتها بزنقة مولاي إدريس إلى صبيحة يوم الاثنين. كان عملي هو تنفيذ الأوامر أو تبليغها طيلة نهاية الأسبوع التي كنت اتلقى فيها المكالمات الهاتفية من رجالنا الموجودين في مهمة خارج المغرب.

وباختصار فإن مكالمة الصباح كانت تَعْنِي بأن المطاردة الطويلة للمهدي بن بركة قد انتهت، بعد سبعة شهور من المجهودات وثمانية وعشرين تقريرا تركيبيا. وها قد أشرفنا الآن على نهاية المهمة.

كما كان يجب علي أن اتصل بالجنرال أوفقير والكومندان الدليمي على وجه السرعة. فقد كان هذا الأخير في سفر رسمي إلى الجزائر،

وذلك للتحضير لقمة افريقية ـ آسيوية. وهو ما حصل رغم أن الرحلة كانت خاطفة. تذكرني بعض مرور دقائق معدودات. اشتكي من تلقيه للخبر لكنه أخبرني في نفس الوقت بأنه سيأخذ نفس الطائرة المتجهة إلى باريس حتى يتسنى له الحضور بالفيلا في بداية المساء. وبالمقابل لم اتمكن من الاتصال بالجنرال أوفقير. فقد ترك لي هذا الأخير رقمين هاتفيين بالقنيطرة. وهما معاً رقمي أصحاب مراقص ليلية : الماماس LA Mamma's و 007. لكن أوفقير لم يكن لا بهذا المرقص الليلي ولا بالآخر. يبدو وكأنه تلاشى. وبالنظر للإحباط الذي أصابني هاتفت رجل أمن من قسم مكافحة قلب النظام الذي كان موجودا دائما في مدينة القنيطرة بالغرب، وأعطيته أمراً بالبحث عن أوفقير. كان الرجل مثلي يعرف عوائد أوفقير جيداً ولذلك لم يجد صعوبة في العثور عليه... إنه لأمر طبيعي بأن يتوجه صوب الضيعة الموجودة بالفورات حيث كان أوفقير يقضي أوقاتاً جميلة دائماً. بعد مرور لحظة زمنية هاتف أوفقير المداومة وطلبني على الهاتف. لقد كان مكفهرا بعض الشيء لأنني أزعجته. كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف، بحيث يمكنني الآن أن أبلغ وزير الداخلية رسالة العشعاشي التي سبق لي أن تلقيتها.

بعد ساعة هاهو أوفقير أمامي. إنه يتأهب للذهاب إلى باريس عبر الطائرة، لكنه في حاجة إلى أموال لأداء بعض التعقيدات. للأسف لقد نسي مفتاح الخزانة الحديدية التي كان يضع فيها الأموال، وهي الصندوق الأسود «للكاب ا». هاتف عبد الحق العشعاشي بباريس الذي أجابه بأن زوجته تحتفظ بنسخة ثانية للمفتاح. وما كان، هو أن عبر أحد رجال الأمن الشارع ليذهب إلى منزل العشعاشي والرجوع بسرعة، بعد دقائق، وهو يحمل مفتاح سمسم.

فتح أوفقير الخزانة الفولاذية أمامي فوضع كثيراً من الدولارات، ثم الفرنك الفرنسي والسويسري في حقيبة دون أن يعُدَّها. أقدر بأنها تصل

إلى أربع أو خمس مائة ألف فرنكا فرنسياً. إنها ثروة حقيقية في ذلك الوقت.

غادر الجنرال أوفقير «الكاب 1» على الساعة الخامسة وخمسة وأربعين دقيقة وأمرني بمهاتفة الإخوة العشعاشي بباريس لأقول لهما بأن أوفقير سيلحق بهما في منتصف الليل، ثم ركب سيارته واتجه صوب مطار الرباط وسلا ليأخذ الطائرة العسكرية الصغيرة التي وضعها تحت تصرف قسم مكافحة قلب النظام الكولونيل اليوسي من المكتب الثاني Bureau 2ème.

جاء المساء. والآن أوجد وحيدا في المداومة. يوجد بالكتابة سرير ممدد، وغطاء مرمي فوق قش عسكري يحميني من البرودة. إنني على استعداد لقضاء ليلة طويلة بأكلة خفيفة وبعض قنينات الجعا وقراءة المجلات القديمة الموجودة هناك.

حوالي الساعة التاسعة رنَّ الهاتف من جديد. طلب مني محمد العشعاشي أن يتوجه احميدة اجداين على وجل السرعة إلى «الكاب 1» وان ينتظر التعليمات. وصل اجداين احميدة على الساعة العاشرة. كان رجلا بشوشا وثملا بعض الشيء. مايزال عازبا ويبلغ طوله متراً وخمسة وثمانين سنتمتراً، ووزنه تسعين كلغ. كان يقضي ليلته مع إحدى عشيقاته الجميلات. عندما ازعج باتصال لغرض مهني. كان صديقي قد ارتكب خطأ مهنيا Sيعتبر بمثابة دين عليه أن يكفِّر عنه ولذلك كانت لديه مصلحة في اتباع الأوامر بدقة دون نقاش. فإذا ما طبق المخطط الأول حرفيا فكان عليه ان يتواجد الآن بباريس ليعطي حقنة مهدئة للمعتقل، لكن الأمر سار وفق تصور آخر. فهو الآن غير قادر على أخذ الطائرة، وكان غائبا وقت الانطلاقة فعوض في آخر لحظة ببوبكر حسوني، هذا الأخير لم يكن ينتمي لقسمنا، بل كان عادة يمارس التمريض بالنقط الثابتة وتتمثل مهمته الأساسية في معالجة جرحى التعذيب.

كانت تجمعني باحميدة صداقة حقيقية. عُيِّنا معاً نحن الاثنين بالرباط من أجل العمل. وكنا نسكن معاً بعمارة صغيرة وظيفية زنقة بور سعيد Port-Saïd. وكنا معاً ننتظر ماسيحدث بباريس. كان احميدة كاتم أسرار العشعاشي لكنه لم يؤخذ السر المهني مأخذ الجد. فقد قال لي رأيه في حديث مطول بخصوص مطاردة بن بركة وأباح لي في معرض حديثه عن بعض المعلومات حول المخطط الذي سيعتمد بالمغرب حينما سيصل الزعيم الاشتراكي إلى هنا.

السبت 30 أكتوبر 1965.

بعد منتصف الليل بقليل من الوقت رن الهاتف مجدداً. إنه محمد العشعاشي يقول: على احميدة احداين أن يتوجه إلى المطار فورا ليلحق وصول طائرة عسكرية صغيرة، تلك التي غادر على متنها أوفقير الرباط متوجها إلى باريس. وأكد العشعاشي على أن يركب احميدة سيارة في حالة جيدة تابعة للمصلحة ويحمل معه حقيبته التي تحتوي على لوازم عمله». سيعطي المعني حقنه مهدئة ما أن يصل إلى التراب المغربي، وذلك حتى يتمكنوا من نقله بشكل مريح إلى النقطة الثابتة P.F 2 بدار المقري.

حوالي الساعة الثانية صباحاً ذكرني العشعاشي من جديد. يريد أن يتأكد ما إذا كان رجل الأمن الممرض قد توجه فعلا إلى المطار، وألح على معرفة ما ذا كان قد حمل معه مستلزمات العمل. أكدت له ذلك وعدت لأتمدد فوق سريري.

بعد ساعة رن الهاتف من جديد. إنه العشعاشي أخبرني بأن الرحلة من أورلي إلى سلا بالطائرة العسكرية أجلت إلى الليلة اللاحقة، ولذلك يجب إرسال رجل أمن إلى المطار لاخبار احميدة. وحوالي الرابعة عاد صديقي للمداومة. يظهر من ملامحه أنه حزين يتساءل عن الأسباب التي دفعت إلى تعطيل إرسال «الطريدة» خلال أربعة وعشرين ساعة، لكنه اقتنع أخيرا بالدخول إلى شقته من أجل النوم.

رن هاتف العشعاشي مجددا مع الخامسة وهو يقول : «على احميدة أن يعود إلى المكتب ليتلقى تعليمات جديدة». أخبرته بالأوامر في الحال. وصل صديقي إلى «الكاب 1» حوالي السادسة منهكاً فامتد على سريري بالعمل فأخذه النوم العميق.

في الثامنة والنصف، من كل يوم، يدخل الكولونيل مارتانMartin إلى المكتب لتفحص بعض الملفات والقراءة ما سجل من جديد في سجل المداومة.. فأخذ يقرأ ويعاود قراءة محضر المداومة. فغادر الأمريكي المصلحة مع منتصف النهار، وعاد من جديد مع الثالثة. فأخذنا نتحدث لمدة ساعات حول الوضعية السياسية بالمغرب والجزائر.

في السادسة مساءاً هاتفني محمد العشعاشي، من جديد، من باريس وهو يلح على حضور احميدة بمطار سلا على الثانية بعد منتصف الليل حينما ستحط الطائرة العسكرية هناك. ربما مع انبلاج الفجر. لاحظت هذه المرة أن رئيس قسم مكافحة قلب النظام لم يهتم على الإطلاق «بأدوات العمل»، وهو ما تحدثت بشأنه مع الكولونيل مارتان. فتبادلنا النظرات المكثفة المعنى. فهل إعطاءحقنة ثانية «للطريدة» لم تعد ضرورية؟

غادرني الأمريكي مع السابعة فبقيت وحيداً ممدداً على سريري والهاتف ظل صامتاً.

الأحد 31 أكتوبر 1965

في أعماق الليل، كانت الساعة تشير إلى الواحدة والنصف مر علي احميدة بمقر العمل في لمحة البصر ليعرف ما إذا كان قد سجل إخلال بالنظام بباريس ثم غادرني متوجها نحو المطار.

عاد الكولونيل مارتان إلى مكتبه مع الثامنة صباحاً لأول مرة يوم الأحد. وقد أخبرني بأن الإذاعة الفرنسية أعلنت بالأمس عن اختفاء

المهدي بن بركة من طرف رجال أمن فرنسيين. يظهر أن الصمت الذي ساد خلال الليل أحزن رجل المخابرات من C.I.A. أخذ يقلب أوراق محضر المكالمات بغضب. لامكالمة جديدة تلقيتها، بحيث أن آخرها هي مكالمة العشعاشي يوم السبت على الثامنة صباحا. هل الوضعية انكشفت بباريس؟ وما مصير رجالنا ؟ كان مارتان يخشى من رجال الأمن الفرنسيين الذين يمكن أن يفشلوا محاولات رجال الأمن السريين المغاربة.

هاتفني احميدة حوالي الثامنة والنصف وأخبرني بأن الطائرة العسكرية قد وصلت حوالي الساعة الخامسة والنصف وعلى متنها «الطريدة» التي كانت مرفوقة برجل الأمن التونزي والممرض حسُّوني. وهم يوجدون حاليا بالنقطة الثابتة الثانية PF2 ينتظرون التعليمات، ولا جديد فيما يخص الآخرين. انطلاقا من الساعة العاشرة صباحاً بدأت مكالمات عائلات رجال الأمن السريين الموجودين في باريس تتهاطل على المكتب. جميعهم كانوا خائفين نظراً للصمت الذي يلقونه. فقد ظل الراديو الفرنسي يذيع خبر اختفاء المهدي بن بركة. ولما كنت أجيب عن استفسارات العائلات كنت اختلق أشياء أو أتلعثم في ردودي.

بعد منتصف النهار جاءت زوجة عبد الحق العشعاشي، أخيرا، إلى المصلحة بعجرفتها وكبريائها وهي تقول لي : «هل مازال زوجي على قيد الحياة»؟

بماذا سأجيب هذه المرأة؟ لا أحد يعرف مصيرهم. وبعد مرور وقت وجيز جاء أب الإخوة العشعاشي لزيارتي. إنه رجل متدين ومحترم. يرتدي جلبابا تقليديا أبيض اللون. فتوسل إلي لأخبره بأي جديد عن إبنيه وخاصة محمد الذي يبدو أنه كان يحبُّه أكثر.

وفي المساء زارتني السيدة بديعة مسناوي، هذه المرأة الفاتنة المتميزة الصالحة لتلتقط بعض المعلومات، وهي الكاتبة الخاصة لأوفقير. لم تكن

تجهل ماكان يدور بمصالحنا. ورغم ذلك ليس لي الحق لأتفوه ببنت شفة. ثم بعد ذلك جاءت زوجة عبد القادر صاكا مرفوقة بأحد أصهار زوجها. إنه رجل يمتهن الخردة بالدار البيضاء. كان معروفا في المخابرات السرية، وهو من مقاومي فرنسا. ومخبر قديم للأمن السياسي خلال السنوات الأولى لاستقلال المغرب. فهذا الحضور المتميز لم يغيّر شيئاً. ببساطة فأنا لا أعلم شيئاً.

حوالي الساعة الواحدة نهارا مر الكومسير النويني بمكاتب «الكاب 1». جاء ليبحث هنا عن آلة تصوير (كاميرا) و أنوار كشافة وآلة فوتوغرافية. وعلى عكس عوائده لم يتأخر هذه المرة ليطيل معي الحديث، بحيث أنه ذهب مسرعا دون أن يفتح فاهه. وبعد دقائق معدودة رن الهاتف، إنه الدليمي يسأل :

ـــ هل وصلت الطائرة العسكرية؟(هكذا سأل ببساطة) وأكد عليَّ بأن أخبر أجداين والتونزي وحسوني بالبقاء هناك ب (PF2) مع «الطريدة» إلى أن يستجد الجديد. وحوالي الساعة السابعة والنصف رارني بناصر كرواني ليستخبر عن الإخوة العشعاشي وغيرهما ممن ذهبوا إلى باريس. وحينما لم يلق ماكان ينتظره مني عاد إلى حال سبيله، وهو يقول لي بأنه سيزور النقطة الثابتة الثانية حتى يتأكد مإذا كان الحوض المخصص لتذويب الجثث امتلئ بالآسيد حسب ماورد في تعليمات الدليمي.

الإثنين 1 نونبر 1965

لم يتوقف الجزع خلال ليلة الأحد. كان «الكولونيل مارتان» ينتظر على أحر من الجمر مكالمة هاتفية من باريس، ولكن لا أحد من رجال الأمن المغاربة العاملين بفرنسا اتصل بالمصلحة، لا الإخوة العشعاشي ولا صاكا ولا المسناوي.

مع الثامنة، وقبل أن تفتح بمكاتب «الكاب 1»، دفع صديقي أحميدة باب مكتب المداومة. استيقظ مبكرا حتى يتمكن من توفير

وقت ليحكي لي كل ما جرى ليلة البارحة أمام عينيه، وهو يقول: بعد منتصف النهار، حوالي الساعة الثالثة، كان جثمان المهدي بن بركة المعذب قد وضع بحوض الأسيد بالنقطة الثابتة الثانية تحت مراقبة الكومندان الدليمي وبحضور التونزي وحسوني وتحت عدسات كاميرا النويني.

وفي التاسعة عادت الحياة برقم 5 مكرر بزنقة مولاي إدريس، فدخل رجال الأمن والمستخدمون والكتاب كما لو كنا في صباح يوم اثنين عادٍ. فغادرت بدوري مقر عملي بعد ثلاثة وسبعين ساعة من المداومة المستمرة فها هي شمس خريفية تطلع على الرباط. بالنسبة للمغرب فإن عملية بويا البشير قد انتهت لتبدأ فصول قضية المهدي بن بركة بفرنسا من جديد.

الليلة المأساوية

ماذا حدث بباريس ؟ لماذا آلت العملية التي كان يقودها محمد العشعاشي إلى موت المهدي بدل الدخول به حيا إلى المغرب ؟ يمكنني إعادة بناء الأحداث بفضل الشهادات الحية لرجال الأمن والأفلام المسجلة وفق السيناريو الموالي.

* * *

وصل المهدي بن بركة، يوم الجمعة 29 أكتوبر 1965، حوالي الثانية عشر والنصف، بواسطة طاكسي إلى مطعم ليب. وكان مصحوبا بطالب شاب هو التهامي الأزموري المعروف كعضو نشيط بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية بفرنسا.

اقترب رجلا الأمن الفرنسيين وهما سوشو Souchon وفواتو Voitot من الزعيم المغربي. فطلبا منه أوراق إثبات هويته بعدما كشفا له عن هويتهما. اخرج بن بركة جواز سفره ومَدَّهُ لهما. تفحصا الرجلان جواز السفر وطلبا من الضيف أن يركب سيارتهما. إنها إجراءات روتينية.

كانت لإبن بركة ثقة كبيرة في العدالة الفرنسية، وكان يكن حبا بلا حدود للجنرال دوكول. لا شيء يستدعي الغضب لأنه بصحبة موظفين بالأمن الفرنسي. لكنه تردد بعض الثواني إلا أنه التفت صوب أزموري كما أنه أراد يطالبه بأن يبلغ شركاءه في الفيلم تأجيل اللقاء...، اختفى الشاب لأنه أرغم على الابتعاد وهدد بالموت من طرف كل من

بتيش Bettiche والدرفوفي اللذين كانا مكلفين بمراقبة بن بركة منذ الصباح. إن هذا التدخل من طرف الرجلين كان ذا ثمن باهض إذ لولاه لكان يجب اختطاف الرجلين معاً أو تأحيل العملية إلى وقت لاحق.

لم يتردد الشرطيان الفرنسيان على ارغام بن بركة على الصعود إلى سيارة المصلحة التي كان يقودها لويس سوشون، وبجانبه انطوان لوبير مقنعاً والأسير وراؤهما مراقبا من طرف المجرم جوليان لوني Julien Le Ny ورحل الأمن روجي ڤواتو.

صور المشهد بكاميرا من طرف محمد حليم، وأخذت صور أخرى بآلة تصوير كل من بسيوسف وتونزي الذي هاتف فوتنايFontenay ليخبر محمد العشعاشي بأن العملية مرت في ظروف جيدة وأن بويا البشير سيسلم إليهم بعد ثلاثين أو أربعين دقيقة على الأكثر.

حينما وصلت سيارة الأمن الفرنسي أمام الڤيلا فتح بوسيش الباب. نزل بن بركة سلم عليه المجرم وطالبه بالدخول إلى المنزل. أصيب المهدي بالقلق فقد كان من عادته الالتزام بالمواعيد، وهو لن يفعل هذه المرة ليخبر أصدقاءه الموجودين بمطعم ليب.

كان في انتظاره أربعة رجال أمن : الأخوان العشعاشي وصاكا ومنساوي لم يصدقوا مارأوه ! هل هو فعلا المهدي بن بركة بلباسه الرمادي وقبعته الرخوة ؟ لم يفرحوا للأمر لأنهم كانوا يخشون ظهور شيء غير متوقع يفسد من كانت البركة تحميه مرات عديدة.

أخذ المسناوي الكلمة وتوجه للمستجوب بلطف واحترام كبير. إنه رجل المهمات الصعبة، كان يتحدث بقريحة. فقد عثر على العبارات التي يجب أن يقولها للمعارض من قبيل أن هؤلاء الرجال هم من « الكاب 1 » وهم من مبعوثي الحسن الثاني، جاءوا إلى هنا للتهييئ له للقاء مبعوث رسمي ملكي.

بعد مرور لحظة زمنية وصلت سيارة رونو 16 المكتراة يقودها التونزي. أوقف رجل العمليات التقنية السيارة بالمخبأ التابع للڤيلا ودخل

في نقاش مع بوسسيش قبل دخوله إلى الفيلا. وفي مجرى الساعتين الواليتين امتلأ المكان. نزل كل من حليم وبنيوسف من سيارة الأجرة، ثم جاء دور الدرفوفي وبتيش Bettiche. لقد نال العياء كثيرا من هؤلاء الأربعة وأصابهم الأرهاق، بحيث تمددوا فوق العشب بحديقة الفيلا. ثم حضرت سيارة .D.S السوداء التابعة للسفارة المغربية لتتوقف أمام الباب. خرج حسوني ليأخذ منها علباً ثقيلة بها ماء معدني وخمور وبعض الأكلات الخفيفة والفواكه. حوالي الساعة الثانية والربع بعد الزوال التحق التونزي بالأربعة الممدين على العشب ليقول لهم بأن بامكانهم مغادرة المكان، واستعاد الكاميرا قبل أن يقدم لكل واحد منهم عشرة آلاف فرنك فرنسي. لقد أكمل هؤلاء مهمتهم وبإمكانهم التمتع بعطلة من ثلاثة أسابيع والاحتفاظ بسيارة رونو 16 خلال هذه المدة.

كانت الأجواء بالداخل هادئة، وكان بن بركة يناقش مع الموظفين الأربعة «للكاب 1». خلال ست ساعات تمكن رجال الأمن ومسجونهم من مناقشة، بشكل مفتوح، الحالة السياسية المغربية والوضعية العالمية، ومشاكل العالم الثالث ومستقبل القارات الثلاث. تظاهر الزعيم، بحذق كبير، إلى أنه تفاجأ بثقافة وذكاء هؤلاء الشباب. أصيب إلى حد الساعة بن بركة بالبلادة إذ اعتقد أن الأمر يتلخص ببساطة في مناقشة شروط رجوعه إلى البلاد مع مبعوث الملك. وفي جانب خَفي عن الانظار كان الحسوني يستمع لما يقال والتونزي يأخذ صوراً بعلبة سجائره الأمريكية. في نفس الوقت صاكا ومسناوي كانا بحوزتهما آلات تسجيل موضوعة تحت لباسهما، بحيث سجلا كل ماقيل. وفيما يخص الهيجان الشعبي خلال شهر مارس بالدار البيضاء، لم يتردد بن بركة في نقد نظام الحسن الثاني بعنف ومقارنته بديكتاتُوريات أمريكا اللاتينية.

شرح الأسباب التي تجعل الشعب في المغرب سيستمر في معاناته. وبما أنه هناك غياب للديمقراطية، وبما أن هناك تزويراً للانتخابات، وبما أن السلط غير منفصلة، والحكومة ليست شرعية، والضباط السابقين الذين كانوا في خدمة الجيش الفرنسي أميين وجهلاء رقوا إلى مناصب المسؤولية، ونفس الرجال هم الذين يحيطون بالملك لا يمكن انتظار تغيير في الاتجاه الأفضل.

ألح بشدة على الجيش وشدد على عودة العسكر إلى الثكنات وترك السياسة للرجال الاكفاء. كما أنه انتقد الضباط الكبار بحدة واتهمهم باحتلال وظائف استراتيجية، خاصة مواقع العمال والوزراء، خص منهم اوفقير والدليمي.

بين التحليل السياسي وبعض الحكايات التي رواها مسناوي مَرَّ الوقت بسرعة كبيرة. وهم يَتَحَدَّثُونَ ويتناولون بشهية. أخذ بن بركة أكلتين خفيفتين وأفرغ بعض قنينات الماء المعدني. أما الآخرون فقد شربوا الجعا والخمر، وكان عبد الحق العشعاشي يدخن السجائر وهو يشرب الويسكي.

حسب المخطط الذي وضعه محمد العشعاشي ينبغي الانتظار إلى حدود العاشرة، وهي الساعة المتوقعة لاقلاع الطائرة العسكرية الصغيرة المغربية من باريس. وأثناء هذه اللحظة سيعطي الممرض حسوني منوماً للمعني حتي يمكن حمله بسهولة في سيارة .D.S إلى المطار. كما تلقى ربانان من مطار الرباط ـــ سلا أمراً بالتوجه إلى إورلي، حيث سيقبعان في مكان بعيد عن الانظار. كان كل شيء مخططاً له في هذه الرحلة غير العادية، بحيث لن يتضمن أي سجل رسمي أي شيء عنها.

فلاحضور الدليمي ولا حضور أوفقير كان متوقعاً أو مدرجاً في البرنامج. ويمكن القول بأن هجمة الدليمي حوالي الساعة السابعة فاجأت الجميع إلا العشعاشي لأنّي كنت قد أخبرته هاتفياً.

حط الرحال بباريس عبر طائرة عادية لكن بهوية مُزَوَّرة. وصل راكباً سيارة أجرة، فحيى بوشسيش ودخل القاعة. لاحظ الجميع أنه يحمل قفازات الجراح. وهذه التفاصيل تسمح بتوقع ما يمكن أن يحدث.

فما أن دخل علي بن بركة حتى صمت هذا الأخير مرة واحدة. أصفر وجهه، وارتعش جسده، وجحظت عيناه. وقف وأخذ ينظر في وجه عدوه. خشي أن يحتجز بهذه الفيلا الواقعة بالضاحية وبالتالي أن يصفى جسديا.

تبادل الرجلان كلمات حادة ونابية وشتائم وتهديدات. كان بن بركة رجلا متحضرا، بينما كان الدليمي يتفوه بفظاظة يتخللها كلام المجرمين. كان «الكومندان» سفيها حقيقيا وفلاحاً حقيقيا من الغرب، عنيفا وعدوانياً. لايتكلم كثيرا ولما يفتح فاهه لا تخرج منه إلا البلادة إنه فجور ضابط أعلى في القوات المسلحة الملكية. يريد إهانة ضحيته بإشارات، كان بن بركة يصرخ ويومىء لعله يسكت الدليمي.

أعطى الكومندان أمراً للتونزي وحسوني بتولي أمره، وذلك بربطه فوق كرسي، الأيدي خلف الظهر وتكميم فمه بالضماد.

كان كل ذلك تلبيه لحقده القديم، وبشكل ممنهج ستخضع الفريسة لمراقبة طويلة وهو على الكرسي، استمر بن بركة في التساؤل، بعينين جاحظتين. ومن أجل تهدئة روعه حقنه الحسوني حقنة قوية بحيث لم يتمكن المعذب من التعرف المباشر والسريع على الأشياء وظل مغمى عليه مدة ثلاثة ساعات.

انفجر محمد العشعاشي غضباً لهذا العنف الزائد والقسوة الناجمة عن الغضب. حاول رئيس قسم مكافحة قلب النظام أن يمنع هذه

الأساليب البربرية. وأعطى أمرا لصاكا ومسناوي بفك قيد البئيس المهدي وإزالة الكمامة ووضعه فوق أريكة.

كانت المناقشة حيوية بين العشعاشي والدليمي مدة ساعاتين، وبينما وجد عبد الحق العشعاشي نفسه حائراً بين موقف اخيه ووضعية رئيسه، بين شرب الحعا والانتباه إلى وشوشاتهما. وفي الأمام كان بن بركة ممداً فاقد الوعي فتشكلت جهتان داخل القاعة، واحدة بزعامة محمد العشعاشي وتتكون من صاكا والمسناوي. والأخرى يقودها الدليمي ويتبعه كل من عبد الحق العشعاشي والتونزي وحسوني. وبعدما اشتد النقاش عاد الجميع ليركن إلى الصمت. عاد بن بركة ليستجمع قواه حوالي الساعة العاشرة، لكن الدليمي اصر على اتمام التحقيق، بينما اعترض محمد العشعاشي على ذلك. فجميع الأسئلة التي ستطرح عليه تجد اجوبتها في ملفاتنا. كنا نعرف عنه أكثر مما يعرف هو نفسه، كيف كان يعيش ووسائل عيشه والدول التي تدعمه، وعلاقاته بالمغرب وفي الخارج. كنا نعرف كل هذا جيدا، لكن الدليمي باشر التحقيق.

تدخل مرة أخرى عبد الحق العشعاشي ليتوسط بين اخيه والكومندان الدليمي. وبعد دقائق اخبر الجميع بأن الكومندان سيطرح أسئلته من دون تعذيب. أما بن بركة الذي كان مايزال تحت تاثير المخدر ظل صامتا ولم يجب مما جعل الدليمي يزداد غيظاً مع مرور الوقت.

حوالي منتصف الليل توقفت سيارة أجرة أمام الڤيلا. وصل أوفقير يتوعد المهدي وهو يتمايل لأنه أكثر من شرب الويسكي.

لما شاهد المهدي بن بركة الجنيرال القوي المتطفل على النظام يدخل أخذه الذعر الكبير وطلب النجدة وهو على يقين بأن الموت دخلت القاعة. سمح أوفقير للدليمي بحصة جديدة من التعذيب لكن هذه

المرة داخل قبو الفيلا. وأمر الحسوني باعطائه حقنة لتهدئة أعصابه وليس لتهدئته لأنه عليه أن يستمع لعبارات الكره والمقت المخصصة له من قبل هؤلاء الجلادين.

وحد الكومندان الدليمي مكانا ملائماً لما كان يصبو إليه. إنه ركن تحت أرضي علق فيه الضحية من ذراعيه، ويديه خلف ظهره والاصفاد تشد راحتيه. وكما جرت العادة بدأ يعذب ضحيته بشكل منهج.

فقد المهدي بن بركة وعيه مرة تانية رغم احتراز التعذيب. ولم يفتح عينيه إلا في الثانية بعد منتصف الليل. لم يكن يرى شيئا ولا يسمع شيئا آخر، ولم يفهم ما كان يحيط به خلال تلك الفترة. لم يكن في هذه اللحظة سوى محتضرا بنظرة ممتلئة معبرة عن حزن عميق، نظرة مؤلمة مازالت حاضرة في اذهان رجال الأمن الحاضرين.

تدخل محمد العشعاشي من جديد بمساعدة صاكا والمسناوي لا يقاف البئيس على رجليه، وأزالا عنه الاصفاد ومددُّوه فوق سرير وحاولا انعاشه ليسترجع الحياة. لكن الأمر قضى فقد زهقت الروح حوالي الثالثة صباحا من يوم السبت 30 أكتوبر 1965.

رعب رجال الأمن. كان أوفقير مخبولا بالخمر لا يفهم ماذا حصل حوله، بينما ارتاح الدليمي بعد قضاء المهمة وفكر، من ذي قبل، في الطريقة التي سينقل بها الجثة إلى المغرب وفي كيفية الهروب من العدالة الفرنسية. بدأ يصحو أوفقير قليلا فأعطى أمره لرجال الأمن لقطع الاتصال بالمداومة «بالكاب 1».

وهذا هو ما يفسّرُ لماذا لم نتلق أي جديد منذ منتصف يوم السبت. ومن أجل العودة إلى المغرب سيعمل كل واحد على ارتياد الطريقة التي تناسبه. فيما بعد، أي بعد مرور شهور، وخلال السنوات

الموالية. كما نناقش فيما بيننا لفهم السبب الذي جعل الجنرال يأمر بقطع العلاقات مع «الكاب 1». لم نتوصل إلى أي جواب. لربما أن الخوف ببساطة من الأمن الفرنسي لتلقي الرسائل. وعلى الفور وخلال ليل الجمعة إلى السبت، طلب محمد العشعاشي من التونزي مرافقة أوفقير والدليمي إلى مطار أورلي، فركبا الطائرة العسكرية الصغيرة على وجه السرعة متوجهين إلى فاس حيث استقبلا من طرف الملك الحسن الثاني.

ظل التونزي يبحث عن أحد المسؤولين بمطار أورلي، حتى يعمل على اجتياز الحواجز سرا وبتواطؤ. لكن الموعد المتفق عليه كان هو منتصف الليل، وآلان بزغ الفجر بينما الموظف المعوُّل عليه بالمطار غادر مقر عمله منذ وقت طويل. يجب إذا انتظاره طيلة يوم السبت. وحوالي العاشرة، كان دائما التونزي يتخفى وراء اسم الشتوكي الذي التقى مؤخرا بمسؤول في مطار أورلي. وقد أعلن ذلك الرجل عن مساعدة رجال الأمن المغاربة في نقل «الطرد» بالطائرة في الليلة الموالية. واتفق على الموعد في مساء نفس الليلة على الساعة الحادية عشرة.

وفي خضم هذه التحركات التقى صاكا والمسناوي بضابط أمن بالسفارة المغربية، حيث مدّهما بسيارة كبيرة لحمل الجثة. يبدو أن يوم السبت 30 أكتوبر 1965 هو أطول يوم عاشه رجال الأمن الستة بفونتناي. عليهم الاهتمام بالجثة وجمع كسوته الرمادية ووضع قبعته على رأسه ونظارتيه السوداوتين. وانتظار ما يمكن أن يصدر عن الأمن الفرنسي. سمعوا في المساء عبر الراديو خبرا موجزا يعلن عن اختفاء المهدي بن بركة، وفي نفس الوقت كانت طائرة متوجهة من فاس إلى أورلي، وكان من بين ركابها الجنرال أوفقير، لكن هذه المرة في رحلة رسمية على عكس ماقام به الليلة الماضية. وحوالي الساعة العاشرة، ودائما مساء يوم السبت، وصلت الطائرة العسكرية المغربية من جديد إلى مطار أورلي. وساعة بعد ذلك، غادرت سيارة سوداء فاخرة (ليموزين) فونتناي وهي تحمل الجثة الموجودة وراء السائق الجالسة بين

التونزي وحسوني. فغادرت طائرة القوات المسلحة الملكية أورلي في اتجاه المغرب على الفور وبسرية. وبعد ساعات كانت الجثة بالرباط صحبة الحارسين التونزي وحسوني.

تفرقت السبل بالآخرين كمحمد العشعاشي وصاكا والمسناوي. فمنهم من أخذ طريقه نحو أمريكا اللاتينية أو الشرق الأوسط أو تونس. ويظهر أن عبد الحق العشعاشي كان أقل خوفا لأنه رجع في طائرة من باريس إلى الرباط يومين بعد ذلك. وكل المتدخلين في العملية التحقوا بعد أيام «بالكاب I» وهم فرحين لأنهم نجوا من المراقبة الفرنسية.

الأحد 31 أكتوبر بعد منتصف النهار رميت جثة المعارض في حوض الأسيد الموجود بالنقطة الثابتة الثانية .P.F.2. وجرت الحفلة بحضور الدليمي والنويسي الذي كان يصور العمليات والتونزي الذي يأخذ الصور التذكارية وممرضين آخرين هما الحسوني واجداين.

قيل بأن الجسد قطع أشلاءً بفرنسا، حيث قدم الرأس للملك... وكل هذا خيال خالص. استمعت مرات عديدة للشاهد أحمد اجداين الذي كان حاضرا لحفل التذويب. كما اختبرت الكليشهات التي أخذها التونزي، حيث كان بن بركة يرتدي بذلته وقبعته ونظارتيه، من زوايا مختلفة، جالسا فوق أريكة، ممداً على العشب الطبيعي بدار المقري على بعد امتار من الحوض، ثم موضوعا على نقالة وأخيراً مرمياً في الحوض، رأسه إلى الأمام ثم مختفيا إلى الأبد.

توجه الدليمي يوم الإثنين الأول من نونبر إلى فرنسا بجواز سفره الحقيقي بعد أن أرسل الرجل الذي يشبهه للقيام ببعض التحركات لقياس درجة انتباه الأمن الفرنسي. ويوم الأربعاء 3 نونبر ها هو الدليمي إلى جانب أوفقير يحضران للقاء روجي فري Roger Frey وزير الداخلية الفرنسي على شرف حضور عمال مغاربة جاءوا للقيام بتدريب إداري في فرنسا منذ شهور.

* * *

صارت وفاة بن بركة قضية دولة بسرعة فائقة، حيث خيمت على العلاقات المغربية الفرنسية لسنوات طويلة. وكان أول حلقات ذلك المسلسل هي إثارة تحقيق حركته الصحافة المطالبة بالعدالة منذ سبعة وثلاثين سنة. القيام بتفتيش سيلحق ڤيلا فونتناي لوفكونت Fontenay-le-Vicompte بعد أن وضعت شكاية اختطاف وتصفية من قبل عبد القادر بن بركة.

تحرك رجال الأمن يوم الأربعاء 3 نونبر، لكنهم جاءوا متأخرين، لاحظوا الفوضى الموحودة بالمنزل الفارغ، ثم هناك بقايا الأكلات الباردة والسجائر الكثيرة والقنينات الفارغة، هي كلها علامات تدل على هروب المختطفين.

أخذ الخبراء بصمات ثمانية رجال مختلفين وكانت بصمات بن بركة وأوفقير هي المعروفة لديهم.

فإذا سرع رجال الأمن الفرنسيين أكثر كانوا سينقذون حياة الزعيم المغربي. يوم الجمعة 29 أكتوبر قام رجال الأستعلامات العامة بكتابة تقرير وهم من مراقبي المعارض. كانوا على علم بأن بن بركة ألقى عليه القبض من قبل رجلي أمن فرنسيين من الفرقة الاخلاقية للشرطة القضائية وسلموا هذا التقرير للكومسير جون كاي Jean Caille، إلا أن غياب الرئيس جعل التقرير يوضع لدى الكتابة. إنه ضياع وقت ثمين. والآن يعلم الفرنسيون بهذا الخلل الذي مازالت الوثائق تضعه في مصاف «سري للغاية» من أجل داعي المصلحة العليا للدولة.

مَكَّنَتِ التحقيقات التي قامت بها الشرطة والتعاليق التي نشرت بالصحف من تحديد بعض الفاعلين، ومنهم المسمى العشعاشي والحسيني أي الحسوني اللذين سافرا بجوازاتهما الحقيقية وكان حسوني قد انضم في آخر لحظة ليعوض احميدة اجداين في بداية العملية، عوض الثاني.

من خلال التقارير والمقالات والكتب، واحد من كل هذه الأشياء الأشياء تطرق باقتضاب إلى إسم «العشعاشي» من دون أن يذكر الإسم الشخصي. ولا أحد كان على علم بأن هناك اسمين متشابهين «بالكاب 1» هما الإخوة العشعاشي، والاسم المشار إليه «الحسيني» هو اسم غير دقيق. أما اسم الشتوكي الذي شاع كثيرا فإن الإدارة المغربية وجدت فيه لعبة مسلية لتقول بانعدام هذا الإسم «الحسيني» أو «الشتوكي» من بين الأسماء الواردة في سجل الأمن الوطني ووزارة الداخلية!

فتح جورج ڤيگو Georges Figon منتج فيلْم خيالي الاحتمال حول الأسرار المحتملة والاعترافات المدوية المجلجلة. فهو غاضب لأنه لم يتلق أجره من الشتوكي. فقد نشر مقالة أثارت ضجة كبيرة: «لقد شاهدت بن بركة يقتل».

وقد وجد بعد أسبوع «منتحراً». في حين تم التعرف على جميع الأبطال الآخرين كڤواتو Voitotوسوشون Souchon ولوبيز Lopez، حيث مثلوا أمام المحاكم، بما فيهم الكولونيل لوروا فنڤيل-Leroy Finville من S.D.E.C.E..

إنها قضية خاصة انتشرت على نطاق واسع بفرنسا، وخاصة بباريس، لكنها توقفت في 19 أكتوبر 1966 بعد مجئ أحمد الدليمي كسجين.

«جئت، كما قال، لأطهر شرفي وانقذ شرف دولتي. مع العلم أن الإدارة المغربية كانت تتوفر على تقرير الجز بالڤيلا بفضل ضابط الأمن القضائي الفرنسي الباريسي، حيث أعطت الإدارة المغربية للدليمي الأمر بالمثول «تلقائيا» أمام القضاء. إنه إجراء يريد در الرماد في العيون لتفادي المساءلة الدقيقة وفي المغرب حوكم الكومندان الدليمي شكليا بأربعة أشهر بحجة «عدم الانضباط»، مع انه رقي إلى رتبة كولونيل، وأعطيه وعد سري بأن تعهد إليه الإدارة العامة للأمن الوطني».

وبعد ان ظهر تحقيق تكميلي نتيجة ظهور الضابط المغربي إلى الواجهة بدأت محاكمة ثانية في شهر أبريل 1967 . ومن بين الشهود نجد الكومسير سكيرج رشيد الذي غادر المملكة بعد وصول الدليمي إلى «الكاب 1 ». لم يتورّع ليحكي للجميع عن الوجه المظلم والقاتم للمملكة السعيدة، وخاصة ما تقوم به المخابرات السرية من اختطافات واغتيالات وما تعرفه النقط الثابتة من تنكيلات.

لأول مرة ذكرت ألفاظ «كالكاب 1 » و P.F معاقلها الضيقة لتسبح في فضاء أوسع بالنسبة لمعظم رجال الأمن المغاربة. كان هذا الأمر مفاجئا لأنهم اعتقدوا ان الكومسير القديم اختفى منذ أكثر من أربع سنوات. وقد كان ضحية تصفية حساب أو تصفية قام بها أحمد الدليمي.

كنا على دراية في قسم مكافحة قلب النظام أن رشيد سكيرج غادر المغرب سراً حاملا معه عدة ملفات مهمة وسرية. لقد توجه في مهمة إلى شمال المغرب على متن سيارة ڤولڤو تابعة للمصلحة، وطلب من ضابط الأمن الشرايبي، رئيس الفرقة الأمنية بتطوان، أن يرافقه إلى الحدود بباب سبتة متذرعا بقضاء ليلة مصحوبا بفتيات جميلات من سبتة إلى إسبانيا. وهكذا اختفى... في البداية استقر بالجزائر ثم بفرنسا، وبعدها انقطعت أخباره عن المغرب الذي لم يزره مطلقا. كان دائما يعيش في منفاه.

ومن بين المتعاونين الذين كان يُوَظِّفُهم الشتوكي وقدموا للقضاء نجد المسمى غالي الماحي المشهور في الصحافة الفرنسية «بالكومسير الطالب».

كان شابا وظف منذ سنتين من طرف الجنرال ويتلقى راتبه من المخابرات السرية. في أحد الأيام كان أوفقير في حالة سكر فوقع ملف هذا الشاب بتوصية وفي اليوم الموالي نسي كل شيء.

أشارت الجرائد إلى الماحي في صفحاتها الأولى حينما كانت تطرق للقضية، وذلك مادفع أوفقير بمهاتفة محمد العشعاشي لمعرفة إن كان

الشاب الماحي ينتمي فعلا للأمن... لم يسمع محمد العشعاشي مطلقا بهذا الرجل وهو ما جعل المصلحة تقوم ببحث داخلي. توصل رئيس قسم الموظفين إلى وضع يده على الملف الملغز. لقد كان موظفا رسميا بالمخابرات السرية... بتوصية من أوفقير ! لم نشاهده يوما بزنقة المولى إدريس قبل ذهابه إلى فرنسا. لقد أمضى هذا الشرطي - الأليف حياته في خدمة أقارب وأصدقاء أوفقير المجتمعين بضيعاته.

بباريس نطقت المحكمة بالحكم النهائي للقضية في 5 يونيو 1967، وهو نفس اليوم الذي اندلعت فيه الحرب الإسرائيلية مع جيرانها. برأ الدليمي Voitot والصحفي فليب برنيي Philippe Bernier. في حين حوكم كل من لوبيز ولوروا فـثيل وسوشون. حكم على لوبيز بثمانية سوات وسوشو بست سوات، وعقوبة شاقة على المتغيبين، منها بالمؤبد على أوفقير وثلاثين سنة على الشتوكي المجهول الهوية.

صار الشتوكي معجزة القضية. وخلال عقود حاول المحققون التأكد منه بإعلان توقيفه على المستوى العالمي كما أعلن ذلك القاضي لويس زولينجرLouis Zollinger سنة 1965.

حاولت الصحافة الفرنسية المتخصصة في الشؤون المغربية أن تعرف الإسم الحقيقي لرجل «الكاب1» المعروف باسم الشتوكي. بينما أعلنت صحافة نهاية الستينيات إنه يشبه العشعاشي. ومنهم من اعتقد أنه هابي الطيب، ومنهم من فكر أنه هو الحسين حميل. هناك جميل الحسين التابع لمصالح «الكاب1» كان على رأس الفرقة الأمنية للدار البيضاء ولا علاقة له بالشتوكي الاسم المتداول في القضية. كما ظهرت حكاية أخرى وسط هذا «الكرنفال» : كميلود النعيمي، وتونسي أو تونسي ميلود...

* * *

هاني الطيب رجل أمن قديم اشتغل بتوزيع الكتب، فوجئ لما أعلن عن اسمه متورطا في القضية التي لا تهمه. قام برد فعل مباشر بتخصيصه للقاء صحفي نشر بجريدة Maroc-Hebdo. صرح بأنه يقسم بشرفه بانه لم يشارك في هذه العملية لا من بعيد ولا من قريب، ولم ينتم يوما «للكاب 1». وهو شيء صحيح. أعلن عن اسم الشتوكي الحقيقي الذي كان يعرفه جيدا لكن الصمت كان سيد الموقف. ورغم أن الشرطة الفرنسية كانت تبحث مدة طويلة عن ميلود التونزي فإنه موجود ولم يدل بأي شيء إلى حد الآن.

من هو هذا الشخص (ميلود التونزي)، العنصر المفتاح في قضية بن بركة؟ إنه اليوم متقاعد برتبة والي الأمن. ولد سنة 1936 بأزمور التحق بالإدارة العامة للأمن الوطني سنة 1956 كضابط مساعد. تقلب في عدة وظائف جهوية إلى أن انتقل إلى «الكاب 1» سنة 1961. بعد الاستفادة من تكوين ادمج بقسم العمليات التقنية وصار رئيس المصلحة ثم مديرية مراقبة التراب الوطني في 1998. قامته متوسطة الطول وشعره أسود متروك دون تسوية – على الأقل خلال سنوات الستينات والسبعينات. كان أنيقا جدا لم يكن يتعاطى الكحول والسجائر كثيرا. مستقيما لا يرتاد الأماكن العامة ليست له نزوات يحب لعب الورق والقمار وقد يقضي ليالي كاملة وسط جماعة ضاحكة في لعب القمار.

إذا ما سار الصحفيون يقتفون آثار قاتلي بن بركة لن يحددوا هوية الشتوكي، الذين رفعوا من قيمة أنطوان لوبير Antoine Lopez مراسل S D.E.C.E فهذا الأخير سقط في فخ لأنه اعتقد أنه هو «الشاهد الأخير في قضية بن بركة».

صحيح أن بعض الشهود قد ماتوا ومنهم محمد أوفقير الذي قتله الدليمي والكرواني بناصر في قاعات قصر الصخيرات في 16 غشت

1972 بعد قضية البوينغ التي كانت تحمل الملك. ثم كذلك احمد الدليمي بدوره في 25 يناير 1983 إثر انفجار سيارته. وهما معا استغلا حقد هما على بن بركة فصفوا حسابهما معه. يظهر أنهما القاتلان الحقيقيان لابن بركة لكن ليسوا هم الفاعلين والمنظمين. لقد كانا غير قادرين على القيام بمثل هذه المهمة التي تتطلب الصبروالدقة وعلو الكعب.

بوسيش Boucheseiche ودوبيل Dubail وباليسPalisse ولوني Le Ny اختفوا بدورهم بعد أن فلتوا من عدالة بلدهم. استقروا بالمغرب وحماهم أوفقير واستفادوا من حمايتة تحت مراقبة بناصر الكرواني وابراهيم أوفقير الملقب بمولاي إبراهيم احد أقرباء الجنرال. كان الضابطان ينجزان يوميا تقريرا حول أنشطة هؤلاء المجرمون ويمدانه يدا بيد للعشعاشي أو صاكا أو لي انا كل صباح مع العاشرة.

وكما هو الحال قبل القضية استمر هؤلاء الأربعة في إدارة – إما مباشرة أو غير مباشرة – بعض الدور المغلقة، إثنان بالرباط وواحدة بالدار البيضاء وأخرى فاخرة بالمحمدية، بحماية من المخابرات السرية. تلك الدور التي كان يعود نصف المدخول «للكاب 1» بالإضافة إلى استفادتهم هم الأربعة من المطاعم والتجارة البحرية.

ينفي المخزن دائما وجود هؤلاء الأربعة في بلاده، وكان دائما يقسم بأنه إذا ا عثر عليهم سيطردهم فورا أو يسلمهم للشرطة الفرنسية.

مارس هؤلاء نشاطهم إلى حدود شهر مارس 1971. إلى هذا التاريخ بدأ يعلو إلحاحهم، فالقي القبض على ثلاثة منهم واحتجزوا بالنقطة الثابتة P.F.2 أما رابعهم جون باليس Jean Palisse المصاب بمرض القلب فقد دخل مستتشفى ابن سينا بالرباط بهوية مزورة. لقد منعته حالته الصحية المتدهورة من المرور بدار المقري.

صار هؤلاء الأربعة يطرحون مشكلا للنظام مع حلول سنة 1974 ما العمل إذا ؟ توفي الجنرال أو فقير الذي كان يحميهم ولا احد يمكن ان يقوم بذلك الآن. قتل كل من بوشيش ولوني ودبيل بأمر، فيما توفي باليس بالمستشفى في هدوء، سنوات بعد ذلك، ودفن بمقبرة بالرباط باسم مسلم.

إذا ما توبعت التحقيقات بالمغرب فإن آثار هؤلاء الأفراد ستكشف لامحالة. السجلات التجارية ورخص الخمر وفتح الفنادق والمنازل المغلقة والحسابات البنكية وعقد الماء والكهرباء، وأوراق أخرى إدارية، تبين كلها ان هؤلاء متورطين في القضية وان حياتهم انتهت في المملكة. وفي مقابل هذه الاختفاءات فإن لوبيز ليس هو آخر شاهد في قضية بن بركة. ولكن كيف يمكنه معرفة ذلك ؟ فهو ليس سوى دولاب. لا يعرف أشياء ذات أهمية عن البنية التحتية التي وضعت من أجل إلقاء القبض على الزعيم المعارض. بينما مازال المتورطون في القضية على قيد الحياة ويخرجون في واضحة النهار.

ــ محمد العشعاشي يبلغ اليوم من العمرستة وستين سنة والي أمن متقاعد من .D.S.T في سنة 1998 يقطن بالرباط بحي السويسي.

ــ أخوهُ عبد الحق العشعاشي ، ثمانية وستين سنة، والي أمن متقاعد من الإدارة العامة للأمن الوطني في سنة 1998 يقيم مرة بشاطئ تمارة ومرة بالرباط بحي الرياض، وقد حعل منه عمله رجلا قريبا من إدريس البصري منذ 1979.

ــ ميلودالتونزي المعروف تحت اسم الشتوكي يبلغ من العمر 66 سنة والي أمن من .D.S.T تقاعد سنة 1998 يقضي وقته ما بين الرباط السويسي وشواطئ الرباط. يملك ڤيلا على الشاطئ بسيدي العابد بالصخيرات. وقد اغتنى التونزي بسرعة كبيرة.

— محمد مسناوي يبلغ من العمر 67 سنة مراقب عام للأمن تقاعد من D.S.T سنة 1995 يقطن بالرباط السويسي.

— عبد القادر صاكا يبلغ من العمر خمسة وستين سنة مراقب عام للأمن. تقاعد من .D.S.T في 1998 يقطن بالرباط بحي الرياض السويسي.

— بوبكر حسوني يبلغ من العمر أربعة وستون عاما، كوميسير ديفزيونير متقاعد من .D.S.T في سنة 1998، يقطن بشاطئ تمارة ومدينة سلا استمر في تعاونه من بعيد مع المصالح.

هؤلاء هم من كانوا بالفيلا في لحظة وفاة المهدي بن بركة يمكن للمحققين ان يهتموا برجال آخرين منهم محمد حليم وعبد القادر الدرفوفي واحمد بدري ومحمد بن رحو، وكلهم متقاعدون من المديرية العامة للدراسات والتوثيق، وكذلك محمد تحاد ومحمد باعلي، وهما معا متقاعدان من مراقبة التراب الوطني، وحسن بن يوسف مازال يعمل لصالح .D.G.E.D .

ومن بين المتهمين المباشرين في تذويب جثة المهدي بن بركة بالنقطة الثابتة الثانية نجد الدليمي المتوفى في سنة 1983 واحميدة اجداين في 2001. وثلاثة مازالوا على قيد الحياة منهم ميلود التونزي الملقب بالشتوكي، وبوبكر الحسوني الملقب « بالحسيني » ومحمد النويني والي الأمن متقاعد من .D.S.T .

الآن يمكن للقاضي الفرنسي جون بابتيست بارلوس Jean Baptiste Parlos الذي مازال يحقق في القضية أن يكشف عن الحقيقة. يكفي ان يطلب من مصالح تحديد الهوية بالمغرب نسخة من البصمات ومقارنتها مع ما وجد بالفيلا سابقا سيّجد لامحالة الحجة الدامغة في اعترافاتي. وبداية جواب على الوفاة الأعجوبة التي هزت الجميع.

الحرب بين المصالح

لم تقتصر ردود الفعل حول قضية بن بركة على فرنسا وحدها. بل في المغرب كذلك، وداخل المخابرات السرية نفسها. هذه الشفرة الحادة حولت تنظيم «الكاب 1» برمته، فما كان قد أدلى به الكوميسر اسكيرج كشهادة في المحكمة بفرنسا جعل العالم كله يطلع على مناهجنا. فكل ما كان خفيا مدة طويلة كمراكز التعذيب والاختطافات وحضور خبراء من C.I.A. ظهر إلى واضحة النهار.

من طبيعة الحال أنكرت الإدارة المغربية كل شيء. وسمعنا أصحاب المناصب العليا في المملكة يقدمون تصريحات جميلة وساخطة : «إن قضية بن بركة هي قضية فرنكو - فرنسية Franco- Française لأن الاختطاق وقع بالعاصمة الفرنسية في واضحة النهار. والمسؤولون عن هذا الاختطاف هم رجال أمن فرنسيين تحركوا داخل وظيفتهم. واستعملوا سيارة تابعة لمصلحتهم لنقل بن بركة إلى وجهة مجهولة بباريس. المخابرات السرية الفرنسية ساهمت في هذا الاختطاق. المجرمون المتقاعدون الفرنسيون المتورطون في قضية بن بركة هم كذلك من مخبري الأمن الفرنسي، وهم كذلك ساهموا في الاختطاف. فالأشخاص المبحوث عنهم من قبل الأمن الفرنسي في هذه القضية لايوجدون بالمغرب... الكاب المشهورة ودار المقري التي تتحدث عنها الصحافة لاتوجد بالمغرب. حيث لاوجود للاختطاف في بلدنا. وأماكن الاحتجاز غير موجودة بالمغرب كذلك. وأما الفرنسيون الأربعة فقد

غادروا المغرب في شتنبر 1965 ولم يرجعوا إليه ثانية و .C.I.A لم ترسل يوما خبراء إلى المغرب لأنه لم يكن في حاحة إلى ذلك». في يونيو 1967، أسبوع بعد صدور الحكم بباريس، استدعي محمد العشعاشي لزيارة القصر. قيل له بأن «الكاب1» لاوجود لها رسميا. شك النظام بأن زيارة مفاجئة لبعثة دولية ستأتي لتتأكد من صحة ما قاله اسكيرج في الموضوع. فهذا الأخير لم يكتف بوصف دقيق لوظائف المصالح، بل تطرق للأسماء والعناوين وأرقام الهواتف نفسها. لذلك ينبغي، وبشكل استعجالي، وضع ارشيفنا بإحدى الڤيلات ـ الفخاخ بالرباط، المكان الأكثر سرية، فاختير الأحسن من بين الرجال، بحيث لم تحتفظ اي مصلحة إلا بعدد قليل للغاية منهم. وهكذا دخلت الكاب 1 في السرية.

علينا اخلاء، خلال ثلاثة أيام، العمارة الموجودة بزنقة المولى إدريس. لن تستعمل أبدا من طرف المخابرات السرية ولو في شكل مخزن أو محل لتوقف السيارات. علينا أن نجعلها مكانا خاليا تماماً.

لم يخبر كل من أوفقير والدليمي بالتعليمات الجديدة. فالأول كان دائما يجهل كل ما كان يدور بالمصالح. والثاني أبعد مرحليا وليس له رأى في الموضوع.

عاد الدليمي منتصرا بعد أن برئ من قبل المحكمة الفرنسية، ولذلك كان يتمنى أن يصير على وجه السرعة المدير العام للأمن الوطني كما وعد بذلك. لكن أوفقير اعترض بحزم على ذلك. لم يكف الدليمي عن المطالبة بذلك المنصب فعين على التوالي عاملا بالداخلية، ثم رئيسا للمساعدات العسكرية فرئيس بالديوان الملكي العسكري. لكن كل هذه المناصب تبدو له تافهة. وفي جهاز الإدارة العامة للأمن الوطني .D.G.S.N كان يبحث عن ثأره، وفي نفس الوقت يتمنى أن يضع يده على الصناديق الثلاثة السوداء التي توجد منها اثنان «بالكاب1» وآخر

بالأمن الوطني. فالمبلغ الإجمالي الموجود في الصناديق السوداء يصل إلى ثلاثة مائة مليون درهم سنوياً جعله يقوم بما يمكن أن يغير كل شيء.

قبل ذهابه إلى فرنسا ليمثل أمام العدالة عوض في مديرية «الكاب 1» بالكومسير الإقليمي محمد الدوبي القدميري. وهذا التعيين غير المعلل لقي اعتراضات من قبل رؤساء الأقسام. لكن بلا جدوى. أصر الدليمي على موقفه، وفي نفس الوقت نجح في إدخال أحد التابعين له، وهي الوسيلة الوحيدة للاستمرار في التحكم في أموال الصندوق الأسود التابع له.

في اللقاء الأخير «للكاب 1» المقام بالمقرات القديمة أخبر العشعاشي الرؤساء الآخرين بقرارات اتخذت على مستوى أعلى . كل واحد منهم فهم الرسالة. ينبغي أن تفلت المصالح من يد أوفقير والدليمي. كان هناك رجل واحد اعترض بسذاجة مطالبا بوثيقة مكتوبة من وزير الداخلية هو الدوبي القدميري Doubbi Kadmiri! الذيكان يخشى أن تنفلت منه الاستفادة التي كان يجنيها بدون مراقبة من العملة الصعبة باسم احمد الدليمي...

في المساء شكل العشعاشي كومندو من ثلاثين رجل أمن من قسم مكافحة قلب النظام كلفوا بنقل الأثاث وكل ما كان موجوداً بإدارة «الكاب 1» على وجه السرعة، وفي سرية، ليلا، مسلحين برشاشات إسرائيلية من نوع أوزي Uzzi. اعتقد الحراس أن الأمر يتعلق بسطو فاطلقوا النار دون تبصر. كان هناك عدد من الجرحى، لكن رجال العشعاشي المجهزين جيدا سيطروا على الوضع. فجمعوا الأمتعة في شاحنات. وفي الصباح وجدت الأقسام الستة نفسها بست ڤيلات بحي السويسي بالرباط.

ظن كل من الدليمي وأوفقير أنهما، وكل واحد من جانبه، على أن الأمر طَعْنَةٌ من الخلف. فهما معاً يجهلان ما حصل إلا بعد حين. بعد الغد توقفت بعض الشاحنات العسكرية أمام رقم 5 مكرر بزنقة مولاي إدريس.

الأذرع الغليظة التي نزلت منها كانت تحمل ترخيصاً موقعا من طرف الدليمي. كان المراد نقل الصناديق الحديدية والأرشيفات إلى مكان سري. نزل القدميري هو الأول مصحوباً بضباط ذوي رتب عالية من القوات المسلحة الملكية. كان الدليمي يرمي إلى استعادة كل شيء كالأرشيف والصناديق السوداء الموحودة بالمصالح لحسابه الخاص. لكنه للأسف كان عليه أن يقوم بذلك في الليلة السابقة، أصيب بالجنون وظهرت عليه علامات الحقد على العشعاشي. إنه الآن بدون سلطة ولا نقود، وذلك ما جعله يأخد إجازة أسبوعين بضيعته بسيدي قاسم ليتذوق طعم المرارة.

بعد مرور أيام قليلة ظهرت شاحنات أخرى تابعة للقوات المساعدة لتتوقف أمام العمارة بزنقة مولاي ادريس ارسلها أوفقير إلى هناك. كان بوبكر حسوني يقوم بأعمال كثيرة لصالح عائلة أوفقير، فهو المدلك والممرض والمستخدم. لقد سبق أن تحدث عن الرحيل، لكن أوفقير المسكين فهم شيئا آخر لأنه كان تحت تأثير الخمر، معتقدا أن كل شيء مازال على حاله. عاتب أوفقير العشعاشي هاتفياً ليعبر له عن خيبة امله ثم عاد ليواصل ملذاته.

لم يعد أوفقير يتابع سير المصالح إلا من بعيد، بعقل مضطرب ويدين ترتعشين، وعينين خلف نظارتين تشبهان قاع الكأس. كان مصابا بالضجر دائما. كنا نراه مرات يختفي فجاة في المراحيض ولا يخرج منها إلا بعد مضي وقت طويل أحمر الوجه وعليه علامة الانهزام. لم تعد قنينة الوسكي الصغيرة تكفيه ليمر إلى الجنة الاصطناعية. فتيات الفوارات يحكين لنا «بانه كان يشم غباراً مر المذاق. متسخاً يشبه «الملح الحية» وأبيض اللون كثلج الأطلس»، إنه الآن في حالة سكر وتخدير، وها هو ينام بين بغيتين دون أن يلمس أي واحدة منهما.

«مات ليهْ الحوت». يحكين وهن يقهقهن.

استدعى الملك في أكتوبر 1967 كل من مارتان وسكوت وستيف، وهم جميعاً من جهاز .C.I.A. رفقناهم أنا واحميدة اجداين إلى القصر كما كنا نفعل من حين لآخر. جرت العادة أن يتصل بنا رجال المخابرات الأمريكان بعد اللقاء هاتفيا لتحديد موعد للقاء فيما بعد... لكن هذه المرة لم يهاتفوننا ولم نشاهدهم بعد ذلك اللقاء. اعتقدت أنهم أخذوا وجهة السفارة الأمريكية بعد انتهائهم من اللقاء، حيث غادروا المغرب سراً وبصفة نهائية. وبالمقابل فإن تأثير قضية بن بركة على علاقات رؤساء المصالح في «الكاب1» ظهرت بالوضوح. رفض العشعاشي مصافحة أوفقير أو الدليمي وقطع معهم جميع العلاقات. وحينما تفرض عليه المهنة التحدث إليهما يقتصر على مهاتفتهما.

أو عبر وساطة رجال من أقربائه. يرفض أن يجالسهما وجها لوجه. كان أوفقير يحس بألم كبير تجاه الدليمي معتقدا أنه قد أفشى سره فاتهم غيابيا أمام القضاة الفرنسيين. وباختصار فإن الأجواء كانت مكهربة ودخلت المصالح في غيبوبة.

* * *

في سنة 1970 عين أحمد الدليمي مديراً عاماً للأمن الوطني. وأول ماقام به هو تقليص ثلثي تعويضاتنا الخاصة. إلى حدود هذه المرحلة كنا نتمتع بحقوقنا في التعويض عن الأخطار ومصاريف التنقل التي تضاعف رواتبنا. لا يمكن الحلم بأكثر من هذا. وعلى المستوى الشخصي فقد قرب الكولونيل الدليمي منه عَزيزته السيدة الكرواني، في نفس الآن العشيقة والكاتبة منذ أمد بعيدٍ. بينما كان الزوج المغفل بناصر الكرواني قد نُقِّل منذ سنتين إلى مصالح الأمن القضائي بمكناس، ثم أعيد إلى الرباط لتأسيس فرقة خاصة تحت الإمرة الخاصة للدليمي.

هذه الفرقة الخاصة الموازية تكلفت روتينيا بنفس ماتقوم به فرقة رحال العشعاشي : الاختطافات، الاحتجازات، التعذيب، لكن إذا كانت الدورية تقوم بعملها بأمر من رئيس قسم مكافحة قلب النظام ولصالح المصلحة فإن دورية الدليمي كانت خاضعة لرغبة المدير الجديد للأمن. يتم الاعداد لذلك دائماً من قبل رجال الأمن في قسم مكافحة قلب النظام. لكن في اللحظة الأخيرة تتدخل فرقة الدليمي لتقوم بالتوقيفات... إنه تاريخ أزْبد وازبد الكولونيل كانت قد تسببت فيه الإرادة الملكية. كان يطالعنا الاحساس بأن عملنا كان يتعرض لعرقلة ممنهجة. فحين يلتقي رجال الفرقتين بإحدى الحانات تقوم مشاجرات عنيفة. وبالمناسبة لا يتردد الرجال في تبادل النار في هدوء، لكن هذا لم يمنع من حدوث إصابات.

سادت الكآبة «بالكاب1» ، بحيث أن محمد العشعاشي فقد حيويته وحافزه. فهو النشيط جداً، هاهو الآن يقضي أوقاته في ملء شبكة الكلمات المتقاطعة! أما نحن المقربين فلم نستطع تحمل ذلك. قلَّ عملنا وبدأ الغياب يتكاثر. وحينما نتواجد بنفس المكتب نشغل وقتنا بالمناقشة. لقد تقلص عملنا إلى حده الأدنى. نتهافت حينما يهاتفنا احد المخبرين فنكون في الموعد لانجاز التقرير، وهذا كل ما في الأمر.

* * *

بعيداً عن الاهتمام بالعشعاشي اضاف الدليمي ثلاثة مراكز للحجز تشبه النقط الثابتة. ثلاثة أمكنة كان فيها السيد المطلق. هناك يمكنه ممارسة ابتزازه واحتيالاته، هناك في بعض الضيعات التي حصل عليها في سنوات 1961 و1962 التي حولها إلى سجون سرية.

لتخصيص هذه المجالات عمل الكولونيل الدليمي على وضع نسق ناجع. الضيعة الأولى توجد بين مدينة الرباط وعين العودة بزعير، تبلغ مساحتها ستين هكتارا مخصصة لتربية الخيول ذات الأصل المنقرض.

وقد كانت بحوزة أحد المعمرين الذي عمل الدليمي على جعله يعتقد بأنه مدعو من قبل مصالح الضرائب، وبالتالي عليه أن يؤدي ضريبة باهضة الثمن والتي لا يمكن تاديتها. وهكذا فضل المعمر مغادرة البلاد في شروط لا إنسانية من الاعتقال الذي عاناه. فما أن تأكد الدليمي من مغادرته البلاد حتى أعلن البحث والقبض عنه من طرف الدرك ومختلف اجهزة الأمن بالمملكة... يكفي، فقط، طرد الحراس من الضيعة الآن، وبالتالي احتلالها. أما المعمر فلم يعد مرة ثانية إلى المغرب.

الضيعتان الأخريتان توجدان بالغرب قرب سيدي سليمان وسيدي قاسم. ضيعتان شاسعتان تبلغ مساحتهما مايقرب الألف هكتار لكل واحدة. خصصتا للخضروات المصدرة. وتعودان في الأصل لمعمرين فرنسيين، حيث كان يتوارثاها إبناً عن أب منذ الثلاثينات. أصبح أصحاب هذه الضيعات يتكلمون اللغة العربية الدارجة كباقي سكان المحيط، بحيث أنهم اندمجوا كليا في المنطقة. ومنذ الاستقلال وهم يعيشون بنفس المكان، غادرت عائلاتهم المغرب نحو فرنسا في أوائل الستينات، لكن واحداً من الاثنين كانت له علاقة مع امرأة مغربية متزوجة والآخر كان يهوى الشبان الصغار، فاستغل الدليمي هذا المعطى. فالأول اعتقل وهو بصحبة عشيقته والثاني صحبة طفل يبلغ خمسة عشرة سنة من العمر. اعتقلا ووضعت كالعادة الاصفاد في أيديهما، وعيونهما مغطاة ليقودانهما إلى النقطة الثابتة الثالثة P.F.3 ببولقنادل التي كانت ماتزال تعمل في تلك المرحلة. احتجز المعمران خمسة عشر يوماً قبل أن يقبلا بمقترح مغادرة البلاد مقابل اطلاق سراحهما، في آجال محددة.

صارت الضيعتان امكنة للتعذيب. يحتجز المعتقلون في مرائب كبيرة تتكون مساحتها من الف متر مربع، وهي اصطبلات مرة وأخرى أمكنة لجمع المحاصيل. وأما الحراس فانهم من فلاحي الغرب وظفوا في

إدارة الأمن الوطني من قبل الدليمي أو أبوه بالمقابل. هكذا نلاحظ أن أشخاصا لا علاقة لهم بالسياسية زج بهم في جهنم هذه، لكن لهم علاقة ما بعائلة الدليمي. فالظروف التي كان يتم اعتقالهم فيها غير انسانية أكثر من دار المقري : تعذيب، شح في التغدية بشكل عام وموت محقق، لا الملك ولا أوفقير كانا يعلمات بهذا. بينما سلم العشعاشي بالأمر الواقع حتى ولو كان يعرف مايدور حقيقة بهذه الأمكنة. وحينما كنا نفاتحه في الأمر يرد علينا بأن كل ذلك يهم الدليمي وحده وليس «الكاب1».

* * *

استطاع أحمد الدليمي وأبوه لحسن الدليمي أن يحصلوا على مشروع محطط له بدون عقوبات. كما وجد هناك إطار إداري مالي له علاقة بتاجر في العقارورجل أعمال. هما معاً رجلان فرنسيان يسكنان بالدار البيضاء. وباتفاق بين اسماك القرش هذه اشتركوا في اختلاسات كثيرة... يتوفر المكتب العقاري على الرسوم العقارية لكثير من الملكيات تنتمي إلى معمرين عاد جلهم إلى فرنسا. وتوكيلات كثيرة مزورة، ووثائق بيع مزورة كذلك، سمحت كلها للدليمي بالسطو على هذا الإرث. عشرات القطع الأرضية المهمة بالإضافة إلى عمارات فخمة وشقق في أجنحة راقية توجد باحياء راقية، وڤيلات كبيرة سقطت بقدرة قادر بيد المتواطئين الثلاثة الفرنسيين والمدير العام للأمن الوطني. كان ثمن التمليك محددا ما بين 10 و 15٪ من الثمن الحقيقي من القيمة الحقيقية أما الورثة الشرعيون فقد كانوا يضعون في أوضاع مزرية من ركام من الوثائق للتسجيل. لم تفتضح الحقيقة يوماً. ظل كل شيء مجهولاً إلى يومنا هذا وهؤلاء السلابون، اللصوص الكبار، تمكنوا من الحصول على ثروة حقيقية بالنصب والاحتيال. ومن بين الحالات المدوية هي حالة أحد الفرنسيين المسمى

جورح بايلي Georges Baylé العامل في مجال الصناعة. لقد رفض هذا الأخير أن يبيع للدليمي الطماع أشياء ذات قيمة. وكانت شركته توجد على مساحة خمسة آلاف متر مربع بحي درب عمر، وهو مركز التجارة بالدار البيضاء.

اختطف بايلي Baylé واحتجز وخدر مدة ثلاثة أيام، ولم يتمتع بحريته إلابعد تدخل السفير الفرنسي. وتحت تأثير المنومات وقع المعتقل على مجموعة من الوثائق وخمسة شيكات على بياض وفي نفس الوقت وقع على بيع المركب التجاري الموحود بزاوية زنقة اليقوت وشارع مصطفى المعاني. وبعد خروجه من الاعتقال لم يتذكر المسكين اي شيء من كل ذلك.

بعد سنتين ظهر شيك بقيمة خمسة ملايين درهم بمحكمة الدار البيضاء. قررت الفرقة الاقتصادية والمالية توقيف بايلي ورمي به في سجن اغبيلة في انتظار المحاكمة. أدت عائلته المبلغ. بعد شهور ظهر شيك آخر بمبلغ مليوني درهم. عاد الرجل إلى السجن مرة ثانية وهو يجهل الآلية تماماً. أدت العائلة من جديد قيمة الشيك ونفس السيناريو تكرر مع الشيك الثالث بقيمة مليون درهم. هذه المرة توجد مقاولات بايل على وشك الإفلاس. أما الشيك الرابع فإنه لم يؤد، وهو بقيمة ثمانية آلاف درهم (800.000). حكم على جورج بايلي بسنة سجناً. وخلال المحاكمة قدم أقارب المتهم للقاضي رشوة تقدر بثلاثين الف درهم. وهكذا غادر بايلي المغرب في ذُلٍ وبسرعة. فهو لا يمكنه ان يصارع تنظيماً مافياوياً. هدمت العمارة الكبرى بدرب عمر في نهاية الستينيّات، فبنى محلها الدليمي وشركاؤه مركزاً تجارياً ممتازاً.

* * *

في يونيو من سنة 1971 ظهرت مؤامرة جديدة ضد الملكية. فمنذ سنة ونصف كان قسم مكافحة النظام يتابع بدقة خيوطها التي كان يقال عنها حركة البعثيين. كان هناك مصدر هام يحمل اسماً مزوراً:

« موحا » مندساً داخل المعارضين منفيا إلى الجزائر يمدنا بانتظام بتطورات الأحداث.

كان موحا من مدينة صفرو، وهو عضو قديم من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. كان ينتقل شهرياً إلى الجزائر من أجل تنمية تجارته. لم يتوفر على تكوين لكنه كان ذكيا للغاية ويتمتع بذاكرة تسمح له باسترجاع جميع التفاصيل حول ماقيل. لا أحد كان يرتاب منه، كان مظهره يوحي بتاجر عاد يتجول كالباقي بين القرى والهضاب والروابي أو في بلاد جبال الأطلس. قدمت له « الكاب1 » راتبا وشاحنة للنقل لدعم وضعيته حتى يصير محاورا في المستوى. وفيما يخصني فقد كنت مكلفا به. كان يزور الرباط على الأقل مرة في الشهر وهو يمضي ليلة بشاحنته الصغيرة بباب الأحد بالرباط. كنت ألتقيه لأسلم له راتبه وأتعرف من خلاله على أخبار أخرى.

نبهني موحا بأن الفقيه البصري ومسؤولين آخرين من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية المنفيين يُعِدُّون مخططا لقلب نظام الحسن الثاني بمساعدة عدة دول عربية. هناك العشرات من المعارضين المغاربة ارسلوا إلى سوريا للتدرب على حمل السلاح والمتفجرات. وبعد التكوين أقدم « الكومندو » على تنظيم محاولاته بجميع مناطق المملكة. ومن بين هؤلاء الإرهابيين المبتدئين المستفدين من التكوين العسكري الموازي نجد مقاومين قدامى، كانوا يعملون لصالح « الكاب1 » . إذن لم نكن نجهل شيئا عن القضية. فما أن وصل الخبر إلى إدارة الأمن الوطني طلب الدليمي من « الكاب1 » عبر تلكس سري تقريراً مفصلا عن هذه الوضعية الانقلابية مصحوبة بلائحة بالأسماء الكاملة وعناوين المتآمرين المستفدين من التكوين العسكري المتواجدين في التراب المغربي. حتى يمكن توقيفهم الفوري قبل بدي تنفيذ المؤامرة. إنه تاكتيك بليد يمكنه أن يخفق من إصابة الأهداف الأساسية ويقضي على العمل الطويل الذي

قمنا به. ينبغي الانتظار إلى أن تتضخم الأمور وتدخل حكومة دمشق في اللعبة موفرة الدعم المادي.

في الواقع فإن الأعمال العنيفة بدأت منذ بداية 1970، لكن المخطط عرف بعض التأخر نتيجة استراتيجية جديدة دخلها الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وبالتحديد لأن الأسلحة التي وعدت بها سوريا تأخر وصولها. يمكن «للكاب 1» أن تعمل على تزويد الانقلابيين بالأسلحة كما فعلت سنة 1963.

أصاب العشعاشي الملل من كل شيء ولم يتخذ أية مبادرة. ترك رئيسه يفعل ما يشاء وهو يكتفي بالمراقبة من بعيد. انتظر رغم أنه يتوفر على أدلة من مراسلات وسجلات أكثر من اللازم.

بينما كان الدليمي يبحث عن الدلائل المقنعة، وكان يتمنى أن يستمدها من القاعدة الأمريكية الموجودة بالقنيطرة، مادام هذا الأمر سبق وأن عمل به منذ سبع سنوات خلت. لكن هذه المرة أصيب بخيبة الأمل، لأنه تغير كل شيء هناك. فقد أعيد هيكلة المصالح وتعيين رجال جدد ومسؤولين عن الخزائن جدد كذلك. وعبر أصدقائه بالقوات المسلحة الملكية استطاع أن يحصل على مسدسات قديمة ورشاشة من نوع مات Mat 49 وبعض القنابل التقليدية ربما صنعت من طرف فريق الكرواني. إنه تجهيز هزيل أختير ليقدم أمام القضاة.

تسارعت أحداث القضية بعد تسليم إسبانيا للمغرب هاربين مبحوث عنهما من طرف العدالة الشريفة هما : محمد أجار (سعيد بونعيلات) وأحمد بن جلون، وقد كان هذا الأخير هو المكلف بشراء الأسلحة في اسبانيا من قبل دمشق وتوزيعها على الكومندو المغربي المستقر بالجزائر والمحاربين الفلسطينيين المتكونين بسوريا.

نقل بونعيلات وبن جلون إلى دار المقري وعذبوا من قبل الدليمي بحضور الكرواني وحسوني. ومراقبة الوضعية قام بها العشعاشي لكن

بعيدا عن أنظار الدليمي نظراً للخلاف بين الرجلين. فالرجلان لا يقبل أحدهما الآخر بالمرة منذ حدث احتجاز المهدي بن بركة بفرنسا.

أطلق الدليمي حملة اعتقال واسعة طالت بعض المعارضين، حيث تم تعذيب الجزء الكبير منهم بضيعاته الشخصية. حاولت المعارضة أن تقوم برد فعل ضد هذا القمع الوحشي، حيث وضع الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وحزب الاستقلال عداوتهما جانبا وشكلوا كتلة وطنية. لقد احتج الحزبين على التعذيب المهول الذي تعرض له المعتقلون. وأعلن من جانبه الاتحاد الوطني لطلبة المغرب عن مؤامرة حقيقية تقوم بها السلطة.

في 14 يونيو 1971 جرت محاكمة مراكش الجهوية التي كان متابعاً فيها 193 متهماً منهم ثلاثون متهماً غيابيا. لكن وقائع القضية انقطعت بعد شهر بحجة الهجوم الذي تعرض له الملك بالقصر الملكي بالصخيرات.

* * *

في العاشر من يوليوز 1971، هاجم كومندو عسكري القصر الملكي بالصخيرات. حيث كان الملك الحسن الثاني يحتفل بعيد ميلاده الثاني والأربعين، وكان يستقبل وزراء وجنيرالات ورجال أعمال وسفراء. إنهم تلاميذ من المدرسة العسكرية لهرمومو، كانوا تحت قيادة الليوتنان كولونيل امحمد اعبابو. هاجم هؤلاء الإقامة الملكية في غموض. وما يفسر ذلك هو إصابة ستين ضيفا. أما القائد الأعلى ، الجنرال محمد مدبوح، فقد ظهر متردداً لحظة المواجهة وتوفي نفسه مقتولاً من قبل رفقائه.

اختبأ كل من الملك وأوفقير بالمراحيض. بحث الثوار كثيرا عن العاهل، لكنهم لم يعثروا عليه. لقد ارتكبو خطءاً بتركهم القصر لحراسة بعض الرجال بينما توجه معظمهم نحو الرباط للاستلاء على نقط استراتيجية

بالعاصمة. حوالي الساعة الخامسة مساءً أعلنت الإذاعة عن انتصار وهمي: «لقد أطيح بالنظام الملكي. الجيش الشعبي تسلم السلطة»...

خرج الحسن الثاني وأوفقير، بعد هذا الوقت، من مخبئهما، وأمام أمير المؤمنين شعر المتمردون بفشلهم، وبعد وقت من التردد، اتجهت أفواه الرشاشات والقذائق وجهة أخرى، وتوجه أوفقير بدوره نحو الرباط لكسر شوكة المتمردين. انتهى كل شيء في الحادية عشر ليلا، ويمكن للحسن الثاني أن يصرح لأروبا Europe 1 قائلا :

— إنني مازلت ملكا أكثر بقليل من الأمس.

تيقنا في «الكاب1» بأن هذه المؤامرة الفاشلة أكدت لنا بأننا تأكدنا مما كنا نعرفه فيما قبل. لم يكن المكتب الثاني 2ème Bureau المكلف بالاستعلامات داخل القوات المسلحة الملكية على علم بأي شيء، بل في مستوي المسؤولية الموكولة إليه، علما بأن محاولة كهذه يمكن رصد اخبارها. فهي من جهة تتطلب شهوراً للتحضير في سرية تامة. لكن إذا ما اختيرت عناصر مصالح الاستعلامات العسكرية بعناية وإذا لم يعمل هؤلاء الأعضاء على قضاء أوقات معينة بالحانات، وإذا عملوا على الإطلاع يومًا على الوثائق المتعلقة بالضباط المتورطين في المؤامرة، سيدركون أن مؤامرة كمؤامرة الصخيرات لن تكون مستحيلة. ففي غياب المراقبة توفرت للانقلابيين الفرصة لتهييئ انقلابهم بكل اطمئنان. هناك شاحنات عسكرية بدون أي ترخيص للقيام بمهمة قطعت جزءً من البلاد بدون أي ازعاج ! خلال هذا اليوم غاب جميع أعضاء المكتب الثاني ليتعجبوا، فيما بعد، من هذا الأمر غير اللائق.

وبالفعل لو كان «الكاب1» يَعْمَلُ، كما كان في السابق، لَكَانَ يمكنه أن يتجنب هذه المأساة. قبل الهجوم، أي يوم السبت 10 يوليوز على الساعة التاسعة، وصل تلكس Telex إلى قسم مكافحة قلب

النظام. أخبرنا الكومسير احميدة ابن عبد الله، رئيس الفرقة الأمنية لفاس – مكناس، بأن العسكريين عبروا في الصباح الباكر مجهزين عسكريا... قطعت عدة شاحنات مغطاة تابعة للقوات المسلحة الملكية المدينة، آتية من صفرو– إفران متوجهة نحو مكناس وسيدي قاسم والقنيطرة والرباط. أخبر بن عبد الإله الجنرالات ـ المكلفين بالشؤون العسكرية الجهوية بفاس ومكناس وطلب منهم بعض التوضيحات، لكن الضباط كانوا يجهلون كل شيء. هناك عنصر آخر يجعلنا نخاف العملية السرية الخطيرة، وهي أن مرور الحامية لم يرافقه مرور الدراجات النارية للدرك الملكي كما تنص على ذلك التعليمات والقوانين. يكون اثنان في الأمام لفتح الطريق ومثلهما في المؤخرة.

لم يستغل التلكس المرسل إلى قسم مكافحة قلب النظام. ذهب محمد العشعاشي للنوم حوالي الساعة السادسة صباحاً بعد قضاء ليلة حمراء بمرقص ماماس بالقنيطرة، واستيقظ حوالي الساعة الثانية بعد الزوال فقط، ليجد أمامه الرسالة التي وصلته من طرف مساعديه، والتي لم يعرها أدنى اهتمام. وباختصار فإن العشعاشي لم يعد الرجل الدينامي الذي كنا نعرفه. فإذا ما ظل العشعاشي في مكانه بنفس الحيوية التي كنا نعرفه بها فإنه سيعرف خلال العاشرة صباحاً كل شيء عن تلك المؤامرة. يكفيه فقط الاتصال بضباط الثكنات ورجال الأمن بالمكتب الثاني. وإذا لم يكن هؤلاء على علم بأي شيء فإنه لمن الواضح أن مؤامرة كبرى في طور التحضير لها، بحيث لم يكن اللجوء إلى إعلان حالة الاستنفار في الوقت المناسب بتوجيه تلكس سري إلى وزير الداخلية والمدير العام للأمن الوطني، أو إلى مصالح الاستعلامات العسكرية، وإلى رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية، والديوان الملكي العسكري، وإلى الحرس الشخصي العسكري الملكي، وإلى رئيس

الدرك الملكي، وإلى العمال ورئيس الأمن الإقليمي بالرباط. فاجراء مثل هذا يمكن أن يجنب سقوط الضحايا.

مزق تلكس فاس يوم الاثنين 12 يوليوز، كما اخفى بن عبد اللّه نظيره. إنه مدين بكل ذلك لرئيسه العشعاشي. فرئيسه يبقى صديق طفولته، وهما معاً من منطقة وجدة. وبعيدا عن ذلك، كنا نحن أنا واجداين وصاكا وزيني نعرف تلك الوثيقة التي بإمكانها اثبات التهمة.

يومان بعد مرور الأحداث لم يعد هناك اي أثر للتلكس، سواء بالرباط أو فاس. فحتى دفاتر الواردات والصادرات التي تسجل فيها المراسلات نقحت بعناية فائقة.

من حسن حظنا أنه خلال الأيام الموالية، سلطت على منفذي المؤامرة عقوبات قاسية بدل الموظفين المقصرين في المهمة. أوقف الجنرال اوفقير عشرات الضباط، حيث يوجد من بينهم كثير من الجنرالات كلهم أصدقاؤه مدة ثلاثين سنة. وبعد اصدار الحكم أعدم البعض منهم، وبعض العسكريين حكم عليهم بعقوبات مخففة، حيث قضوا سنوات طويلة بالمعتقل السري بتازمامارت.

أما على المستوى الإداري فقد اقيل رؤساء الأمن الجهوي للرباط ومكناس والقنيطرة لأنهم لم يخبروا عن مرور حامية عسكرية.

ومن حسن الحظ أن أوفقير لم يعلم يوما بوجود تليكس موجه إلى العشعاشي من قبل احميدة ابن عبد الله رئيس فرقة الأمن بفاس مكناس، فإذا ما أصابه بصيص من الشك فإنه لا محالة يستغل المناسبة ليتوجه إلى العشعاشي ليتخلص منه. سيمثل لامحالة ليحاكم بالاعدام لارتكابه خيانة عظمى وتواطؤ في الانقلاب، وسينجرُ معه جميع مساعديه المقربين.

17 شتنبر الموالي أعلن عن اتهام محاكمة مراكش، وهي آخر اطوار مؤامرة رفاق الفقيه البصري. ومجملها خمسة احكام رئيسية بالاعدام حضر من الجناة واحد وغاب أربعة، ثم ستة بالمؤبد، وخمسة بعشرين سنة. لكن مؤامرة الصخيرات جعلت الملك حذراً. شطب الحسن الثاني على جميع الاحكام ووزع عفوه ظل محمد اجار الوحيد المحكوم عليه بالإعدام ظل لمدة إلى أن أطلق سراحهُ.

* * *

اضحت لمصالح «الكاب1» شهرة واسعة بدول الخليج : العربية السعودية والإمارات المتحدة والكويت. لقد طلبوا منا مساعدات لتلقين خبرتنا لأجهزتهم الأمنية. فكانت الحصيلة هي عشرات من الحراس الشخصين وإرسال ضباط من تلك الدول إلى الرباط والعكس كذلك للاستفادة من دورة تكوينية حتى إذا ماعادوا فإنهم سيمارسون نفس الشيء داخل مملكاتهم. فحصل، وبمساعدة بعض زملائي، أن ذهبت إلى هناك عدة شهور حتى انجز البنيات التحتية المشابهة لبنياتنا، وإنشاء مخابرات السرية كمصالحنا. إننا وضعنا كل شيء على السكة ونقلنا تعاليم الكولونيل مارتان في عموميتها للآخرين : فن وطريقة تحييد المعارضين للنظام.

جعل بعض رجال الأمن من هذه المهمة هدفا لبلوغ مرادهم لأنها ستدوم حسب اعتقادهم عدة سنوات. فهم لم يرغبوا في مراقبة الأمن الموازي، حيث أكدوا على حماية الأثرياء العرب الراغبين في قضاء وقت مريح بالمغرب. ومن هنا انقلبوا إلى عصابات بتنظيمهم لشبكات الدُّعارة الراقية في المملكة الشريفة. وهكذا استغل الأمراء والموظفون الكبار العرب الخلجين، هؤلاء الذين يجرهم الحب المُسَعَّرُ، فعملوا على تشييد عدة قصور بمدن المملكة.

كما نظم رجال الأمن المغاربة، لحسابهم الخاص، أوكاراً للبغاء موجهة للخليج، عبر مكاتب محلية تنجز عقود عمل وهمية تسمح بموجبها للجميلات المغربيات بالهجرة الرسمية كما هو حال الفنانات والحلاقات والممرضات.

اقترن الاتجار باللحم البشري بمسارات التهريب، وذلك مادفع بعض الموظفين المغاربة للتعجيل بتقاعدهم للتفرغ لهذه الأنشطة التي تعود عليهم بالثراء. مازالت هذه الشبكات موجودة إلى حد الساعة، ومازال رجال أمن قدامى يغتنون منها بتنظيمهم لأنشطة اللذة خاصة بأثرياء الخليج.

المؤامرات الأخيرة

يوم الأربعاء 16 غشت 1972، سنة بعد حدوث محاولة انقلاب الصخيرات، حاول الجيش المغربي، مرة أخرى القيام بانقلاب آخر جديد. كانت طائرة البوينغ 727 التي نقلت الملك آتية من باريس قد تعرضت فوق تطوان لسرب من F - 5 تحت إمرة «الكولونيل» أمقران، الرئيس المساعد للقوات الملكية الجوية، و«الكومندان» كويرا رئيس القاعدة الجوية بالقنيطرة. أصيب محركا الطائرة الإثنين، لكن الربان نجا من طلقات الرشاشات وتمكن من الهبوط بمطار الرباط وسلا. تلقت طائرة البوينغ طلقات نارية وهي متوقفة. والحصيلة النهائية لهذا الهجوم هي ثمانية قتلى وخمسة وأربعين جريحاً. أما الملك فقد خرج منها سالماً.

إنه لأمر يدعو للاستغراب أن تعود المؤامرة مرة أخرى! إن روح المؤامرة كان هو محمد أوفقير. فهو انتقل من وزارة الداخلية إلى الدفاع. لقد دفع ثمن هذا الحمق حياته. قتل في نفس المساء سرا بقصر الصخيرات من طرف أحمد الدليمي والكرواني بناصر.

بعد مرور خمسة أشهر صدرت أحكام قاسية في حق كل من أمقران وكويرا وتسعة من مساعديهم حيث تم إعدامهم جميعا. والباقي منهم نقل للاعتقال بتازمامارت إلى بداية التسعينات. غاب التحضير للانقلاب، هذه المرة كذلك، عن المكتب الثاني. وهو ما يؤكد بالملموس صورية هذه المصلحة. «بالكاب 1» كنا نجهل كل شيء كذلك، كما

أن الجيش لا يدخل ضمن اختصاصاتنا. هل الهجوم الذي تعرضت له الطائرة كان من صنع الضباط الكبار فقط ؟ تقول الرواية الرسمية للأحداث بأن دور القوات المسلحة الملكية قد كان من إخراج أوفقير وحده. وفيما يخص الإدارة فإن الجنرال الخائن كان يبحث عن الطريقة التي يتخلص بها من الحسن الثاني بغاية هدف الحصول على الوصاية، وانتظار إلى أن يبلغ محمد السادس سن الرشد الذي لم يكن يبلغ من العمر آنذاك سوى تسع سنوات. سيكون إذا أوفقير هو السيد غير المنازع بالبلاد.

لقد مكن هذا التأويل من وضع الطموح الشخصي أمام أنظار الجميع وليس كما كان الأمر في الواقع. فمحاولة الانقلاب تورط فيها جزء من الجيش وأهداب من الطبقة السياسية. لأنه كان هناك تواطؤ بين أعضاء من قيادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مع أوفقير. لقد تمكنا من معرفة ذلك «بالكاب1». فمن بين هؤلاء كنا نتوفر على أحد الزعماء الاشتراكيين المؤثرين الذي كان أحد مصادرنا منذ 1961. إنها حالة خاصة. كان يتعاون معنا عن اقتناع وإيمان يفكر صراحة بالمصلحة العامة للبلد وتأكيد وطنيته ومكانته سياسيا. يترف بتقدير من رئيسه الضابط. وعلاقاته «بالكاب1» في تبادل عرض التقارير الكلاسيكيين بين المصدر ورجل الأمن المكلف.

داخل المخابرات السرية كنا نتوفر على عدد محدد من المخبرين، ومن بين هؤلاء واحد معروف باسم «الوردة La rose»، بحيث أن هذا الاسم يخفي شخصية محترمة وصريحة، وصار زعيماً كبيراً لليسار المغربي بعد أن نفي عبد الرحمن اليوسفي والفقيه البصري وموت المهدي بن بركة. لم تظهر عليه أي علامات ليشك فيه رفاقه يوما : إنه رجل من القلائل جدا من رجالات السياسة من جيله الذي لم يطله التعذيب، سواء بدار المقري أو درب مولاي الشريف.

في سنة 1971 بعد الانقلاب الصخيرات الفاشل بوقت قصير، طلب «الوردة» من محمد العشعاشي، الذي كان على علاقة به مباشر منذ

سنة 1961، أن ينظم له لقاء سريا مع أوفقير. لم يفهم محمد العشعاشي أسباب هذه الانطلاقة غير العادية، لكنه في نفس الوقت لا يمكنه أن يرفض طلبا لرجل يعمل بإخلاص منذ عشر سنوات دون أن يطالب يوما بأي امتياز. رئيس قسم مكافحة قلب النظام كتب رسالة مختصرة يفسر فيها الأسباب وسلمها لأحد من رجاله لكي يوصلها على وجه السرعة إلى القنيطرة، فأعطى أوفقير موافقته لتنظيم اللقاء على وجه السرعة.

كان أول لقاء بين الرجلين في أواخر 1971، ودار بين الرجلين باستوديو - مصيدة بفيلا بالسويسي، حيث كان «الوردة» يلتقي بالرجل الذي كان على علاقة به. فقد عمل العشعاشي على إرسال واحد من مساعديه قبل موعد اللقاء ليجهز آلات السمعية البصرية. خلال الثلاث ساعات من اللقاء وجها لوجه بين «الوردة» وأوفقير كان رجل الأمن مختبئا بالمطبخ ولم يخرج إلا ليخدم الجنرال لتقديم الويسكي الخالص. خلال المنتصف الأول من سنة 1972 نظم لقاءان أو ثلاثة بين وزير الداخلية والدفاع «والوردة». كان محمد العشعاشي يتوصل بانتظام بالتسجيلات والأفلام الخاصة بهذه الحوارات والمناقشات العجيبة. ومع كامل الأسف أن تحليل هذه المادة لم يشكل هدف تقرير مرقون على الآلة الكاتبة من عدة نسخ كما كان يحدث دائما. فقد كان محمد العشعاشي يسجل نقطا بسيطة بقلمه في بطاقة ويضعها في ملف الوردة الذي كان يوجد بصندوقه الحديدي.

لم يظهر أمامنا يوما نحن مساعديه أي التلميح إلى العلاقات مع شخصيات مختلفة متعارضة. لرئيس قسم مكافحة قلب النظام وحدهُ الحق ليعرف ما دار بين المتحاورين. فلا دخل لنا أو مصلحة في ذلك.

فجرت جريدة لوجورنال الأسبوعية قنبلة سياسية تتعلق بانقلاب 1972 (عدد 25 نونبر إلى 1 دجنبر 2000). وقد بينت حجة اعتماد

بعض أعضاء من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية التواطؤ مع أوفقير، وذلك بنشر رسالة للفقيه البصري مؤرخه في شهر غشت 1974 تسير في هذا الاتجاه وبعد ثلاثين سنة فهمت أسباب التفاوض بالاستوديو – الفخ « للكاب ! » ! حللت الجريدة هذا الخبر الدال : « بعض الأوساط الرجعية تحاول الاستيلاء على تصريحات لوجورنال لتبرر القمع والابتزاز والاغتصاب الذي تعرض له المعارضون من قبل النظام. إنها قراءة تافهة لتراجيديا غشت 1972. المدمرون الحقيقيون للملكية هم المميعون لأخلاق السلطة كالرشوة المعممة والممارسة على أكبر مستوى (...) والعقوبات الحيوانية التي لقيها المعارضون في كهوف الشر كدار المقري وقسم الشرطة القضائية بدرب مولاي الشريف، حتى لا نكتفي بهذا الأمر، كما أن الإرادة الشعبية تعرضت دائما أثناء الانتخابات للتزوير».

* * *

عرف العام الموالي « مؤامرته » هو كذلك. في بداية مارس 1973 انفجرت قنابل بكل من وجدة والناضور، ولحسن الحظ لم تنجم عنها ضحايا. وبالقنيطرة أصيب ماران. وبالأطلس المتوسط، بمولاي بوعزة، تعرضت مخيم عسكري لهجوم أشخاص مسلحين برشاشات. قتل حارس وهرب المقتحمون بالأطلس الكبير، بتنغير وگلميمة تبادل الكومندوهات إطلاق النار مع الجيش الملكي. التحق الملحقون العسكريون للمعارضة بالحركة. وبدا أن البلاد عبارة عن هدف لإرهاب كبير. وبالمقابل كان كل شيء متحكم فيه من طرف المخابرات السرية التي كانت تضخم من « الخطر ».

مرة أخرى سيلعب « موحا » دورا كبيرا في هذه القضية. كان مبعوثي المأجور يتصل بي بانتظام ويبعث لي لائحة بأسماء المشاركين في الاجتماعات السرية ويخبرني بالقرارات المتخذة مرفوقة بالتاريخ التقريبي لمرور الكومندوهات إلى الحدود المغربية الجزائرية، وأسماء الرؤساء كعمر دهكون وامحمد المهتدي.

كان دهكون عاملا يبلغ من العمر سبعة وثلاثون سنة، التحق بشبيبة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. بعد حرب الستة أيام، في 1967، التحق بالمقاومة الفلسطينية، وشارك في عدة عمليات بالأراضي المحتلة بإسرائيل. وقد أفادته هذه التجربة التي حصل عليها، فعمل على تجريبها سرا بالمغرب.

وفيما يخص المهتدي فهو صَرّافٌ متواضع كان يعمل .R.A.T.C، بوكالة النقل الحر بالدار البيضاء، كان يبلغ من العمر ثمانية وعشرون سنة، كان منخرطا منذ فترة طويلة في النضالية النقابية، وقد أقنعه دهكون بالذهاب إلى سوريا لمتابعة تدريب عسكري هناك.

لقد مكنتنا هذه المعلومات الدقيقة التي حصلنا عليها بواسطة موحا لنتوجه إلى .R.A.T C للحصول على عنوان المهتدي ووضع الأمكنة تحت المراقبة.

قضى رجال أمن من «الكاب1» أربعة أيام أمام سكنى المهتدي ... وذات مساء، حوالي الساعة الحادية عشرة، وصل المهتدي، بعد انتظار، وهو يخفي وجهه بجلبابه السوداء. ورغم ذلك تعرف عليه رجال الأمن الذين كانوا يتوفرون على صورته، فاختطفوه وحملوه إلى ڤيلا تابعة «للكاب1»، هي النقطة الثابتة الخامسة P.F.5 التي توجد بحي لارميطاج بالدار البيضاء. لم يخف المهتدي أشياء كثيرة، اعترف بكل شيء بعد التعذيب، بحيث قال بأنه كان يستعد للقيام بمهمة ابتداء من بعد الغد، وقد كلف بوضع أربع قنابل حسب مخطط دهكون، الأولى تحت سيارة القنصل العام للولايات المتحدة الأمريكية، والثانية بالمركز الثقافي الأمريكي بشارع مولاي يوسف، والثالثة تحت خشبة مسرح محمد الخامس، والرابعة بالمركز الثقافي الأمريكي بالرباط.

صاحب بعض الرجال من «الكاب1» الإرهابي ليقوم بعمله كما كان متوقعا. ومع قرب هذه العمليات اتصلنا ببدر الدين بنونة الذي

أصبح رئيساً للفرقة الوطنية للشرطة القضائية وتحرك صحبة فريقه ليبطل مفعول القنابل وليوجه اتهاما ويصيغ محضراً بعين المكان بحضور كل من مبعوث السيابة العامة وممثل العامل وموظفين من تحديد الهوية القضائية.

يومان بعد ذلك كان مقرراً أنْ يذهب المهتدي عند دهكون، رئيسه، ليقدم له تقريرا عن المهمة. أخذنا احتياطاتنا اعتقادا منا بأن الرجل مسلحا وخطيراً. عاد دهكون حوالي الثانية بعد منتصف الليل، فلاحظ حركة غير عادية بالشارع فحاول أن يخرج ما يخفيه تحت ثيابه، مسدسين أوتوماتيكيين، ومسدس رشاش، وثلاثة متفجرات، لكن رجال الأمن احكموا قبضتهم عليه بدون حصول أي ضرر.

نقل إلى مقر الفرقة الأمنية، فاستنطق تحت التعذيب في نفس الليلة. كان الدليمي نفسه يقوم بذلك. ينبغي التعرف على عدد أعضاء الكومندو، ونوعية الأسلحة والذخيرة، والأماكن التي ستعرف عملياتهم مستقبلا وتواريخ العمليات. بعد ساعات من الاستنطاقات دون أن يترك لدهكون فرصة استرجاع الأنفاس. وأخيرا اعترف دهكون. وخلال الخمسة عشر يوما الموالية قاد رجالا من مصالح الأمن عبر التراب الوطني كله لتوقيف العناصر المتسربة إلى المغرب.

بلغ عددهم مائتين وخمسين رجلا. خمسون منهم أمكن القبض عليهم، والباقي لاذوا بالفرار عبر الحدود الجزائرية – المغربية التي كانت بها ألغام من الجانبين مما جعل الكثير منهم يموت من جراء انفجارها.

من بين الخمسين شخصاً الذين نقلوا إلى النقطة الثابتة الثانية P.F.2 بدار المقري، منهم ثلاثون هلكوا تحت قسوة التعذيب. لقد تلقى الدليمي تعليمات للممارسة العنف وسوء المعاملة بدون شفقة. والستة عشر المصابون بجروح قدموا للمحكمة.

* * *

وراء هذه المحاولات المسلحة التي تهدف إلى زعزعة النظام خلال تلك السنوات يوجد دائما نفس الرجل، إنه الفقيه البصري. ورغم ذلك وخلال شهر فبراير من سنة 1973، وبعد أسابيع قبل انطلاق آخر أكبر مؤامرة، طلب من الملك، بوساطة عبد الرحيم بوعبيد ومحمد العشعاشي الاستفادة من العفو.

أول لقاء بين الشوري ورحال امن من «الكاب1» دارت احداثه بالحدود، بحضور المخابرات السرية الجزائرية. والملاحظ أن الأحداث العنيفة لشهر مارس قد أوقفت المفاوضات. كان الفقيه البصري أكثر تطرفا من بن بركة مستفيدا من إعانات الدول العربية أكثر من الزعيم المغتال. وحتى نقدر ذلك - فقد استمعت لكلام ورد فيه المبلغ بين خمسة وعشر ملايين درهم في السنة.

فتح الفقيه حسابات بنكية بفرنسا والجزائر وسوريا ومصر والعراق. لقد أغاظ قيادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية كثيرا لأن حساباته المالية لم تكن مضبوطة. بل كانت مصاريفه فرعونية. لم تتبّعْهُ «الكاب1»، مع الأسف، بليبيا أو العراق لمعرفة مصاريفه هناك، لكننا نقدر انه كان يحتفظ بها لحسابه الخاص. لتبرير مصاريفه، عمل الفقيه البصري بسرعة فائقة متابعة أنشطته الهجومية ومؤامراته المثيرة للشفقة. كان يستفيد من التخريب يبعث أشخاص، في مغامرة مؤدى عنها، إنها مقاولة مدبرة بشكل سيء لكنها لا تخلو من عائد كبير.

في الواقع، هذا النشاط المتمرد أراح جهات كثيرة. لولاها لما وُجدت المخابرات السرية المغربية وتمكنت من الحصول على ميزانية مبررة. مكافحة قلب النظام هي مسألة ذات مردودية، سمحت لبعض المسؤولين في «الكاب1» بالاغتناء وحرق المراحل والوصول السريع إلى مراتب هامة في الهرم.

رغم الثقة التي كان يحظى بها الفقيه البصري من قبل الحكومات الاشتراكية الأجنبية فإنه يظل قائدا تافها. كنا نظن في «الكاب 1» بأن مليشيات المعارضة المسلحة تعاني عاهات يتعذر إصلاحها، منها انعدام الكفاءة على عدة مستويات، وتفكك وغياب التنظيم والتنسيق وشبكات الاتصال مخورة. كان الرئيس يرسل رسائله السرية لتصل إلى مختلف مناطق المغرب. ومعظم هذه الرسائل كانت تصل إلى رئيس الفرقة الأمنية بوجدة، بحيث كان هذا الأخير يعمل على نسخها وتوجيهها على وجه السرعة الممكنة إلى «الكاب 1» الرباط. كنا نعرف عن ظهر قلب أولئك الذين كانت تتوجه إليهم الرسائل السرية، وعملنا على مراقبتهم على نطاق واسع. ونفس الشيء فيما يخص الأجوبة الموجهة إلى الفقيه البصري، تنسخ بوحدة قبل أن تصل إلى الجزائر.

مرَّ كل شيء كما لو كان قادة المعارضة المسلحة لا يضعون أي اعتبار لرجالهم. فخلال ثلاثين سنة من المنفى الذهبية، عاشت حفنة من الرؤساء كبورجوازيين كبار. إنه وجود بعيد كليا عن الصورة التقليدية للثوري الملاحق.

قبل ذلك، فالمحاولات الفاشلة تناسب كذلك النظام ليتحكم فيها حتى يكسر شوكة اليسار بممارسة الفوضى بين الجناح الانقلابي والاتحاد الوطني للقوات الشعبية، لقد استعملت هذه الممارسة منذ مؤامرة 1973.

* * *

ظهر خلال هذه الفترة جناح داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بقيادة عبر الرحيم بوعبيد الذي أصبحت له مكانة مهمة ومتزايدة في المشهد السياسي للمملكة. ولأول مرة سيظهر موت بن بركة كشيء مقبول ومستساغ. استغل انشغال الانقلابيين الذين يفوق عددهم أكثر من المائتين معتقلا، احتجز جزء من المعتقلين بدار المقري التي أعيد

ترتيبها من جديد تحت أوامر الدليمي. هناك حائط يفصل بين إقامة الوزير الكبير، والاصطبلات التي توجد على مساحة أرضية على اليمين من الباب الرئيسي للدخول، حيث هناك شيد صفان من الزنازن.

في 25 يونيو 1973 مثل مائة وتسعة وخمسون متهما أمام المحكمة العسكرية بالقنيطرة. وافتتحت الجلسة بتنديد المعتقلين بالتعذيب. فرد الرئيس قائلا :

ـــ لنترك هذا الأمر فهو معروف.

يوجد من بين المتهمين خليط من الإرهابيين الحقيقيين وغيرهم من المناضلين السلميين. فهناك أعضاء من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية كمحمد اليازغي وعمر بن جلون اللذين لم يكونا يعرفان كم سيكلفهما هذا الأمر. كانا دائما ضد العنف. فالأول كان يضمد يده بضماد بعدما استقبل طردا بريديا ملغوما أرسل إليه بعناية فائقة من قبل «الكاب1». وقد صرح بوضوح قائلا :

ـــ أجهل كليا وجود تنظيم مسلح غير شرعي.

أما الثاني فقد صرح بأن تلقى تعذيبا وأضاف :

ـــ لا أحتفظ بأي حقد تجاه الأشخاص.

كثير من المتهمين تمنوا أن يدافع عنهم عبد الرحيم بوعبيد بنفسه، المحامي المشهور في مرحلته، لكن الاتهام أشار إليه كشاهد وذلك ما منعه من تلك المهمة. أثار عزل بوعبيد عن الدفاع حواراً غاية في الأهمية. وقد حاول من جانبه تفسير موقفه وموقف حزبه، موضحا ذلك بمطالبته بملكية دستورية وهكذا طرح المسألة المهمة : «الإرهاب»، ألم يكن أحد اشتقاقات النظام ؟ «يوجد من بيننا هنا، يقول، المطلوبون رغم أن الطريق الشرعي ليس بخطأ وأما فيما يخص العنف فلا يجب أن يواجه بعنف مضاد».

صدرت الأحكام يوم 30 غشت حيث طالب الوكيل بخمسة وعشرين عقوبة بالاعدام، لم يحصل إلا على ستة عشر منها. وبعيداً عن ذلك تم النصف بخمسة عشر منها بعقوبة حبسية بالمؤبد مع الأشغال الشاقة، وستة وخمسون بالسحن بمدد مختلفة وإثنان وسبعون بإخلاء السبيل.

لم ترق الأحكام الحكام في البلاد. وفي المساء جميع المتهمين حملوا في شاحنة لينقلوا إلى تكنة عسكرية. وهكذا نددت جمعية المحامين، التي كان من بين أعضائها ثلاثة عشر عضوا من حزب المتهمين «بانتهاك مبادئ محاكمة عادلة». كما أن تنظيمات إنسانية دولية نشرت الخروقات في مناشيرها. لكن كل ذلك لم يكن ليزعج السلطة.

لقد سمعنا، كما لو كان الأمر بالصدفة، عن مؤامرة جديدة تستهدف اختطاف ولي العهد. إنها نفس الأكلة كما حدث في سنة 1960، إنه إجراء خيالي لتبرير القضاء على المعارضين.

في الفاتح من نونبر 1973 أعدم خمسة عشر من بين الستة عشر رمياً بالرصاص بساحة سجن القنيطرة. احتفظ بامحمد المهتدي قليلا. الا يمكن تقديم عناصر أكثر تطرفا منه للمشنقة ؟ ثم وقت البحث ظهر أنه كان متعاونا وأقواله مهمة إذا أرادت السلطة أن تدين غيره من المعارضين. حُكِم على ثلاثة عشر متهما بأحكام مخففة. ثم فتحت قضية أخرى في 15 يناير 1974. ستة أحكام بالإعدام أعلن عنها من حديد، ولم تنفذ إلا بعد سبعة شهور بعد ذلك، وكان من بين هؤلاء الضحايا المهتدي الذي لم تنفعه إرادته الجيدة.

سنة بعد ذلك استطاع عبد الرحيم بوعبيد أن ينشق عن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مؤسسا حركته الخاصة : الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية. لقد كان هذا الانشقاق في صالح المخابرات السرية. فهو يهدف إلى إضعاف اليسار. فقد حاولنا استعمال مصادرنا بالدار

البيضاء والرباط من أجل ذلك. نتذكر أنه في سنة 1962 استطاعت « الكاب I » أن تحدث القطيعة بين الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والنقابة UMT بنفس رجال الأمن من جديد بعد ثلاثة عشر سنة من المسافة.

أحداث أخرى برزت على مسرح الأحداث. فإذا كان اليسار قد أضعف فإن هناك أحداثا جديدة تهدد منطقة الجنوب ؛ إنها جبهة البوليساريو التي تطالب باستقلال الصحراء الغربية. وخلال 1975 عملت مصالح D.S.T. بقيادة كل من صاكا، وبتوجيه من محمد العشعاشي وإدريس البصري القيام بحملة اعتقالات واسعة. قيل بأن رجالا ونساءً وأطفالا وشيوخا اعتقلوا بمراكز سرية موجودة بالرباط كذلك، وأكادير وأكدز وقلعة مكونة. يحكي الشهود كيف انتهكت بيوتهم ليلا من قبل كومندو من رجال D. S. T. مسلح بالرشاشات. فاعتقلت الأسرة بكاملها بعد إبداء هذه الملاحظة من طرف السلطة :

ــــ الجميع هنا من بوليساريو.

لم تمنع هذه الأحداث من مواصلة قضية القنيطرة، ولكن ينبغي الانتظار إلى يوليوز 1976، وبعد مرور ثلاثة سنوات لتنتقل القضية أمام غرفة الجنايات بالرباط. والملاحظ أنه لم يبق من المتهمين إلا ستين متهماً، اثنان منهم توفيا تحت التعذيب. لم تبد تهمة التسلل الجماعي ومحاولة التآمر ضد ولي العهد مقنعة، ولذلك صدر الحكم على الشكل التالي : خمسة عشرة وعشرة، وأربعة سنوات سجنا انفراديا.

* * *

لم يكن عمر بن جلون « الشاهد » أثناء المحاكمة الأولى، الشاب القائد المقاتل من أجل الديمقراطية من بين قائمة المتهمين. فقد قتل في 18 دجنبر 1975 مطعونا بالسكاكين وعصي حديدية وتحت ضربات الحديد من طرف متعصبين إسلاميين. وفي الواقع فإن هؤلاء كانوا يعملون لصالح المخابرات السرية لمكافحة قلب النظام.

كان محمد العشعاشي يبحث منذ مدة ليصفي حسابه مع عمر بنجلون. فهو من وجدة أيضا ورفيقه في الدراسة. وكان بينهما حقد وضغينة واضحة. منذ سنوات الستينات، حاولت المصالح لتُوقع بالمعارض في شباكها. لكن دون جدوى. كان المعارض يتفادى جميع الفخاخ المنصوبة له بانتظام من قبل المصالح. كما حاول محمد العشعاشي توريطه في مؤامرات نسج خيوطها قسم مكافحة قلب النظام. وهنا أيضا تمكن بن جلون من الخروج منها.

خمسة أصوليين سيذهبون للقيام بهذا العمل بدلا عنا. كلهم من مصادر «الكاب1». منذ 1967، استفادوا من مقابل مادي لصالحهم يقدر بمائة آلاف درهم لكل واحد منهم. إنه مبلغ ضخم لهؤلاء المستخدمين ذوي دخل محدود بدل دخل الخرازة ومهن بسيطة أخرى. كل شيء كان متوقعا، ففي حالة توقيفهم ستوزع المبالغ التي وعد بها لهم لزوجاتهم وستشفع لهم المخابرات السرية في العقوبة الرئيسية المميتة، وستعمل على التكفل بهم طيلة مدة الاعتقال.

حينما اعتقلهم الأمن القضائي للدار البيضاء سلم العشعاشي وصاكا والمسناوي النقود بالفعل لعائلاتهم، ثم فاوضوا الشرطة القضائية P.J. لتسجيل محضر ذي إجراءات واسعة لا يسمح للقضاة بالتعرف على أي منهما القاتل، صاحب الطعنة القاتلة.

وبالموازاة مع ذلك أعلن الشرطة القضائية عن البحث عن رئيس الشبكة الإسلامية الإمام عبد الكريم مطيع. فهذا الأخير أفتى ضد بن جلون قائلا بأن «المسلمين الحقيقيين» يجب عليهم أن يصفوا هذا الملحد. علما أن مطيع نفسه هو من بين مصادرنا منذ 1968. ينبغي إذن حمايته. أوقفت «الكاب1» البحث وسلمت له جواز سفر ومائة ألف فرنك فرنسي حتى يتمكن من الخروج بغية نسيانه لبعض الوقت.

أمام المحكمة صرح القتلة بأنهم لم يعملوا سوى على الخضوع للواجب الديني بممارستهم لتعاليم مرشدهم الروحي. لم تكن الحجة مقنعة للقضاة وهو ما جعلهم يحكمون بالمؤبد. لكن، وبفضل تدخل المخابرات السرية بواسطة مدير سجن اغبيلة استفاد المعتقلون من نظام امتيازي.

أما عائلة الضحية فقد عاشت التراجيديا، براتب تعليم هزيل، عاشت دائما مشاكل لإعالة الأطفال، ولم تجد الدعم الكافي من طرف أصدقائه في السياسة.

خلال هذا الوقت تَنَعَّمَ القتلة كثيرا، كانوا القتلة جميعاً بجناح مريح؛ خاص بهم. جناح بعشرة زنازن كانت في الأصل مخصصة لمائتين وخمسين إلى ثلاثة مائة معتقل. كل واحد منهم أخذ رنزانتين. كما تمتعوا حق الاستفادة من المطبخ مجانا وجماعيا، وذلك بتصرفهم في احتياطات اللحوم والدجاج والخضر والفواكه والمصبرات والزبدة والزيت كما يحلو لهم. ويمكنهم الخروج صباحاً من الثامنة والنصف محملين بأكياس من خزائن السجن ليعودوا مساء على الساعة السابعة بنفس الأكياس، لكن مملوءة هذه المرة بمواد التهريب مخصصة للرواج بين شعب المعتقلين، بتواطؤ مع الحراس. ومن وقت لآخر يقضون اليوم عند ذويهم، مرفوقين بزوجاتهم أو خليلاتهم، ويسيرون من بعيد خرازتهم بدرب غلف والقريعة، التي يروجون فيها أموال الجريمة.

دام هذا النفاق إلى حدود 1998، بل استمر اثنان من بين الجميع اللذين لم يستفيدا من العفو. وفاة لا تغتفر بعنف كانت حظا لعب لصالح هؤلاء المنفذين، ومكنتهم من ثروة عقارية مربحة بحيث لم يكن ليحصل ذلك لولا الجريمة. وهكذا إذن فإن الجريمة مربحة.

تفكيك الكاب 1

شكلت مؤامرة 1973 السبب الرئيسي في اشتعال حرب بين رجال قسم مكافحة قلب النظام ورجال الفرقة الخاصة التي أسسها الدليمي. لم يكف رجال المدير العام للأمن الوطني يوما عن إثارة غضبنا، باحثين دوما عن استغلال انشطتنا لصالح انتصارهم ومعارضة مخططاتنا. اعتراضات حقيقية وضعوها أمامنا، وتفسير ذلك لم يكن إلا والسلاح في اليد. سكاكين ومسدسات يتم اللجوء إليها ليلاً، نجم عنها موت رجلي أمن والعديد من الجرحى من الجانبين.

ذهب الدليمي ليشتكي لدى الملك بدعوى رعونة وتقلب محمد العشعاشي ورفضه لأي شكل من أشكال التعاون. لم يجب رئيس قسم مكافحة قلب النظام كما أنه لم يبادر ليقدم روايته عن الأحداث. مزهو ومتكبر ومنفر، لا يريد أن ينحني أمام جلالة الملك ليشتكي هو بدوره. له مزاج خاص وعزة نفس متضخمة، وهي الأسباب التي جعلته يقظا فيما تبقى من مزاولته لوظيفته.

بعد محاولات الانقلاب والمؤامرة الأخيرة التي عرفت «إرهابا» حاول فتح فوهة أو مخرجا بالبلاد. تفككت «الكاب1»، بعد أن مارست عملها ضمن نظام شبه سري مدة ثمانية سنوات، فعوضت رسميا مع بداية 1973. بتنظيمين مختلفين متباينين هما : د. س. تي. D.S.T و D.G.E.D. :

مديرية مراقبة التراب الوطني داخل المملكة والمديرية العامة للدراسات والتوثيق المتخصصة في المعالجة والتحرك بالخارج.

وضعت الوسائل المادية والمالية التي كانت تابعة «للكاب1» تحت إشراف هاتين البنيتين المزدوجتين. ومعظم رجال الأمن مروا إلى D.S.T. مغادرين الفيلا الفخاخ أو اختفوا من أجل استثمار مقر جديد بني بمركب الأمن بحي أگدال بالرباط أمام بوابة مدينة العرفان.

كان لموظفي «الكاب 1» الاختيار بين الاندماج في D.S.T. أو D.G.E.D. أو الأمن الوطني. شخصيا فضلت الحل الأخير، متمنيا أن أبعد عن وظائفي بالمخابرات السرية سابقا. للأسف لم ينفذ مامولي فعدت تابعا إداريا لِـ D.G.S.N.، لكنني أعمل ملحقا بقسم مكافحة قلب النظام. كان محمد العشعاشي يريدني أن أتابع مهامي كضابط استخدم بعض مصادر معلومات. من أول نظرة تشبه D.S.T. «الكاب1»، فهي تتكون من ستة أقسام على غرار ما كان بزنقة مولى إدريس. ومن خلال الهيكلة تبدو مهمة الرجال الذين أوكِلت لهم مهمة مكافحة قلب النظام أنهم سيقومون بنفس المهام التي كانت لذلك القسم «بالكاب1» مثل تحييد الأحزاب السياسية، الصراع ضد النقابات، استخدام المخبرين، توقيفات، اختطافات واستنطاقات. أصبح العشعاشي كمدير لهذا القسم المهم، مع احتفاظه بفريقه، وهكذا تابع مصادر معلومات «الكاب1» القدامى خدمتهم وتعاونهم مع D.S.T.، ولا شيء تحرك بالنسبة لها مادام ضباطها المكلفين حافظوا على نفس الروابط. هؤلاء الرجال السياسيين البالغين من العمر حالياً سبعين عاماً أو أكثر مازالوا مستمرين بانتظام في إمداد القسم بالمعلومات.

توجد بالرباط ثلاث فرق مختصة في «البحث والتحقيق» مشكلة ومستنسخة على شاكلة ما يقال عادة: الفرق الخاصة القديمة، في حين أن الفرق الأمنية أصبحت مضاعفة لتغطي جميع الأقاليم والعمالات.

يبدو أن لا شيء يتمتع بحدة ما. أقسام وفرق، بشكل عام، تشبه ما كان قديماً ومع ذلك هناك اختلاف في الحجم، بحيث تقلصت المهام والاختصاصات، فيما يخص مكافحة قلب النظام.

يوجد محمد العشعاشي على رأس قسم محصور، ورجال الأمن لا يمكن أن يقوموا بأي شيء إلا في حدود بأوامر جديدة، والبطاقة البيضاء التي كانت معطاة لهم خلال سنوات الستينات نزعت منهم منذ 1973. ومع ذلك ينبغي التعاون مع مدير .D.S.T، وهو المنصب الذي أصبح يحتله إدريس البصري بكيفية سرية، وكلف بالقضاء على التعسفات ومراقبة جميع الأنشطة التي تقوم بها الفرق الخاصة. ومن بين ما أسفر عنه التغيير هو اختفاء الصندوق الأسود من قسم مكافحة قلب النظام، وأصبحت الميزانية بين يدي البصري المدير السري الكبير.

محروم من الأموال. لم يكن محمد العشعاشي سوى ذلك الرجل الشاحب المنفذ. فقد كان فيما سبق ذلك المسؤول الممتاز الذي يخرج عن سلطة أوفقير أو الدليمي مرارا، فصار، فجأة كومسيرًا اقليميا ملزماً بدفع الحسابات بكل دقة إلى منهم أعلى منه مرتبة. إنها نهاية حزينة بالنسبة لواحد من أحسن رجال الأمن المغاربة والمخابرات السرية، فهو قد عرف في بداية مشواره نجاحاً مرعباً... لكن اختطاف بن بركة هي القضية التي كسرت كل شيء... وداخل جهاز .D.S.T انطوى العشعاشي على نفسه، ولم يخرج من توتره العصبي إلا حين أدرك التقاعد.

يالها من ورطة! لقد كان هذا الرجل أحسن رجال المخابرات السرية، كان محترما من طرف رجاله ويهابه المعارضون. فنزاهته الفكرية واشمئزازه من التعذيب الزائد جعلا منه رجل أمن بصفات خاصة. وفيما يتعلق بالمعاكسة والخصومة التي عبرت عنها شخصيات من مستوى أعلى كأوفقير والدليمي، فهو لم يلحق المناصب العليا التي يستحق.

إن .D.S.T هي أحد الأسباب التي تجعل العشعاشي يخيب الظن؛ ليس لأنه لم تعد له اليد العليا على الصندوق الأسود من أجل تدبير عملياته وتمويل مصادره، وليس فقط لأن مجال نشاط الفرق الخاصة قد تخرج من بين يديه، ولكن من أجل تطويق جميع الفرق الخاصة حتى لا تصبح تحت سلطته. فحينما كان يشعر بضرورة دعمه من طرف إحدى الوحدات الأمنية، كان مرغما على أخذ الضوء الأخضر من إدريس البصري هذا الأخير الذي أصبح رب البيت. ثم عليه اللجوء إلى إجراء معقد كما يلي : كل مهمة هي بالضرورة تكون بأمر مكتوب مسبقا، ثم إن هذا المطبوع يقرأ بعناية من قبل المدير المساعد لجهاز .D.S.T الذي يقدم رأياً فيه. وفي حالة الموافقة يوقع عليه قبل أن يجعله قيد التنفيذ. ثم يشرع في نهاية العملية في كتابة تقرير مفصل موجه عبر السلم الإداري إلى إدريس البصري.

كان التغيير قاسيا. في الماضي كانت تشتغل الفرق بتعليمات شفوية وبدون مراقبة. فبواسطة أمر بسيط يصدر من العشعاشي تتحرك الفرق الخاصة فتعمل على ممارسة اختطافات عديدة بالمملكة والجزائر وتونس أو في أي مكان آخر. ينطلق رئيس قسم مكافحة قلب النظام من تلقاء نفسه دون أن يعود إلى أي كان ؛ يبعث رجاله، وهناك يصدر حكمه. ووصلت نسبة انشطة قسمه إلى ما يفوق 60 % من نشاط «الكاب1 » عموما. فهو لم يكن يكتفي بما تحت يده من فرق خاصة، بل الفرق الستة للأمن ومجموع الجهاز المكلف بالعمليات التقنية.

لقد قيل ذلك، إن مثل هذه الحرية في العمل ستساعد على السرعة في الأداء. لكنها ستكرس سلوكات غير مبررة. وقد شاهدنا ذلك. كان رجال الفرق الخاصة على وجه التحديد، لا يهتمون إلا بذواتهم ويتجاوزون حدود مهمتهم أما الطريقة الجديدة فهي كيفية لإدخال نظام أكثر تشددا في الصفوف. أُختير عبد القادر صاكا كرئيس لفرق البحث

والتحقيق، وقد استطاع أن يحد مما كان يقوم به رجال الفرق الخاصة كالقتل وهتك العرض والسطو، وهي سلوكات كلها اختفت عن الظهور مرة ثانية.

وعلى المستوى الجهوي فقد استطاعت .D.S.T أن تنشأ فرقاً أمنية تابعة لها في كل عمالة وولاية. ففيما يخص الدار البيضاء مثلا فإن جهاز الفرق الأمنية .B.S يفوق عدد رجاله ثلاثة مائة رجلا، وتوحد مصالحه بعمارة كبرى من خمسة طوابق بزاوية شارع آنفا وشارع مولاي يوسف. يحضر رجال هذه الفرقة بجميع الأمكنة والمكاتب الإدارية والدوائر والوزارات والنوادي الخاصة. فهذا العدد الموجود بالعاصمة الاقتصادية ضخم بالمقارنة مع ما كان بالبلاد كلها ! علما أن كل شيء تضاعف مع مرور الأيام. بلغ عدد رجال المخابرات السرية مع حلول 2002 إحدى عشر الفا بجميع المصالح، ثمانية آلاف وخمسمائة منهم بجهاز .D.S.T وحدها. لكن الملاحظ أن النتائج لم تتم متابعتها والرشوة تعممت أكثر.

* * *

بعد الترددات الواضحة للمخابرات السرية التي سمحت بحصول عدة مؤامرات ما بين 1971 و 1973، بدا ضروريا خلق جيل جديد من رجال المخابرات، بحيث أنه خلال السنتين المنصرمتين من وجود .D.S.T، قد تعايش الجهاز مع العناصر القديمة «للكاب I »، وفي ذات الوقت كان يتم التحضير للتغيير.

في سنة 1956 لم تكن الإدارة العامة للأمن الوطني حريصة على التوظيف تبعا للكفاءة. وفيما بعد «بالكاب I » اختار الأمريكيون العناصر التي يمكن توظيفها. وحاليا يتم الانتقاء بناء على الدكتوراه في القانون فيما يخص رتبة الكومسير مع اجراء مباراة مثلا، والإجازة التي تخول لصاحبها رتبة ضابط مع إجراء مباراة. فما أن يجتاز المتباري الامتحانات

الكتابية والشفوية حتى يصبح هدف بحث سري ينصب على الأخلاق وفي نفس الوقت يتعرفون على مدى اخلاصه للدولة العلوية. علما أن العناصر المعروف تعاطفها أو ميلها نحو اليسار أو المتحزبة أو الإسلامية يتم استبعادها بشكل مسبق.

وبعد حرق هذه المراحل بنجاح ينقل الناجحون منهم للاستفادة من التكوين بالمعهد الملكي للأمن بالقنيطرة، بالإضافة إلى التدرب على السلاح واستباب الأمن، كما يتلقى التلاميذ تكوينا قانونيا، بل وملاحظة الإجراءات القانونية المشروعة. وهو الحاصل فعلا. فعلى الأقل فإن هؤلاء يحترمون إلى هذا الحد أو ذاك النصوص القانونية، وهو ما لم يكن معمولا به «بالكاب ١» بالنسبة لمعظم رجال الأمن الذين كانوا يجهلون قاعدة الإجراءات القضائية.

التعليم الذي كان حسب الحاجيات، والذي قد يصل سنة وقد يتعداه أحيانا، وقد يزيد حينما يتعلق الأمر بتخصص معين لرجال امن الاستعلامات العامة .R.G، أو لصالح موظفي الشرطة القضائية .P.J أو رجال الأمن العام Sécurité Publique. أما نحن فلم نتلق في أحسن الأحوال إلا بضعة أسابيع كان التكوين فيها سريعا للغاية. وماذا بعد؟ حصل دائما أن كان التوظيف بالتوصية أو المعاشرة وأخذت المهنة بالتجربة الشخصية. وهؤلاء المسنودون هم من استطاعوا بلوغ أهدافهم في المصالح، والبعض منهم أنهى حياته برتبة كومسير اقليمي أو مراقب، بل وحتى والي في الأمن.

وبشكل عام فإن الموظفين حالياً أحسن من ذي قبل. فهم منضبطون ويمتازون بالدقة عوض المغامرة التي كانت تميز السابقين، أولئك المقاومون القدامى. وفيما يتعلق بالمخابرات السرية فهم لم يستغلوها مثلنا للحصول على تكوين جهاز .C.I.A. فعلى مستوى مكافحة قلب النظام واستغلال المصادر والقيام بالعمليات التقنية، فهم أقل منا على ما كنا

عليه في الستينات. فالبرامج التي كان يسهر عليها الأمريكيون الثلاثة لا مثيل لها حاليا، حتى ولو أن بعض الرجال المكونين على يد مارتان وستيف وسكوت يعملون على نقل خبرتهم للشباب.

استمر قسم مكافحة التجسس على ما كان عليه بالأمس يراقب السفارات المتواجدة بالمغرب، وأنشطة الصحافيين الأجانب، ويهيء لهم مقامهم هنا، إذ يستضيفهم «بالغرفة المناسبة» بالفنادق والأماكن المخصصة لذلك الغرض. ولكن إذا كان الموظفون الحاليون ما يزالون شباباً مكونين، يتكلمون لغات عديدة، فهذا لا يمنع من ارتكاب أخطاء جسيمة يمكن تفاديها. وآخر خطأ هنا هو ما حصل في شهر نونبر 2000 من طرف رجال تنقصهم التجربة، بحيث لم يدركوا كيف يتسترون بحذق لمنع فريق من قناة تلفزية فرنسية France 3 من تصوير السجن القديم السري بتازمامارت... وقد زاد الطين بلة حينما أقدم وكيل الملك بالمنطقة على اتهامهم دون تردد بالتجسس، فوضعوا تحت الحراسة النظرية ثلاثة أيام بفندقهم بالراشدية ولم يستعيدوا حريتهم إلا بعد تدخل محمد السادس الملك الشاب الذي وضع القضية جانبا لتفادي تعقيدات غير ضرورية قد تلحق العلاقة المغربية الفرنسية، والنداءات التي تطالب بإطلاق سراحهم سواء من طرف الحكومة الفرنسية أو الإعلام العالمي وجمعيات حقوق الإنسان. وضح هذا الحادث غباء المصالح الحالية، بالإضافة إلى أن وكيل الملك يظهر أن الأحداث تجاوزته كثيراً، فهو يجهل تماما ماذا يمكن أن يقوم به أمام الأوامر المتناقضة. وباختصار فإن جميع هذه الأمور قد أبانت بالملموس عن خلل مؤلم.

إذا لم يعد رجال جهاز .D.S.T لا يتصرفون بغلظة كالسابقين «بالكاب 1»، وإذا كانت كذلك الساعات والإجراءات القانونية بدأت تحترم أكثر، فإن لا شيء تغير في العمق مدة طويلة. لقد ظل الاختطاف والتعذيب حاصلا. فدار المقري أصبحت معروفة للغاية، وقد تم هجرانها،

بلا شك، سنة 1983 . لكن هناك نقط ثابتة أخرى حلت محلها. في آخر لحظة من عقد التسعينات أصبحت المصالح أقل قسوة عما كانت عليه في الماضي، لكن التعذيب مع ذلك مورس بمركب الرباط.

والحاصل أن جهاز .D.S.T أضحى منظما بالمقارنة مع «الكاب1 »، ولا أحد يمكنه أن يصول ويجول بحصوله على سلط واسعة كالعشعاشي. فإذا حصلت وفيات تحت التعذيب بعد 1973 فإن الجثث لن يرمى بها في البحر أو تدفن بحفر مجهولة لقد ألزم تقرير بالقيام بجميع طقوس الدفن. إنه تحسن نظري كليا ؛ ولا شيء لحق، إلى يومنا هذا، المسؤولين في تلك المافيا أو هذه، الذين ارتكبوا الجرائم. فجرائمهم توضع في خانة « الحوادث ».

وفيما يخصني، أنا الملحق بجهاز .D.G.S.N، وخاصة على المستوى المهني، فقد توقفت في مكاني دون تقدم، بحيث تقدمت لاجتياز امتحان عميد في الأمن، وقد كنت ضمن الأوائل في الكتابي لكنني كنت أرسب في الشفوي. وقد علمت، فيما بعد بملاحظة يتضمنها ملفي تقول : «غير مخلص للملكية». وبالفعل فإنني لم أخف انتقاداتي ودون شك، أثير بعض المشاجرة ... وبذلك حكم علي أن أبقى دوما برتبة ضابط أمن، بينما عدد كبير من زملائي تمكنوا من مراتب أعلى. وأكثر من ذلك أن ذوي الأصول الوجدية أعطيت لهم فرص كثيرة بالمصالح، أما أنا، هذا القادم من آسفي، فكان حَظِّي عكس ذلك صحبة أحد الرفاق من القنيطرة وآخر من الصويرة. نحن جميعا لم يبتسم لنا الحظ لإننا لم ننتم جماعة الوجديين.

والأكثر من هذا وذاك أنني مللت من التعذيبات والاختطافات التي تثقل كاهل الدولة، الحاصلة في سنوات الرصاص، لم أعد أتحملها لقد سبق لي أن قدمت طلباً لأعين بإحدى الدوائر الأمنية، كنت جاهزا

لاصير رجل أمن بسيط، رئيس دائرة بعيدة عن مكافحة قلب النظام وتعسفاته، لكن العشعاشي رفض الموافقة على طلبي. في سنة 1977، قدمت استقالتي للمخابرات السرية، فقد كنت دائما أتوفر على شهادة C.A.P. وحرفة الموازين، فقبعت هناك مندمجا في مقاولة العائلة إلى بداية تقاعدي في سنة 2000.

* * *

إذا كنت لا أنتمي إلى قسم مكافحة قلب النظام فإنني بقيت أتابع، بفضول تطور الوضعية الداخلية للمملكة. يخبرني بعض زملائي المقربين بما تقوم به المصالح، وكنت ألاحظ أن المصادر القديمة صاروا رجال سياسة من الطراز الأول : وزراء، سفراء، مدراء مكاتب إلخ...

بدأ عهد إدريس البصري في 1979، والذي سيدوم عشرين سنة إضافة إلى كونه وزيراً للداخلية. وهو كأوفقير ارتكز على نجاحات «الكاب 1» لصنع مكانته المهنية، في حين أن البصري استغل جهاز D.S.T. ليصعد بكل قوة.

كان الرجل يشتغل وقت اشتغال «الكاب 1». في قسم الاستخبارات العامة بالرباط إني أعرف وضعيته. ولد سنة 1938 بسطات، وهو من أصل متواضع. كان أبوه حارسا بالسجن المحلي. وفي الأمن الوطني كان إدريس البصري يرتب الملفات بالأرشيف في الأمن العمومي، وقد يكتب بعض التقارير، ثم مرّ إلى رتبة كومسير في الأخير. وفي سنة 1961، صار من رجال الاستخبارات العامة بالرباط، بحيث كان يتعامل مع «الكاب 1». وقد ساهم في وضع فخاخ لبعض قياديي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وتنظيم حملات بالحانات وجر المعنيين إلى الشقق المصيدة.

سنتان بعد ذلك، أي في سنة 1963، سنة حصول المؤامرة، ساهم في الاستنطاقات التي مست مناضلي اليسار قبل تنقيلهم إلى دار

المقري (P.F.2)، إلى سنة 1970، حيث تقلب في مختلف مصالح R.G. ثم عين رئيس المصلحة الجهوية للتوثيق والتحقيق بالرباط. كان يتعاون دوما مع «الكاب 1» بتنفيذه حرفياً لأوامر العشماشي ويقدم لنا بعض الخدمات في قسم مكافحة قلب النظام. إنه موظف لا يمتلك مميزات كبيرة، كما هو حال وجود الآلاف من أمثاله بالأمن الوطني. كان يشعر أنه سيمضي حياته كلها في الظل. لكن هذا الرجل الأمني العادي كان قد راكم معلومات دقيقة عن رجال السياسة، ويمتلك معرفة كبيرة بأوكار الدعارة والمعارضة.

في بداية سنوات السبعينات كان على معرفة بالدكتور محمد بنهيمة، فهذا الأخير الذي كان وزيرا للتربية قبل أن يعين وزيرا للداخلية. في نفس الوقت كان عبد الله بن هيمة أخ الوزير وإطار بالمكتب الشريف للفوسفاط تزوج من شابة من عائلة البصري، وهكذا نادى محمد بنهيمة على إدريس البصري ليعمل إلى جانبه إن وزير الداخلية الجديد لم يكن في مستوى المهمة التي كلف بها. وكان هو في حاجة إلى ان يظل إلى جانبه رجل أمن قادر على متابعة القضايا الجارية، ولكن أيضا القضايا الملتبسة في وزارة الداخلية.

وفجأة صنع البصري مكانته في واضحة النهار، بحيث خرج بسرعة كبيرة من العتمة وحرق المراحل ليصل إلى القمم. فمن عضو بديوان الوزير إلى مدير للشؤون العامة، ثم مساعد كاتب الدولة في الداخلية، فكاتب دولة ليصير وزيرا سنة 1979. وجلب كثيرا من زملائه القدامى من R.G.، ومعظمهم من سطات، ليعملوا إلى جانبه. وهكذا بدأت تتشكل جبهة سطاتية في جهاز D.S.T. إنه جهاز ناجع في يد رجل واحد. وبواسطة عمله الذؤوب وقدراته الواقعية صار الرجل الذي لا يقهر في وزارة الداخلية وهو ما كانت تردده المعارضة.

وحتى يضمن هيمنته على مجموع النسف القمعي وميكانيزم المراقبة، فإنه وضع رجالاً تابعين له مباشرة في مجموع المناصب الحساسة، وفي مجموع التراب الوطني، مع استثناء محمد العشعاشي كل مدراء أقسام .D.S.T كانوا مخلصين لإدريس البصري. ومن بين الأوفياء له نجد عمال المناطق والقواد والكتاب العامون بالأقاليم. كما أنه يوجد بالولايات والعمالات رجال إدريس البصري الذين يعينون بظهير شريف، وكانت سلطهم واسعة. ونفس الشيء مع البرلمانيين المنتخبين، بالنسبة للكثيرين منهم، بالتزوير الانتخابي المتواصل. ولأن العمال محميون بظهير ملكي صاروا وزراء أقاليم فوق العادة لا يراقبهم إلا البصري.

وحتى يسود على كل شيء رفض تعيين أي مدير لجهاز .D.S.T فهو من كان يشرف عليه شخصيا بغية المراقبة والسهر لمعرفة ما يجري من أمور في المملكة. وإن كان لم يتردد في تعيين مدراء مساعدين مختارين بعناية.

ثلاثة رجال شغلوا الوظيفة هم جميل الحسين الرئيس السابق للفرقة الأمنية بالدار البيضاء، والذي غادر جهاز .D.S.T نهائيا ليلتحق بأحمد الدليمي بالمصادر الخاصة لجهة الجنوب قبل أن يتوفى سنة 1982 بشكل مفاجئ، ثم محمد بن عبد الله الرئيس السابق لقسم الشؤون العامة «بالكاب 1»، وأخيرا علابوش الرئيس السابق للفرقة الأمنية لبني ملال خلال سنوات« الكاب 1 ».

* * *

حصلت عدة تغيرات على مستوى الساحة السياسية المغربية بين 1979 و1999، وتعالت المطالبة بالمبادرات، وأولها هو صعود المد الإسلامي. فمنذ عشرين سنة كان يجد المشردون ملجأً في الدين وهم كالتعساء يمضون يومهم بالمسجد يصلون لله ويطلبونه حتى يجدوا

حلا مُسدمهم. كان الرؤساء الإسلاميون يعرفون كيف يوظفون ذلك، بتوزيع المواد الغذائية خلال شهر رمضان وأضحيات العيد والأدوية على المرضى. وبعد النجاح الذي أحرزت عليه الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر، في بداية سنوات التسعينات، أنذر النظام وصرنا نعد نشاهد الأمير ولي العهد يوزع الوجبات على المعوزين. فهذه الأمور التي نشاهدها على شاشة التلفار خصصت للأمير محمد السادس الذي لقب «بملك الفقراء» كما أن الإسلاميين بدأوا يتنظمون سياسيا منذ 1968. لم يشكلوا ساعتها أي مشكل «للكاب1»، لكن هذه الأخيرة توقعت أنهم سيلعبون دورا مهما في المستقبل. إننا نعتقد بأن الشباب العارض عن الأحزاب سيذهب للبحث عن طريق آخر. لهذا فإن المصالح تهتم بالرؤساء والزعماء أكثر، وبالتحديد أولئك الذين كانوا وراء تشكلها في المغرب مثل الشبيبة الإسلامية. وبسرعة فائقة تمكنت المخابرات السرية من التحكم في مصادر داخل رحمها، كلهم من رجال التعليم وأطر التربية الوطنية. بعد مقتل الزعيم الاشتراكي عمر بن جلون سنة 1975، سقطت شهرة الإسلاميين وتقطعت أوصال توسعهم. ووجب القول بأن رؤساءهم منهم من رمي بالسجن ومنهم من نفي أو دخل في السرية.

بدأ الحديث عن زعيمهم الكبير عبد السلام ياسين بدءاً من سنة 1973؛ لقد أصبح ينتقد العاهل المغربي في المساجد أثناء صلاة الجمعة، بل تمادى في نفذه له ليذهب إلى أبعد من ذلك حينما نشر رسالة يتهم فيها الحاشية وأمير المؤمنين قائلا : «حول الملك يوجد أناس يمنعون عنه رؤية الأشياء. كما يوجد خبراء كافرون لا يمكن لأي مسلم أن يقترب منهم. فهؤلاء هم رفقاء ومستشاروا الملك، ويجب إبعادهم كلهم. فسلامة الملك لا تتحقق إلا برجال افاضل...». كلفت هذه الرسالة المفتوحة صاحبها احتجازا عقلياً ثم إقامة جبرية بإقامته بسلا.

الآن يشتكي كثير من الملتحين من سلوك الشيخ عبدالسلام ياسين وحركة جماعة العدل والإحسان. فالرجل لم يفقد سلاحه بعد ، أرسل رسالة عبر شبكة الأنترنيت، مفتوحة، إلى الملك الشاب محمد السادس. رفض العاهل الجواب عنها، لكنه عمل على إطلاق سراحه بتخليصه من الإقامة الجبرية.

وحتى نكمل الحكي عن هؤلاء نقول بأن حزب العدالة والتنمية الذي «ظهر» بمباركة إدريس البصري، وهو وزير الداخلية سنة 1998، تزعمه الدكتور عبد الكريم الخطيب المعروف جدا في المخابرات السرية منذ بداية إستقلال المغرب سنة 1956. هناك ثلاثة مصادر انتخبت على الأقل لتشغل مناصب بالمكتب السياسي للحزب، يحملون بكل إخلاص التقارير الشفوية إلى المخابرات عن كل إجراءات يمكن اتخاذها، بحيث بدونها يمكن أن تجرفهم موجة متطرفة.

فالتاكتيك الذي طوره إدريس البصري قد شجع وسمح بانشقاقات داخل الأحزاب وخلق أخرى وذلك بغية إظهار «التعددية» في الرأي والتحزب. إن العمل الذي أولجه البصري لم يكن يهدف إلا لخلق القلاقل داخل عائلة المعارضة، وتحييد الأحزاب الكبرى كالاتحاد الوطني للقوات الشعبية وحزب الاستقلال، وتقليص المقلقة منها كما هو حال منظمة العمل الديمقراطي الشعبي. وذلك بوضع اليد على مفتاح يسمح بظهور تشكيلات حزبية تتحرك كلها داخل الرقعة السياسية. فهذه الأحزاب هي كلها في طور الخسران لأن محركها إدريس البصري لم يعد في السلطة. فهم الآن كاليتامى، غير قادرة على طرح ما لديها، وذلك ما يعني أنها قد حكم عليها بالاختفاء مستقبلا.

تغيرت الأزمنة، والنظام الآن أكثر انفتاحا يمكن أن نتابع العمل الذي قام به وزير الداخلية إدريس البصري، والذي نجح في بعض

وجوهه مادامت الأحزاب الكبرى بالأمس، تلك التي كانت تتهم الإدارة، ها هي اليوم صامتة، ضعيفة ومرصودة. والمعارضة التي كانت بالأمس ضد السلطة تُقاد اليوم ضد الأحزاب نفسها التي وضعت كقنابل داخلها على نطاق واسع. والقضاء على هذه المعارضة اليوم تبدو مهمة خطيرة بالنسبة للنظام. فهذه الأحزاب هي في الأرض والنظام في حاجة إليها ليركز سلطته على البلد وإلا عليه أن يبحث عن أحزاب جديدة كليا، بكر في تجاربها السياسية ولكن أيضا محفوفة بالخطر، لأنها تخلو من سياسة حقيقية وقاعدة جماهيرية.

... والآن الذاكرة

مع نهاية حكم الحسن الثاني سمح تلطيف أو لين النظام ببروز جو جديد في البلاد. بدأ السكان يتلقون أخباراً حرة. فإلى حدود سنوات التسعينات كان جميع صحافيو الإعلام المكتوب وبالإذاعة والتلفزة محددين ومراقبين، علما بأن هناك عاملين من الداخلية يعملان ملحقين لِكَمّ حرية التعبير بالإذاعة والتلفزة المغربية.

وهناك أيضا ظاهرة الصحون المقعرة التي حولت الأشياء فجأة. باستطاعة المغاربة، بفضلها، تلقي الآتي من الخارج. وهكذا فقد النظام قبضته الحديدية. ثم إن إنشاء قناة ثانية وظهور صحافة محلية مستغلة إلى هذا الحد أو داك المناخ، بحيث ساهمت في فك الغل الذي كان يكبل نشر الأخبار الراهنة. وكل هذه الأمور لم تعمل سوى على التوسيع والإفاضة في الأمور.

يقرأ قراء المملكة اليوم جرائد يعمل أصحابها على ركوب المخاطر والالتزام بعمل جدي والاشتغال على ما كان في خانة الطابوهات. هؤلاء المحررون يشكلون جيلا جديدا، جنسا أصيلا عندنا، يحد من شيوخ الأمس، حيث كان جزء كبير من هولاء الشيوخ يتعاون مع جميع أنواع الأمن بقلب مفتوح. فالصحافيون الفاشلون ذوي الشعر الأبيض، والبعض منهم تحديداً، مازالوا مستمرين، لتعودهم على ذلك، على التعاون مع المصالح، وهم الآن على أهبة لأخذ تقاعدهم وسيجد جهاز

D.S.T. صعوبة في توظيف مصادر جديدة. إن الصحافيين الجدد هم نبع آخر ولا تهمهم غير استقلاليتهم.

* * *

ضمن هذا المناخ المطبوع بالحرية عاد كثير من المنفيين إلى الوطن، بعد مفاوضات بقيادة وزير الداخلية وجهاز .D.S.T، عاد هولاء واستقبلوا بحفاوة وفرح. فهل هذا الرجوع يرمز إلى نهاية مرحلة قاتمة ؟

في 11 يونيو 1995، عاد الفقيه البصري عودة المنتصر، وهو الذي نظم لعقود معارضة عنيفة ضد العرش. ومع ذلك، وما وراء الارتياح اللحظي. فإن اصدقاءه السياسيين لم ينسوا بأنه كان ذات يوم يرسل، بغير ضرورة، بعض الشباب للموت للقيام بمؤامرات لا أمل فيها. يحظى الفقيه البصري باحترام لكونه مقاوم قديم، لكنه أبعد بانتباه كبير من طرف رفاقه عن كل مسؤولية سياسية داخل الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية. فهو الآن يقيم بالدار البيضاء ولا يعاني أية مشاكل مادية، لكن هل يتركه وعيه في سلام ؟ ألا يخشى انتقام أحد الناجين ممن كان يرسلهم قديما ؟

في سنة 1998 عاد أحد المغتربين إلى المغرب. إنه الحسين الصغير. يا لها من ذكريات لي مع هذا الرجل ! أربعون سنة مضت، وهاهو الكومسير المهووس بكرة القدم، الذي عمل على توظيفي بالمخابرات السرية، ذلك القدر الوحيد، ونقلني إلى الدار البيضاء لإدماجي بفريق لكرة القدم كان قد أسسه تحت إسم .A.S.P.C.

يعتبر الحسين الصغير من بين المسؤولين في الأمن السياسي بعد الاستقلال. فقد رأى أن وجهته المهنية قد تتخذ لونا آخر بعد تأسيس « الكاب 1 ». لم ينتق من قبل الخبراء الأمريكيين ليعمل بالمخابرات السرية الجديدة. ألحق بالأمن الجهوي للدار البيضاء ولم يستسغ وجود مخافر مظلمة بدائرة الحي وخشي من نفوذ المصالح الخاصة في المرحلة ...

نوقشت حالة الحسين الصغير مطولا خلال اجتماع ترأسه الدليمي. قرر روساء الأقسام والفرق الأمنية قبول الصغير بأحد المصالح «بالكاب 1»، وأن يُوضع رهن إشارته سكن بالعمارة الموجودة أمام «الكاب 1» بزنقة مولاي إدريس حي حسان بالرباط.

أرسلت إدارة القسم المالي والإداري تلكساً إلى رئيس الأمن الجهوي بالدار البيضاء حتى يلتحق الحسين الصغير بمنصبه الجديد بالرباط خلال ثمانية وأربعين ساعة. لكن الرسالة وصلت متأخرة. المعنى غادر البلاد. لقد قرر مغادرة المغرب إلى فرنسا في امن وأمان. ذهب في سيارة صحبة زوجته واطفاله مرورا بإسبانيا عن طريق باب سبتة. وبفرنسا امتهن الرصاصة حرفته القديمة في ايام الاستعمار الفرنسي التي سمحت له بسرعة كبيرة من توظيف بعض الصناع التقليديين. وكان زبناؤه من المغاربة ومن بينهم عدد من المعارضين المنفيين. كانوا يقدمون له ثمنا أعلى من المطلوب. فهم يرون فيه رجلا شجاعا مقاوما متابعا من طرف رجال أوفقير!

خلال مقامه الطويل، خمسة وثلاثون سنة، لم يصرح الرجل بأي شيء، لأنه ظل مختفيا حول وضعية المغرب. يبلغ من العمر حاليا أكثر من سبعين سنة، وهو يعيش في سرية ممكنة متنقلا بين مراكش والدار البيضاء.

* * *

الآن يتفحص المغرب قدره. الشعب يريد أن يَعرف الحقيقة. هل يمكننا فتح ملفات سنوات الرصاص؟ هل يمكننا القيام بتحقيقات جادة؟ هل يمكن رد الاعتبار للضحايا؟ يطالب الرأي العام بالمحاسبات. يريد أن يعرف كيف حصل اختفاء الكثير من الأبرياء. قدرنا المعدل السنوي في «الكاب 1» للاختطافات في ثلاثمائة خلال الفترة الفاصلة بين 1960 و1973، هذا دون احتساب آلاف المختطفين في الأحداث المتزامنة مع مختلف المؤامرات في هذه الحقبة.

ما وراء ما للذاكرة يطالب الشعب بإلحاح بمعرفةالحقيقة. فالجرائد تنشر الشهادات تلو الشهادات وأصيبت اللغات بالهذيان، والناجون يتذكرون ويبحثون عن المجرمين. تروج أسماء دون أن نعرف من الفاعل، والمسؤول عن ماذا، وأين حصل ذلك ؟ يتمنى هؤلاء الافلات من ذلك الماضي الذي يشدهم إليه ويطاردهم، وأن يعاملوا بضبابية، انخرطت الجمعيات المغربية المدافعة عن حقوق الإنسان في هذه المعركة. وهي نسبيا معركة جديدة في المناخ الإيديولوجي للمملكة، ومن بين هذه الجمعيات نجد العصبة المغربية لحقوق الإنسان، الجمعية الأولى، التي ظهرت إلى الوجود في سنة 1972، ومع ذلك كان ينبغي الانتظار سنوات طويلة حتى نسمع صوتها.

عقدان زمنيان مرا تقريبا، أي ابتداء من 1990، وفي مواجهة الضغط الدولي، كان الحسن الثاني في حاجة كبيرة إلى تلميع صورة المملكة، بحيث أخذ المبادرة بخلقه للمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان الذي تراسه قاضٍ من المحكمة العليا، بحيث كلف المجلس بالبحث وتعميق التحقيقات في الاختطافات والسلوكات غير القانونية. قدم تقريره الأول في سنة 1999 لكن الحصيلة كانت غامضة من جهة الكشف عن الفاعلين ولم يعط أية تدقيقات حول مصير المختفين. وحاليا عوضت هذه الهيئة رسميا العسكريين الذين اعتقلوا بتازمامارت، ما بين 1972 و1992، أما الباقي فقد طلب منهم أو من عائلاتهم قبول تعويض نقدي – لم يحدد بعد – مع إرادة قلب الصفحة نهائيا ونسيان ما حدث.

أما فيما يخص منتدى الحقيقة والإنصاف فقد انتظم من جانبه، محرزا بعض التقدم بتجمعاته السلمية أمام الأماكن القديمة للتعذيب والتنكيل كتازمامارت بالأطلس الكبير ودرب مولاي الشريف إلخ... يناضل المنتدى من أجل تشكيل لجنة مستقلة لتسليط الأضواء على سنوات الرصاص، وهي بالنسبة له هي الطريقة الوحيدة لإخراج ما خفي

وبالتالي تصالح الدولة مع ماضيها. فالمنتدى لا يلح على تقديم المسؤولين للعدالة وسيتحضر تجارب الشيلي والأرجنتين الذين بينوا عن حدود هذه التجربة بمحاكمة المسؤولين، والتي لم تقدم أية نتيجة. فعوض محاكمتهم كمجرمين يطالب المنتدى بعقوبات مدنية ستطبق على محرمي الأمس وبالأخص على من يشغلون وظائف هامة حالياً.

في نهاية 1999 نشر المنتدى تقريراً ضد النسيان وهو عبارة عن شهادات جماعية لضحايا القمع أو لعائلاتهم. فهذه الوثيقة تسمح للقارئ باكتشاف جزء من تاريخ المغرب، حيث طرح المشكل بحرية وصراحة. فقد بينت الوثيقة بأن مصالح الشرطة السرية التي لا وجود لها قانونيا كانت تقوم بالاختطافات دون تقديم الضحايا للعدالة، أكثر من رميهم في هذه النقط الثابتة ونسيانهم فيها. فالمختطف لا يعلم المكان الموجود فيه ولا المدة التي سيقضيها هناك، ولا تاريخ إطلاق سراحه، ولا علاقة له بعائلته أو ذويه. أليس من الأفضل أن يطالب المختطف بالموت أحسن من بقائه هناك، لأن مثل هذه الأسئلة تظل موضوع تفكيره الدائم. بين التعلق بالحياة وإرادة وضع حد لهذا العذاب يشعر المختطف بحالة نفسية يصعب تفسيرها. فهو قابع في الظلام مغمض العينين يصارع الخوف والضجر والحيرة والفراغ. ثم هناك غياب تام للتغذية والنظافة والتطبيب والعزلة التامة عن العالم الخارجي، فهو بدون جرائد ولا مذياع ولا تلفاز، ومحروم من زيارة عائلته ومن المراسلات توضح هذه الأمور كلها أن المسؤولين يجعلون من الاختطاف موتا بطيئاً بقسوة خالصة.

عرفت الدولة رسميا وجود هذه الممارسة غير القانونية، لكنها لم تفتح رسميا هذا الملف على نطاق واسع لسبب بسيط أن المسوولين عن هذه الجرائم ما يزالون يحتلون مناصب مهمة في الجهاز الدولتي، وأن عددا كبيرا منهم وعدوا بمناصب عليا في كل مرة يبرهنون فيها عن نجاعتهم، وبلغة أخرى عن القمع الأعمى».

كانت الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، فيما سبق، هي المنظمة التي تصارع من أجل ذلك، والتي تأسست سنة 1979، وكان هدفها الأساسي، منذ عشرين سنة خلت هو إزعاج الإدارة ودمقرطة النظام. كانت السنوات الأولى صعبة للغاية، ويتضح ذلك من خلال القمع ومنْع عقد المؤتمرات وتوقيف الأعضاء، وهي كلها وسائل استعملت لتكميمها.

تصارع الجمعية المغربية لحقوق الإنسان (A.M.D.H) بشكل مفتوح للحصول على معلومات دقيقة حول ما تم في الماضي، ومن أجل محاكمة المسؤولين عن ذلك. تنظم دوريا مظاهرات في الشارع العام، أمام وزارة العدل أو البرلمان، والتي تنتهي أحياناً بمشادات مع قوات حفظ النظام.

إن رئيسها هو عبد الرحمان بنعمرو، الرجل المستميت في دفاعه عن حقوق الإنسان، الذي كان الأكثر حماسة في حبه لابن بركة. بعد أن انخرط في صفوف «الاستقلال حيث تبع خطى مرشده السياسي إلى الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وهو محام شاب دافع عن المعارضين المتهمين في قضايا ملفقة من قبل النظام ما بين 1963 و1973. ثم إنه التحق بالاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية منذ تأسيسه وانتخب إلى الجبهة المركزية في سنة 1978. في هذه الفترة لم يحتمل عبد الرحيم بوعبيد وجوده، فقد كان عبد الرحمن بنعمرو يشعر بطعم مر فيما يتعلق بالديموقراطية الداخلية، وخاصة من جانب قيادات الحزب. أزعج البارونات الذين ظلوا يحلمون بالتربع على عرش السلطة في الحركة.

لم يتردد محمد العشعاشي ليمد يد المساعدة لعبد الرحيم بوعبيد للتخلص من هذا المزعج... وذلك ليرضي واحداً من بين أهم المصادر المخلصة للمخابرات السرية. تحرك رجال الأمن من قسم محاربة قلب النظام، في الظلام، لخلق سلسلة من المشاكل المهنية والسياسية للمعني.

وفي سنة 1982 طرد بنعمرو من اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وفي السنة الموالية حكمت محكمة الرباط على المتهم بثلاث سنوات حبساً بعد المواجهات بين الموالين له ورجال عبد الرحيم بوعبيد المسنودين من طرف رجال أمن المخابرات السرية.

في سنة 1993 عين بنعمرو عضواً بالكتابة الوطنية لحزب الطليعة الاشتراكي الديموقراطي، ثم رئيسا للجمعية المغربية لحقوق الإنسان الذي كان أحد مؤسسيها منذ اثني عشر سنة خلت.

في بداية هذا القرن الواحد والعشرين اتضحت استراتيجية الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، بحيث قدرت أن احتمال أي تعويض لفائدة الضحايا لا يمكن أن يتم بعيدا عن محاكمة المسؤولين. وبالتالي طالبت بفتح تحقيق قضائي واسع. ومادام أن مؤسسات البلاد غير مستعدة للتعاون فقد عملت على نشر أسماء من بينها حسني بن سليمان ولعنيگري وعرشان، وهكذا احتوت اللائحة على الحقيقي وغير الدقيق، التقريبي وغيره. لكن من هؤلاء المعلن عن أسمائهم ؟ إن الجنرال حسني بنسليمان رئيس الدرك الملكي، والجنرال احميدو لعنيگري مدير جهاز D.S.T. ليست لهما أية مسؤولية فيما يخص الجرائم المرتكبة خلال السنوات المهولة. ولكنهما بالمقابل كانا على علم بما يجري لكنهما صمتا عن فضح ذلك.

أما محمود عرشان فقد كان بالفعل من بين القائمين على القمع من مستوى أول. فهو الآن رئيس حزب الحركة الديمقراطية الاجتماعية، وكذلك رجل سياسي مهم منذ انتخابات 1997. خلال برنامج تلفزيوني على القناة الثانية (2M) المغربية أخرج عرشان، بكل اعتزاز، بطاقة مقاوم قديم... هل عرشان مقاوم ؟ بالنسبة للعديد من رجال الأمن الذين عاشروه فإن محمود عرشان جانب الجقيقة، فهو كان في مراكش منذ

السنوات الأولى للاستقلال يعمل كرجل أمن. إن الأمر يتعلق بأضحوكة لا أقل ولا أكثر. عمل الرجل في الأمن الوطني كاهية ضابط الشرطة (O.P.A) بمراكش في سنتي 1956 و1957 وسنوات أخرى بعد ذلك، كان على علم بالمحق الذي طال العديد من المناضلين من الحزب الشوري والاستقلال من قبل ملشيات حزب الاستقلال، لكنه على ما يظهر لم يتدخل لإيقاف ذلك، بل كان يُخْبَرُ بها. إنها مرحلة حزينة أو كما يقال: «أرّ بيبي أرّ المشوي»، المثل الذي يعرفه المراكشيون جيدا في سنة (1956 - 1957).

خلال الستينات أشرف عرشان مباشرة على حراسة دار المقري (P.F.2)، وخلال هذه الفترة كذلك ارتكب رجاله، الذين يعملون بأمره، عدة انتهاكات جماعية في حق المعتقلين الشباب.

ثم بعد ذلك انتقل إلى الدار البيضاء يمارس كفاءاته في الشرطة القضائية. وفي السبعينات كان رئيس فرقة أمنية بالدائرة الأمنية بدرب مولاي الشريف، ذلك المكان الذي كان يمارس فيه التعذيب بشكل معروف وعاد. عشرات المعارضين عذبوا هناك، وبعضهم أصيب بالحمق. وفي حالة وقوع وفاة يحضر طبيب ليكتب على وجه شهادة بدون خجل انه قد توفي «وفاة طبيعية» أو سكتة قلبية... بينما آثار التعذيب بادية على الجثة. في هذا القسم اعتبر المساجين كمن يؤدون التحية، حتى ولو كان اعتقالهم يذهب إلى ما وراء المحتمل. وبما انهم مشتبه فيهم فهم لا يختفون دون ترك آثار واحتجازهم يقيد مرقما بصفحات ويسجل لدى وكيل الملك بمحكمة الدار البيضاء. لا يمكن رمي الجثة بأي مكان كان. توضع الجثث بمشرحة عين الشق La morgue قبل أن تدفن بإحدى المقابر. تتملك الإدارة بعض الاحترام. دائما هناك عدة مجهولين، وعرشان هو واحد من بين هؤلاء الجلادين الذين ساهموا في ذلك.

اتهم إذن ثلاثة رجال مازالوا في الواجهة – في جهاز D.S.T. والدرك الملكي والسياسة – أرادت الجمعية المغربية لحقوق الإنسان أن تزعزع الجمود، لكنها في حاجة، خلال هذه الساعة، إلى ملفات مرتبطة جيدا، فهي ركبت المخاطر دون أن تطور ذلك بشكل معلل. فالخطر سيقوى من أعداء التغيير. لكن ذلك يبقى شيئا مهما للمستقبل مادامت الانطلاقة تنتمي للمعنى الواقعي للتاريخ، وتروح وتعود حول الانفتاح وليس في المعنى المضاد.

تتكرر كثير من الأسماء، بعضها يتكرر في الصحافة والكتب، ويضم الصحيح والخاطئ. قدور اليوسفي رئيس المصلحة الجهوية للشرطة القضائية بالدار البيضاء في الستينات، السبعينات عمل بقسم الشرطة القضائية بدرب مولاي الشريف، لكن لا علاقة له بالاختطافات والاختفاءات.

هابي الطيب رئيس الأمن الجهوي للرباط في سنوات الستينات لم يتورط لا في القتل ولا التعذيب، ولم يشتغل يوما «بالكاب 1» رغم ما قيل وكتب عنه. كان قريبا من أوفقير غادر الأمن بعد موت الجنرال.

طلاب قدامى في الستينات يحكون تلقائيا بأنهم احتجزوا بدار المقري وعذبوا من طرف الجنرال أوفقير شخصيا. بالنسبة للبعض يتعلق الأمر بمخاتل حقيقي ! أعرف مخبرين من «بالكاب 1» اعتقلوا زمن القمع في سنة 1963 وذلك دفعاً للشبهة التي قد يعتقدها رفاقهم. واحد من بين هؤلاء هو الآن يقيم بفرنسا اعتقل أربعة أيام فقط بالرباط، حيث وقع إدريس البصري على تذكرته، وهو في الآن نفسه مساعد رئيس المصلحة الجهوية للتوثيق العام وتنظيم القوانين. خلال اعتقاله، كان الشاب يستفيد من خدمات عديدة كالأكل الجيد والنوم المريح بزنزانة مخصصة له، فلم يخضع لا للتعذيب ولا للاستنطاق. ولم يسبق له أن

التقى أوفقير. وكان يعمل مخبر لصالح محمد المسناوي وهو الذي نظر في وضعيته قبل إطلاق سراحه. وكان هذا يكفي للشاب ليصير بطلا. وخلال ما حدث للمهدي بن بركة بين 27 مارس إلى 29 أكتوبر 1965، فقد تعاون كثيراً مع «الكاب 1» بتقديمه لمعلومات دقيقة عن تحركات المهدي ولقاءاته التي كان ينظمها الزعيم المغربي الكبير.

* * *

إذا أرادوا أن يفجروا الحقيقة والحصول على شهادات من الدرجة الأولى، على المناضلين الحقيقيين أن ينخرطوا في الحركة وأن يلتقوا برجال الأمن القدامى الذين اشتغلوا «بالكاب 1»، خاصة أولئك الذين مارسوا مهنتهم هناك ما بين 1960 و1973. واللائحة تضم الأقسام والمصالح التالية :

— قسم مكافحة قلب النظام
— قسم العمليات التقنية
— الفرق الأمنية الخاصة
— الفرق الأمنية للدار البيضاء وفاس ووجدة وتطوان ومراكش وبني ملال.
— النقط الثابتة
— المصلحة الجهوية للشرطة القضائية للدار البيضاء.

فأسرار هؤلاء المتقاعدون من الأمن الوطني تسمح للجمعيات التي تدافع عن حقوق الإنسان من الارتكاز على أحداث معترف بها ومؤكدة من قبل من عاشوها، وبالتالي تتحدد مسؤولية كل واحد.

سيردون علي، من دون شك، بعض ممن تورطوا في القمع، وسيرفضون استرجاع ذكرياتهم. لكنني أعرف، مع ذلك، أن الكثيرين منهم على استعداد للتحدث في الموضوع.

يوم 29 أكتوبر 2000، هو يوم الذكرى الخامسة والثلاثون لاختطاف المهدي بن بركة، المعروف كيوم «الاختفاء» من طرف المنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان. في هذا اليوم نظمت تظاهرة كبيرة دعت إليها الجمعية المغربية لحقوق الإنسان أمام وزارة العدل بالرباط. وكان الهدف من هذا التجمع هو «المطالبة بالحقيقة ومتابعة الأشخاص المتورطين في الاختفاء القسري».

منع المتظاهرون من قبل السلطات الإقليمية للعاصمة. لكن منذ هذا الوقت لا أحد اعترض سبيل المناضلين للنزول إلى الشارع. عدة وسائل لا يستهان بها أمنياً وضعت بعين المكان، منها قوات التدخل السريع والقوات المساعدة، تنتظرهم، وعلى رأس هؤلاء المتظاهرين عبد الرحمن بنعمرو ومساعديه. لكن رؤساء الأمن سارعوا إلى التفاوض مع المسؤولين الحقوقيين حتى يتفرق هذا التجمع غير القانوني. «كيف يحدث أن تكون تظاهرة سلمية مرعبة ؟ تساءل بنعمرو. رفعت صور الضحايا وشعارات معبرة» : «سواء اليوم أو غدا، الحقيقة ولابدّ» «كما طرحت أسئلة دقيقة : «أين المختفون ؟ أين الأموات» ؟

جاءت النساء يرتدين الأبيض كما لو كن حازنات عن قريب، ويطالبن بالرفاة على الأقل أو بقبر... «هؤلاء أصابهم الجنون. قال أحد رجال الأمن بشكل حازم».

وكما هي العادة في هذا البلد ينبغي أن تكون مجنونا لتطالب فقط بالعدالة. لكن خوف النظام ليس هو الإعلان عن الممارسات الشنيعة للماضي أكثر من أن تسمع الأصوات وهي تردد أسماء مسؤولين أقوياء في الإدارة... لقد شاهدنا بوضوح الاتهامات : «عار أن يكون عرشان بالبرلمان !»

كان رجال الفرق المتحركة للتدخل السريع على أعصابهم يحاولون دفع الموجة البشرية نحو محطة البريد بالعاصمة. كانت الساعة تشير إلى الحادية عشر والنصف. وهذا يوم جُمُعَة يذهب فيه المصلون إلى الصلاة، ومنهم الموظفون الذين يغادرون مكاتبهم فسيجدون أمامهم أهم برهان عرفه المغرب في السنوات الأخيرة. وأخيرا، ومخافة تطور الأحداث إلى ما لا تُحمد عقباه أعطى بنعمرو إشارة تفريق المتظاهرين.

يوم السبت 9 دجنبر 2000، أي بعد شهرين، نظمت الجمعية المغربية تظاهرة جديدة بنفس المكان. لكن هذه المرة ساد العنف، بحيث جرح عشرات من المتظاهرين من قبل قوات حفظ النظام، وتم توقيف عدد منهم، ومن بينهم عبد الرحمن بنعمرو. أطلق سراحه وكيل الملك، بينما قدم الآخرون لمحكمة بالرباط. المنع والاتهام لا يغير أي شيء. كما ان وقفات أخرى نظمت، ورفعت صور المختطفين وأسماء المتهمين انتشرت من جديد وستنشر أسماء أخرى.

الرويسي، بلعيد، المانوزي وغيرهم

شاعت اليوم كثيراً، بعض حالات الاختفاء، وهي تسمح بفهم كيف يمكن تقديم الشهادات، وكيف يمكن للجمعيات المدافعة عن حقوق الإنسان أن تستعملها بغية أن تقوي من كل ملف على حدة. فهذه الأسماء الظاهرة، والمسارات الإنسانية التي أعيد رسمها يمكنها أن تخرج الضحايا من جهل الإحصائيات. وأن نعطي صلابة دراماتيكية إلى ما يمكن أن يكون لائحة طويلة لمفصولي الروح عن الجسد.

عبد الحق الرويسي اختفى سنة 1964

مستخدم في البنك، كان مناضلا نشيطا بنقابة الاتحاد المغربي للشغل. ورغم بعض محاولات التهديد التي قام بها رجال الأمن ظل منخرطاً كليا، في الإضرابات التي عرفها القطاع البنكي في 1961. وفي العام الموالي انخرط كذلك في مقاطعة الاستفتاء على الدستور المقترح من طرف النظام. متورط في نقد الموقف المغربي خلال حرب الجزائر. كان يعلن عن آرائه أمام الجميع، علانية دون أن يخشى أحدا... محاولات كثيرة. استدعي مرات عديدة من قبل السلطات وطلب منه أن يكف عن ذلك.

يوم 4 أكتوبر 1964، ذهب للاحتفال بعيده الخامس والعشرين، لكن عائلته تلقت خبر اختفائه بعد أيام قليلة فطالبت بفتح تحقيق في القضية فوراً.

فتشت إقامة الشاب على نطاق واسع ؛ الملابس، الوثائق، وجدت أشياء متناثرة هنا وهناك. دخل في شجار بدون شك مع رجال الأمن، وذلك ما يجعل آثار الدماء على الأرض بعين المكان بادية للعيان.

لم تخبر أبداً عائلة الرويسي بأي بحث يهم المختطف. وضعت القضية جانبا دون بحث والمحكمة ظلت تحتفظ بما وجدته بمنزله. وبعد ذلك تسربت إشاعات من شخصيات قريبة من السلطة تقول بأن عبد الحق الرويسي غادر المغرب نحو الجزائر، لكن أحد أفراد العائلة سأل هناك في الجزائر فقيل له بأن عبد الحق الرويسي لم يزر أبدا الجزائر. وبعد ذلك انقطعت أخباره إلى حدود 1979، حيث سجن أخُوهُ محمد بدرب مولاي الشريف، وهناك تلقى خبراً من السجناء بأن أخاه عبد الحق قد مرّ من هناك.

سنوات بعد ذلك، قال الناجون من سجن أكدز بأن عبد الحق الرويسي كان محتجزاً معهم لدى الدرك الملكي وسجن معهم بنفس السجن.

في 1992 بعد إطلاق سراح معتقلي تازمامارت قيل بأنه كان بثكنة أهرمومو ثم في مستشفى بن صميم بإقليم أزرو. انطلاقا من هذه المعلومات أعلنت «أمنستي» الدولية عن حملة تحت شعار : لا بد من إنقاذ الرويسي.

في 2002 مازالت العائلة تعتقد أن الرويسي عبد الحق مازال حيًا معتقلا بمكان سري.

إذا أردنا أن نجد حلا لهذا المشكل يلزم القيام ببحث تدقيقي لا يجاد أجوبة على الأسئلة التالية :

1 ـ من هي الفرقة الأمنية التي كانت مكلفة بالبحث في الأسابيع التي سبقت الاختطاف؟

2 – من هم رجال الأمن التابعين للفرقة الأمنية الخاصة بالدار البيضاء الذين راقبوا منزله مدة أسبوع أو أكثر؟ قبل االاختطاف.
3 – من هم رجال الأمن من الكاب 1 الذين كلفوا باختطافه ؟
4 – من اعطاهم الأمر؟
5 – من هم رجال الأمن الذين كلفوا البحث الأولي قبل الاختطاف؟
6 – باي مراكز للاعتقال مر بها الرويسي؟

أخيرا يمكننا أن نشك، بعد مضي ثمانية وثلاثين سنة، في بقاء المعني على قيد الحياة. فلا أحد من هؤلاء الذين اعتقلوا بالأماكن غير القانونية باستطاعته أن يقاوم أكثر من المتوقع. إن الحقيقة تفرض علي أن أقول بأن الحياة بالنقط الثابتة لا تتجاوزخمس أو ست سنوات على الأكثر.

هذا مؤكد، ويجب مع ذلك ملاحظة العناصر تعاني من غموض لاحصر له. من خبر العائلة بالاختطاف ؟ وإلى من ستتوجه هذه العائلة للمطالبة بفتح تحقيق ؟ وهل خضع الدم الموجود على الأرض للتحليل؟ ومن قال بأن الرويسي كان بالجزائر ؟ ومن هم الشهود الذين يؤكدون بأنهم التقوا الشاب بأهرمومو ومستشفى بن صميم ؟ هناك عنصر آخر غامض : لم يطارد عناصر الاتحاد المغربي للشغل إلا استثناء. نقدر بانها لم تشكل خطرا حقيقيا على النظام. فالمناضلون المختطفون من طرف «الكاب1» ليسوا سوى نشطاء من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، الذين يعملون في السرية، ودائما في الغالب الأعم لصالح الفقيه البصري.

هناك نقطة أخرى تثير الانتباه وتتمثل في كون عبد الحق الرويسي اختفى في أكتوبر 1964، وخلال هذه السنة كانت الوضعية هادئة بالمملكة فقد تم القضاء على المؤامرات وتفككت الشبكات التي كان يرأسها الفقيه البصري. فالأحداث الوحيدة المسجلة في هذه الحقبة

هي التعسفات التي قام بها رجال الفرقة الخاصةبالدار البيضاء والتي مست العاهرات. هل كان الرويسي مرتبطا إلى هذا الحد أو ذاك بهذه الاغتصابات كشاهد غير إرادي مثلا ؟

باب الله بلعيد اختفى سنة 1964

التحق بصفوف جيش التحرير المغربي في مرحلة الاستعمار، وذلك ما كلفه اعتقالا في سنة 1953 وحكما بالإعدام صدر عن السلطات الفرنسية. أطلق سراحه مع الاستقلال فظل يناضل من أجل الدمقراطية والعدالة في المملكة. اختطف سنة 1964 صحبة بعض أعضاء جماعة شيخ العرب، ومنذ ذلك الحين لم يظهر له اي اثر.

إنه مع الأسف يمكن التنبؤ بسهولة بمصير باب الله بلعيد، من حيث انه من مجموعة شيخ العرب. بكل تاكيد يمكن ان يكون قد عذب إلى حد الموت. فالجثث كانت توضع في أكياس وترمي في البحر، بعد أن تعلق بها بعض الأثقال.

قاسم الحوس اختفى سنة 1970

سليل عائلة أمانوز، جاء باكرا إلى الدار البيضاء من أجل الشغل فانخرط في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وتقلد مسؤوليات سياسية. في سنة 1970 ، اعتقل صحبة عشرات من رفاقه. نعلم بأنه توفي تحت التعذيب بقسم الشرطة القضائية الأمنية لدرب مولاي الشريف. أعلن عن موته كشيء « طبيعي » والشهادة الطبية المقدمة من طرف الطبيب، فيما بعد، لابد أن تحتل موقعا هاما على المستوى الوزاري. لم تستلم عائلته جثته وابنته تصارع حاليا لمعرفة مصير ابيها المجهول.

الحسين المانوزي اختفى في 1972.

كان معارضا قويا معروفا لمصالح « الكاب 1 ». ولد يوم 11 مارس 1943 بتافراوت من عائلة مشهورة بنضالاتها ضد المستعمر. تابع دراسته

الثانوية بالدار البيضاء وتخصص فيما بعد في الميكانيكا الجوية واشتغل بالخطوط الجوية المغربية، إنه مناضل مقتدر، واحد من بين مؤسسي شبيبة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. شارك بجنون في أنشطة الحزب. وأخيرا تم تسريحه من وظيفته وعمل بشركة صابينا sabena، وهي شركة بلجيكية للطيران المدني وخلال مقامه بأوربا شارك في تأسيس جمعيات العمال المغاربة ببنلوكس Bénélux. عاد إلى المغرب في سنة 1968، لكنه أخذ طريق العودة نحو المنفى مرة أخرى لمدة سنتين بعد حملة اعتقالات في صفوف اليساريين، وفي 17 شتنبر 1971 حكمت محكمة مراكش على الشاب بالإعدام غيابيا بتهمة «المس بأمن الدولة». خمسة عشر يوما فيما بعد عثر الشاب على عمل بمطار بطرابلس عاصمة ليبيا. في 29 أكتوبر 1972 – سبعة سنوات على اختطاف المهدي بن بركة – توجه نحو تونس ليحط الرحال بها، لكنه اختفى. فالصمت الذي يحيط بهذا الاختفاء جعل المقربين منه يعتقدون بأنه صُفِّيَ من طرف المخابرات السرية.

ومع ذلك لنستمع لأحدهم تحدث عنه في 13 يوليوز 1975، وتزامن هذا اليوم مع صدور بلاغ رسمي من طرف السلطات المغربية ينص على أربعة ضباط متهمين بالمشاركة في انقلاب الصخيرات. في واقع الحال، وذلك ما علمنا به فيما بعد، بأن الهاربين كانوا ثمانية. أربعة منهم مدنيين وهم على التوالي كل من الإخوة بوريكات وهم ثلاثة والحسين المانوزي وقد ألقي القبض عليهم جميعا، بما فيهم المانوزي الذي ألقي عليه القبض في يوم 20 يوليوز 1975 بواسطة حاجز من الدرك الملكي قرب الرباط في الطريق المؤدية إلى عين العودة.

وبعد مرور خمسة وعشرين سنة تقريبا، أي في 15 أكتوبر 1999 أعلنت هيئة المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان بأن السلطات المغربية تعترف باعتقال المانوزي. لكن من هي «السلطات المغربية» ؟ إنه لأمر

يدعو للفوضى ! لماذا لم يطلق سراحه ؟ هنا أيضا اعتقد أن الحقيقة بين بدي المسؤولين عن« الكاب 1 » ورجال أمن الفرق الخاصة للدليمي.

بلقاسم وزان اختفى سنة 1973

عشرون سنة بعد اختطافه قالت إحدى الصحفيات الفرنسيات في برنامج أذيع يوم 17 مايو 1993، هو (7/7) بقناة TF1، وهي الصحفية آن سانكلير Anne Sinclair التي قالت بأنها طرحت حالة وزان أمام الحسن الثاني فالتزم الملك بمتابعتها، عن قرب، لكن لا شيء ظهر بعد ذلك. في أكتوبر 1998، وبعد نشر لائحة بأسماء المختفين من طرف المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان أصدر أبناء بلقاسم الحسين البلاغ التالي : «إن اسم وزان حمو بلقاسم المعلن عنه من قبل السلطات تبين بوضوح عدم جدوى البحث الذي قام به المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان. ففي سنة 1973 وبالتحديد في شهر غشت اختطف أبونا في نفس الوقت الذي اختطف فيه أخوه حمو وزان. لقد جعلت اللائحة من الأخوين رجلا واحدا.

«اعتقل عمنا حمو وأبونا في غشت 1973 إلى 1974 بثكنة عسكرية بتمارة ثم نقل عمنا نحو مركز سري بسيدي بنور (ناحية الجديدة). في يوليوز 1979 وبعد مضي ست سنوات من الاختفاء أطلق سراحه... بينما ظل مصير أبينا منذ تنقيله من تمارة مجهولا...» بالنسبة لعائلتنا فإن بلقاسم وزان ما يزال حيًا مادامت الحقيقة كل الحقيقة غير معروفة، خاصة المتعلقة بظروف اختطافه ولم تتوصل بوفاته بعد».

كما أكدت العائلة أن آخر مكان شوهد فيه بلقاسم وزان، بشكل مؤكد، هو سجن القنيطرة.

ينبغي أن ينطلق البحث من الأرشيف الموجود بهذه المراكز التأديبية. والمسؤولون عن الاختطاف هم بلا شك رجال أمن الفرق

الخاصة «الكاب 1» لأنه في غشت 1973 لم تكن بنيات جهاز .D.S.T جاهزة للعمل.

محمد الجراري اختفى سنة 1979.

أقر المجلس الاستشاري لحقوق الرنسان بأن محمد الجراري لم يكن يوما لا نقابيا ولا مناضلا سياسيا. تؤكد أخته ذلك قائلة: «أعرف أخي جيدا، هو شاب بسيط لم يكن له علاقة بأي نشاط سياسي. أعرف بأنه بريء.».

اختفى الرجل يوم 14 أكتوبر 1979. مبدئيا فإن مصالح جهاز .D S.T هي التي قامت بذلك الاختطاف، ولكن بما أن الجراري كان يعمل بالسفارة المغربية بباريس فإن العملية يمكن أن تكون من صنع المديرية العامة للدراسات والتوثيق المكلفة بمهمات في الخارج.

وفي جميع الحالات على العائلة أن توفر مزيداً من المعلومات: ما هي الوظيفة التي كان يمارسها الشاب بالسفارة مثلا؟ يظهر كما لو أنه رجع إلى المغرب في سنة 1979، فلأي سبب غادر فجأة مقر عمله؟ ومن كان يلتقي به بفرنسا والمغرب؟ إنهم دائما نفس المسؤولين القدامى عن «الكاب 1» وجهاز .D.S T الذين يمكنهم توضيح هذا اللغز في الحال بالنسبة للباقين.

اليزيد إگودار اختفى سنة 1980

كان موظفا بوزارة الفلاحة، متزوجا وأباً لأربعة أطفال. اختطف في طريقه إلى العمل في سنة 1980. في البداية كانت عائلته تتلقى أخباره بطريقة ملتوية وتتلقى التأكيد بأنه سيفرج عنه. فالأمر لا يستغرق إلا بضعة أيام فقط... لا غير... وكل من بادر إلى البحث عنه تلقى التهديدات... في أكتوبر 1998، وعبر واسطة المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان أخبرت زوجة اليزيد بأن زوجها مازال على

فيد الحياة وأنه يقيم بالخارج. ومؤخرا زار رجال أمن من وزارة الداخلية العائلة يسألوا ماإذا كان اليزيد أگودار عاد إلى البلاد. يمكننا أن نتساءل عن هذا السفر المحير، هذا التخلي المفاجئ عن الزوجة والأطفال. فإذا كانت هذه المعلومات صحيحة – وهو مايمكن أن نشك فيه – فينبغي توفر وسيلة للتعرف عليه بالمنفى انطلاقا من رقم جواز سفره.

عبد الله شروق اختفى في سنة 1981.

طالب له من العمر واحد وعشرون سنة، تم توقيفه في 22 يونيو 1981 بالدار البيضاء وهو في مظاهرة نقابية كبيرة. وشوهد في نفس اليوم بمقر الأمن بعين السبع، ومن كان ينتظر بالخارج شاهد عدة سيارات إسعاف تغادر المكان بسرعة فائقة. قيل بأن بعض المعتقلين توفوا نتيجة الازدحام الكبير بالزنازن. ومنذ ذلك الحين لم يعرف له مصير.

يدافع اقرباؤه على الرأي القائل بأنه لا يهتم بالسياسة. والآن يمكن لرجال جهاز .D.S.T ان يوفروا معطيات دقيقة حول هذه القضية وأن يعترفوا بالأسباب التي دفعتهم إلى ذلك ويكشفوا عن الجهة التي أعطتهم الأمر بإلقاء القبض عليه.

عمر الواسلي اختفى سنة 1983

ما نعرفه عن هذا الملف ورد برمته في شهادة أخته نعيمة. تقول: «بعد أن حاز عمر على شهادة الباكالوريا استقر بالرباط ليحضر، سنة كاملة، لامتحان المدرسة الفلاحية. ثم بعد أربع سنوات استقر بمدينة مكناس وتعين بعد ذلك بمدينة خنيفرة. قادته إرادته لمتابعة دراسته العليا إلى فرنسا مدة سنتين، فتمكن من الحصول على دكتوراه الدولة بامتياز.

في سنة 1983، وهي نفس السنة التي عاد فيها إلى المغرب التحق للعمل بشركة بلجيكية يوجد مقرها المركزي بأگادير. وخلال يوم العيد الأضحى،

وكنا آنذاك، نحن أفراد العائلة، نقطن معه منذ سنة تقريبا، كانت الفرصة الأخيرة التي شاهدناه فيها... استقصت عائلتنا الأخبار حيثما تمكنت من ذلك أو وجب ذلك، لكن لا وجود لأي أثر. أخبرتنا الشرطة البلجيكية بأن عمر كان في عطلة. في الأيام الأولى اعتقدنا بأنه غادر البلد وذهب يطلب حق اللجوء السياسي هناك، فلربما أن أنشطته السياسية هي السبب.

في سنة 1996 زارنا شخصان وهما معا ينتميان لتنظيم مدافع عن حقوق الإنسان بالخارج، كانا صديقان لعمر وأخبرانا بأن عمر مستقر ببلجيكا. وبما أننا كنا في حاجة إلى معرفتها صمتا وكفا عن إعطائنا ما لديهما من أخبار...

تعيش أمنا على الانتظار في حزن كبير، وهي تبكي على الدوام، واصيب إخوتي بالقلق. فعمر هو أكبرنا يمثل الأب في بعض الوجوه. لم نعد سعداء وفرحين. فكل هذه الألفاظ غادرتنا لا يحيط بنا إلا الصمت. قيل لنا مؤخرا بأن عمر على قيد الحياة ويجب أن نتسلح بالأمل، لكن أين هو ؟»

يمكن استقصاء الخبر لدى جهاز .D.S.T، وخاصة من اشتغلوا «بالكاب 1» لمعرفة ما إذا كان على قيد الحياة فعلا، وما إذا كان قد اختطف فعلا. وفي حالة تلقي الجواب السلبي يمكن لرجال الأمن الرجوع إلى البطائق والحواسب لمعرفة رقم جوازه، وبذلك يمكنهم، على ما يظهر أن يجدوا أثرا لدى المصالح الخارجية لأمن الحدود وشرطة الأجانب.

عبد اللطيف سالم اختفى سنة 1988

ولد سنة 1962 كان مدرسا ثم مديرا لمدرسة عليا للإعلاميات والتكنولوجيا بالرباط. في 2 مايو 1988 على الساعة الثانية بعد منتصف

الليل جاء رحلا أمن إلى منزله واقتاداه معهما. تلقت أسرته مدة سنتين رسائل مجهولة ومكالمات غريبة. ومنذ 1990، ساد الصمت الرهيب. قامت الأسرة بعدة محاولات لدى السلطات لكن كل ما قامت به انتهى بالفشل.

إنه مناضل نشيط من الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وهو ضحية جهاز .D.S.T. والعاملون لهذا الجهاز يمكنهم .D.S.T يمكنهم ان يقدموا تدقيقات في هذه الحالة.

محمد السلامي اختفى سنة 1997

مناضل من حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي، سبق له أن اعتقل مدة ثلاثة أيام سنة 1993 لأنشطته في الاتحاد الوطني لطلبة المغرب ثم اختفى في 29 نونبر 1997 ثلاثة أيام بعد مناقشة أطروحته في الطب.

كتبت أخته تقول : « بما أننا عائلة المختفي فإننا ضد تعويض من لهم الحق أو الناجين لأن التعويض يجب أن يكون هو آخر مرحلة في الملف. يجب في الخطوة الأولى معرفة مصير كل المختفين، وإطلاق سراح من تبقى حيا منهم، ثم قول الحقيقة فيما يتعلق بالأسباب التي جعلتهم يختفون، ومعاقبة المسؤولين. وإلى هذا الحد فقط يمكن أن نتحدث عن التعويض الذي ينبغي ان يكون عادلا ومتناسباً مع ما عشناه من أضرار ».

يظهر جليا تورط جهاز .D.S.T في اختطاف محمد السالمي، النشيط في حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي والاتحاد الوطني لطلبة المغرب وفي مثل هذه الحالة لا تنفع معلومات رجال الكاب 1 فمعظمهم متقاعد وقت الحدث، بل يمكن التوجه إلى من تبقى بالمخابرات السرية بجهاز.D.S.T.

* * *

في يوم ما، وذلك ممكن، أن جميع هذه الحالات ومئات المختفين الآخرين، يمكنهم أن تظهر حقيقتهم، في يوم ما، ستنفتح أبواب جميع النقط الثابتة لتحرير آخر معتقل. في يوم ما ستعرف سنوات الرصاص خاتمتها في خيمة المحكمة. في يوم ما ربما سيعاقب الجناة من طرف العدالة الإنسانية.

يمكن للعائلات، بعد عشرة أو ثلاثين سنة، أن تشرع أخيرا في العمل بالجهر. سيسمح للمغرب بالقلب النهائي للصفحة ومواجهة المستقبل. آنذاك سيدخل الدم في التاريخ.

أريد أن أساهم في هذه السيرورة الطويلة التي ستفضي إلى الحقيقة، وأتمنى أن يكون هذا الكتاب – الاعتراف حجرا في بناء الصرح الذي يجب على الدولة أن تقوم به تجاه ضحايا القمع. كنت أود أن أكشف عن هذه الأهوال في وقت سابق، في مرحلة كانت فيها اعترافاتي يمكن أن توقف آلة عنيدة وشرسة، لكن ألم أكن سأعرض بذلك عائلتي للخطر ؟ فرضوا علي الصمت أكثر مما حاولوا الآن القيام به بواسطة السجن والمحق. حاولوا تكميم فمي، لكن الحاجة إلى الكلام كانت قاهرة. لقد قررت أن أمضي بعيداً في اعترافاتي برجوعي إلى ماضيّ، وكم تأسفت لأشقاء في المصالح طويلا. وكما هو شأن آخرين دخلت – الأمن السياسي – وأنا شاب أجهل إلى أي رعب يقودونني. ثم جاءت اللحظة التي شعرت فيها بالهروب. لم أكن أتحمل ما أشاهده وما أعرفه كالاختطافات والأموات والتنكيل، حاولت نسيان ذلك، لكن الماضي مازال يعيش بداخلي دائما. وهكذا جاء الوقت الذي يمكنني أن أكون فيه شاهدا.

ملحق
كرونولوجيا مغربية

بكل تأكيد فإن تاريخ المغرب لا يبدأ مع الحماية الفرنسية في سنة 1912. فهذه الكرونولوجيا المقتضبة تعود إلى الفتح الإسلامي في القرن السابع، حيث حل السلطان المولى إدريس الأول في سنة 768 بالمغرب ليحصل على دعم القبائل البربرية. كما أن هذه الكرونولوجيا ستركز على ظهور سلطنة العلويين في القرن الثامن، وعلى وجه التحديد حكم مولاي اسماعيل (1672 - 1727) مؤسس مدينة مكناس، الذي قوى وحدة البلاد. كما يمكنها أن تبدأ مع مولاي الحسن الأول السلطان الذي عمل في النصف الثاني من ق XIX بحذق على تجنب السيطرة الغربية على المغرب.

ومع ذلك ففي ظل الاستعمار، ومعارك الاستقلال والصراع من أجل توحيد التراب، بدأ تاريخ المغرب الحديث، وهناك جذوره الممتدة. فهذه الحقبة مازالت تطبع مصير المملكة.

30 مارس 1912 : قبل السلطان المولى عبد الحفيظ بوثيقة الحماية مع فرنسا.

27 نونبر 1912 : عهد إلى إسبانيا بمنطقة نفوذ في الشمال، منطقة الريف، وبأخرى في الجنوب من طرفاية وسيدي إفني.

نزحت إلى المغرب أفواج كبيرة من الاستعماريين. فخلال عشر سنوات بلغ عددهم 40000 مقيم بالمغرب.

ظل المقيم العام، المارشال الليوطي مستقبلا، بمنصبه إلى حدود 1925 (وباستثناء فترة قصيرة جدا من دجنبر 1916 إلى مارس 1917، وأربعة أشهر تسلم فيها بباريس ملف الحرب) . كان دوره في المغرب هو تهدئة الأوضاع وتطوير البلد . نسجل له ظهور الدار البيضاء وإنشاء ميناء الليوطي الذي أصبح هو مدينة القنيطرة .

1921 : أنشأ محمد بن عبد الكريم جمهورية من اتحاد قبائل الريف ووضع الحماية في خطر. لجأت فرنسا إلى القوة وأرسلت طلائع عسكرية تحت قيادة المارشال بيتان Pétain .

وفي مارس 1926 : قام الجنرال فرانكو بهجوم على المقاومة الرئيسية، معززا بأسلحة ثقيلة، حيث فجر المعاقل وقتل الخيالة .

27 ماي 1926 : نفي عبد الكريم إلى جزيرة لارينو والتحق بمصر في سنة 1947 ومات بالقاهرة سنة 1963 على عمر يناهز الواحد والثمانين عاما .

1930 : ظهور أول حزب سياسي هو حركة العمل الوطني تحت قيادة علال الفاسي . وطالبت الحركة من فرنسا بالقيام بإصلاحات .

1943 يناير : التقى السلطان بالدار البيضاء الرئيس الأمريكي دولانو روزفلت فركلين الذي شجع محمد الخامس على المطالب الوطنية .

10 دجنبر 1943 : أسس علال الفاسي حزب الاستقلال .

11 يناير 1944 : وثيقة المطالبة بالاستقلال .

10 أبريل 1947 : خطاب محمد الخامس بطنجة وظهوره لأول مرة كسلطان مقنع .

18 نونبر 1952 : بمناسبة عيد العرش، الذكرى الخامسة والعشرين أكد محمد الخامس من جديد رغبته في الاستقلال .

7 و 8 نونبر 1952 : انتفاضات شعبية بالدار البيضاء خلفت 40 قتيلا .

20 غشت 1953 : أجبرت فرنسا محمد الخامس على الاستقالة. نفي السلطان مع عائلته إلى زونزا Zonza بكورسيكا ستة أشهر ثم إلى انتسرابي Antisirabé بمدغشقر.

21 غشت 1953 : عين الفرنسيون سلطاناً كان صديق محمد الخامس وهو محمد بن عرفة، كان يبلغ من العمر ستة وستين سنة والذي انقض عليه رجل مسن بسكين في يده، بحيث كان عرضة لعدة طلقات نارية، وهكذا صار ذلك الوطني، الرمز الأول للاستقلال وهو علال بن عبد الله.

غشت 1955 : مفاوضات فرنسية مغربية باكسليبان. ضاعت من فرنسا الهند الصينية ووجدت نفسها أمام ثورة مسلحة بالجزائر، وذلك ما أرغمها على التفاوض على حل سياسي بالمغرب. مثلت فرنسا بمجلس وزاري ضم كل من إدغار فور Edgar Faure وبيير جولي Pièrre July وربير شومان Robert Schuman وأنطوان بناي Antoine Pinay والجنرال كونيغ Koenig. كلف هؤلاء الرجال بالتفاوض مع ممثلي المستعمرات المغربية والأحزاب السياسية، بحيث تم الاتفاق على مخطط من خمس نقط هي : تشكيل حكومة وحدة وطنية، ثم تنحي بن عرفة عن العرش طوعاً، وتأسيس مجلس وصي على العرش، التكفل بمحمد الخامس ثم رجوعه إلى فرنسا من منفاه.

16 نونبر1955 : رجوع محمد الخامس إلى الرباط في بهجة شعبية صحبة عائلته.

2 مارس1956 : توقيع وثيقة الاعتراف باستقلال المغرب من طرف فرنسا.

7 أبريل 1956 : تبعت إسبانيا فرنسا في خطواتها فيما يخص شمال المغرب. بالرباط حل الأمن السياسي بقيادة الغزاوي بإقامة سيدي المقري الذي توفي العام المنصرم على عمر يناهز المائة سنة.

26 فبراير 1961 : موت محمد الخامس على سن 52 سنة نتيجة عملية جراحية إضافة إلى مشاكل أمراض قلبية.

اعتلى العرش الحسن الثاني المزداد في 9 يوليوز 1929.

يونيو 1963 : تعيين الكومندان أحمد الدليمي على رأس « الكاب 1 ».

يوليوز 1963 : اكتشاف مؤامرة ضد الملك تلتها موجة من الاعتقالات في صفوف مناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذين رج بهم في أماكن سرية.

أكتوبر 1963 : بداية حرب « الرمال » بين المغرب والجزائر، حيث هاجمت القوات المسلحة المغربية قوات التحرير الوطني الجزائري وارغمتها على التراجع.

2 نونبر 1963 : قبول وقف إطلاق النار بعد تدخل إمبراطور إثيوبيا هايلي سلاسي. رقي أوفقير الذي حاز على النصر إلى مرتبة جنرال.

غشت 1964 : تعيين أوفقير وزيراً للداخلية والدليمي صار المدير العام المساعد للأمن الوطني.

23 و 24 و 25، 1965، مارس : هيجان شعبي كبير بالدار البيضاء. اصبحت المدينة في حالة حصار، وأسفر القمع عن أكثر من 1500 قتيل.

29 أكتوبر 1965 : اختطاف المهدي بن بركة في باريس واغتياله بڤيلا فنتناي لو ڤكونت Fontenay - Le Vicomte بحضور محمد افقير وأحمد الدليمي.

20 يناير 1966 : أعلن القاضي الفرنسي لويس زولنجير Louis Zollinger عن توقيف عالمي ضد أوفقير والدليمي واحد المدعوين « بالشتوكي » الذي نظم اختطاف المهدي بن بركة المعارض المغربي.

9 أكتوبر 1966 : سلم الدليمي نفسه « تلقائيا » للعدالة الفرنسية.

5 يونيو 1967 : صدور الأحكام المتعلقة بقضية بن بركة في باريس، بحيث حصل الدليمي على البراءة وصدور أحكام غيابيا على أوفقير وأربعة من العملاء هم (بوسيبش ولوني وباليس) الذين حكم

عليهم بالمؤبد، بينما الشتوكي المجهول الهوية حكم عليه بثلاثين سنة مع الاشغال الشاقة.

1970 : تعيين أحمد الدليمي مديرا عاما للأمن الوطني.

يونيو 1971 : محاكمة البعثيين بمراكش، بحيث تلقى المعنيون تداريب عسكرية بسوريا. وكانت الحصيلة توقيف المئات من المعارضين.

10 يوليوز 1971 : فوجان من المدرسة العسكرية لهرمومو بقيادة الليوتنان كولونيل امحمد اعبابو هاجما القصر الملكي بالصخيرات، حيث كان الحسن الثاني يقيم حفل عيد ميلاده. أصيب ستون من المدعوين بالرصاص وقد تمكن الملك من الهرب مختفيا بالمراحيض. صحبة أوفقير وحوالي الساعة الخامسة أذاع المذياع نبأ انتصار « جيش الشعب »، لكن الثورة قضي عليها في نفس الليلة.

13 يوليوز 1971 : عشرة عسكريين ــــ أربعة جنيرالات. خمسة كولونيلات وكومندانــــ اتهموا بالمشاركة في المؤامرة.

غادر على إثر هذا الحدث الجنرال أوفقير وزارة الداخلية ليلتحق بالدفاع، حيث صار رئيس القيادة العامة.

17 شتنبر 1971 : بعد مؤامرة القاعديين أعلن قاض محكمة مراكش عن خمس عقوبات أساسية (أربعة منها غيابيا). وقد عفا الملك عن المتهمين.

1 مارس 1972 : الإعلان عن نتيجة الاستفتاء على دستور جديد، والتي تعدت 98.75٪.

16 غشت 1972 : اعترضت طائرة من نوع F-5 بقيادة الكولونيل أمقران الرئيس المساعد للقوات الملكية الجوية، والكومندان كويرا من القاعدة الجوية بالقنيطرة الطائرة التي كانت تقل الملك. وقد توفق ربان الطائرة الملكية من الهبوط بسلام في مطار الرباط وسلا. لم يصب الملك باي أذى، لكن الحادث خلف ثمانية قتلى وخمسة وأربعين

جريحاً. وقد قتل محمد أوفقير في نفس المساء لأنه المسؤول عن المؤامرة، بسرعة كبيرة بدعوى «خيانة الأمانة».

13 يناير 1973 : صدر الحكم في حق كل من أمقران وكويرا وسبعة من الضباط بالقنيطرة بتهمة اعتراض الطائرة الملكية.

3 مارس 1973 : محاولات انقلابية جديدة في ربوع المملكة ذات طابع إرهابي تلتها اعتقالات عديدة في صفوف المعارضة. وبعد مرور شهرين صدرت اثنان وعشرون حكما نفذت كلها.

نهاية مارس 1973 : تفكيك «الكاب 1» والتي تم تعويضها بجهازين هما : مديرية مراقبة التراب الوطني (D.S.T) التي كانت تشتغل داخل التراب الوطني. والمديرية العامة للدراسات والتوثيق (D.G.E.D) المكلفة بالقيام بمهمات في الخارج.

10 مايو 1973 : تاسيس جبهة البوليساريو (الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب). حركة انفصالية صحراوية واقتسام المغرب وموريطانيا التراب الاسباني.

7 غشت 1973 : صدور الحكم في حق 58 متهماً في قضية الطائرة الملكية البوينغ. وقد فاقت الأحكام أكثر من ثلاثة سنوات، والباقي سجن بتازمامارت بالأطلس الكبير.

يناير 1975 : أسس عبد الرحيم بوعبيد حركته بعد انشقاقه عن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

6 نونبر (البداية) : أعلن الحسن الثاني عن «المسيرة الخضراء»، بحيث انخرط أكثر من 350 000 مدني مغربي عن طواعية لبعض الوقت. وقد تمكن الملك من استرجاع بعض الأقاليم الجنوبية التي كانت ضمن أولوياته.

14 نونبر 1975 : اتفاق مع الجنرال فرانكو يقضي بتوزيع الأراضي الصحراوية بين المغرب وموريطانيا والتجمعات المحلية التقليدية. ومنذ

ذلك الحين والبوليساريو يقوم بحرب ضد المغرب مدعوما من طرف الجزائر وليبيا.

عين أحمد الدليمي جنرالا ورئيس القوات المسلحة الملكية بالصحراء الغربية.

27 فبراير : أعلنت الجمهورية العربية الصحراوية الديموقراطية R.A.S.D من جانب واحد عن حكومتها في المنفى التي اعترفت بها أكثر من 72 دولة أفريقية وآسيوية.

1979 مارس : عين المعطي بوعبيد وزيرا أولا وإدريس البصري وزيرا للداخلية.

يونيو 1980 : انتفاضة شعبية بالدار البيضاء وإضرابات كثيرة بقطاعات مختلفة. استثمر الأمن مقرات الكونفدرالية الديمقراطية للشغل والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، ومنعت عدة جرائد على إثر ذلك وفصل أكثر من 500 مدرس من الوظيفة.

كما أطلق سراح المئات من المعتقلين السياسيين في الشهور الموالية، وتمكين أكثر من 3000 مدرس وممرض عامل في الصحة العمومية من العودة إلى وظائفهم. كما أن الوزير الأول حاول جهده مد جسور الحوار مع النقابات، ووضع مخطط اقتصادي والرفع من الأجور.

20 يونيو 1981 : انتفاضات دامية بالبيضاء ضد ارتفاع الأثمنة خلفت 66 قتيلا. فاعتبرت الكنفدرالية الديمقراطية للشغل والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية المسؤولان عنها فنجم عن ذلك اعتقالات بالجملة واقفال للمقرات ومنع لبعض الجرائد.

ابريل 1983 : سمح للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية والكنفدرالية للشغل بفتح مقراتهما.

25 يناير 1983 : قتل أحمد الدليمي بعد انفجار سيارته. وذلك لم يمنع النظام من تنظيم جنازة كبيرة. وبدون شك أنه في هذا التاريخ

اغلقت دار المقري. لكن يمكن أن تستمر المصالح الخاصة في عملها بدرب مولاي الشريف بالدار البيضاء وبالمركب الأمني بالرباط وبالمركز العسكري بقلعة مگونة.

19 يناير 1984 : انتفاضات بشمال البلاد ضد ارتفاع الأسعار خلفت 29 قتيلا تلتها توقيفات تدخلت على إثرها جمعيات عالمية تدافع عن حقوق الإنسان.

1987 : بهدف حماية الجيش المغربي من هجمات البوليساريو تم بناء «سور من الرمال» على طول 2500 كلم، كان قد شرع في بنائه منذ 1981، وهو يحيط بتراب الصحراء الغربية كله.

8 ماي 1990 : تأسيس المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان المكلف رسميا بتسليط الأضواء على المختفين بالقوة.

نهاية شتنبر 1991 : أطلق سراح معتقلي تازمامارت بعد ثمانية عشر سنة، وكانت الحصيلة هي 25 معتقلا من بين 58.

4 شتنبر 1992 : تنظيم استفتاء حول الدستور وصلت نتيجته إلى 99.96 ٪. وقد توخى التعديل التنصيص على تشكيل مجلس دستوري مستقل، وعلى مسألة حقوق الإنسان المعلن عنها في ديباجة الدستور الجديد.

16 شتنبر 1997 : توقيع اتفاق بين المغرب والبوليساريو بهوستن.

4 فبراير 1998 : تعين عبد الرحمن اليوسفي من حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وزيراً أولا لحكومة التناوب.

14 يوليوز : أعلنت المنرسو عن لائحة تضم 251 84 شخصا يهمهم التصويت لتقرير مصير الصحراء.

23 يوليوز : وفاة الحسن الثاني.

اعتلى العرش محمد السادس المزداد في 21 غشت 1963. وكان يبلغ من العمر 36 سنة، وهو سليل النبي والثامن عشر في السلالة العلوية الحاكمة.

9 نونبر1999 : أبعد ادريس البصري وزير الداخلية وعوض باحمد الميداوي. ووضع على رأس جهاز D.S.T الكولونيل حميدو لعنيگري الذي جاء بعد عبد العزيز علابوش.

12 مارس 2000 : تظاهرة إسلامية كبرى بالدار البيضاء ضد مدونة الأحوال الشخصية.

27 أكتوبر 2000 : تظاهرة بالرباط نظمتها الجمعية المغربية لحقوق الإنسان.

9 دجنبر 2000: تظاهرة أخرى بالرباط بمناسبة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وتم توقيف 36 مناضلا بمن فيهم رئيس الجمعية عبد الرحمن بنعمرو.

17 مايو 2000 : حكم على المعتقلين 36 بثلاثة أشهر حبساً مع غرامة 3000 درهما.

1 نونبر : زيارة الملك محمد السادس للأقاليم الصحراوية بما فيها الداخلة والعيون والسمارة.

من 9 إلى 11 نونبر : تنظيم ندوة بالرباط حول انتهاكات حقوق الإنسان بالمغرب تحت شعار : «العدالة والإنصاف». وقد أعلنت كل من الجمعية المغربية لحقوق الإنسان والمنظمة المغربية لحقوق الإنسان ومنتدى الحقيقة والانصاف على رد الاعتبار للضحايا والمجتمع والتهييء للمستقبل، وذلك بغاية تحقيق مبادئ الدمقراطية وحقوق الإنسان في المغرب.

ن : 1464 تاريخ استلام :20/6/2006

الفهرس

تم الطبع بمطابع أفريقيا الشرق 2003
159 مكرر، شارع يعقوب المنصور، الدار البيضاء
الهاتف 04 95 25 022 / 13 98 25 022
الفاكس : 20 29 25 022 / 80 00 44 022
مكتب التصفيف الفني 54 / 53 67 29 022
الدار البيضاء

الأجهزة السرية في المغرب

الاختطافات والاغتيالات

في أكتوبر 1965، كان أحمد البخاري، عميل المصالح الخاصة المغربية، يقوم بالمداومة في مقر الشرطة الموازية، وظل يتابع، ساعة بعد ساعة، ومكالمة بعد مكالمة، بشكل مباشر، عملية اختطاف المهدي بن بركة، خصم النظام الملكي المغربي العنيد.

وها هو أحمد البخاري يعود، بعد سبعة وثلاثين عاما، ليحكي وقائع مطاردة بن بركة، واختطافه، ومقتله في ڤيلا فونتاني —لو— ڤيكومت، ونقل جثته إلى المغرب.

ويفضح أحمد البخاري في كتابه هذا، كذلك، الحرب السرية التي كانت تشنها المصالح الخاصة المغربية على «العناصر المخربة»، وعلاقاتها بوكالة المخابرات الأمريكية والموساد الإسرائيلي، ولا يتكتم عن شيء من صنوف التعذيب والاغتيالات التي كانت تجري في أماكن الاعتقال السرية، التي جز بها بكثير من المختطفين خلال سنوات الرصاص.

لأول مرة يقوم رجل من رجال البوليس المغربي مكلف بالمشاركة في القمع، بفتح ملفاته، ويكتب مذكراته، ومعه ننفذ إلى قلب آلة [illegible] الأجساد والأرواح.

